

رحلة الكتابة في مصر

تحرير

خالد عزب

أحمد منصور



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

رحلة الكتابة في مصر



مركز الخطوط والكتابات والنقوش



رئيس مجلس الإدارة

إسماعيل سراج الدين

تحرير

خالد عزب

أحمد منصور

مساعد التحرير

شيرين رمضان

تصوير فوتوغرافي

محمد نافع

المراجعة اللغوية

أحمد شعبان

ترجم المقالات إلى اللغة العربية

أحمد منصور

تصميم وإخراج فني

هبة الله حجازي

خطوط

محمد حسن

رحلة الكتابة في مصر

تحرير
خالد عزب
أحمد منصور

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

رحلة الكتابة في مصر / تحرير خالد عزب ، أحمد منصور . - الإسكندرية ، مصر : مكتبة الإسكندرية ، ح2010 .

ص . سم .

تدمك 978-977-452-176-8

1 . الكتابة -- مصر — تاريخ . 2 . النقوش — مصر — تاريخ . 3 . اللغة المصرية القديمة — مصر -- تاريخ .

أ . عزب ، خالد . ب . منصور ، أحمد . ج . مكتبة الإسكندرية . مركز الخطوط والكتابات والنقوش .

ديوي-411.0962 2010426863

ISBN 978-977-452-176-8

رقم الايداع 2010/3997

طبع بالشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع (المطبعة الأمنية) - جمهورية مصر العربية
التصميم والإخراج الفني: هبة الله حجازي
1000 نسخة

الفهرس

تقديم

"خاطب المستقبل، فإنه سيُصغِي إليك".

من نصائح الحكيم بتاح حتب

بزغ فجر الحضارة المصرية القديمة في الفترة ما بين عامي 5500 و30 قبل الميلاد على الأرجح، وذلك في منطقة وادي النيل ودلتاه شمالي الشلال الأول لنهر النيل الواقع في شمال شرق القارة الإفريقية. وقد حدد وادي النيل أطراف الدولة المصرية، حيث تحيط به الصحراء غربًا، وشرقًا، وجنوبًا، والبحر المتوسط شمالاً.

إن اللغة نظام متغير دائم التطور؛ حيث تظهر ألفاظ جديدة، وتندثر الألفاظ ذات الدلالات القديمة، وتتغير دلالات الألفاظ وطريقة نطقها، كما تتبدل تركيباتها، بل ويتغير الإطار النحوي للغة. وينطبق ذلك على مصر، حيث شهدت اللغة المصرية القديمة ونظام الكتابة الذي استخدم في تدوينها في العصور الأولى لحكم الأسرات، تطورًا امتد لأكثر من ثلاثة آلاف عام.

وقد كان للُّغة دورٌ غاية في الأهمية في كثير من المجتمعات القديمة. فالكتابة هي وسيلة لزيادة قدرة الذاكرة البشرية من خلال حفظ المعلومات على وسيط أكثر ثباتًا من العقل البشري. وكان اختراع الكتابة مفيدًا جدًّا بالنسبة للثقافات المُركَّبة والحضارات ذات الكثافة السكانية العالية؛ حيث استُخدمت الكتابة لحفظ البيانات الدقيقة المتعلقة بالمنتجات الزراعية، وتم وضع تقويم يوضح مواسم زراعة المحاصيل الزراعية. كما استُخدمت الكتابة في الأغراض الدينية (العرافة والاتصال بالعالم الآخر) واستخدمت أيضًا في الشئون السياسية والاجتماعية (تقوية مركز الملك).

ومن المرجح أن يكون ظهور دولة موحدة في مصر قد أدى إلى إنشاء نظام للكتابة يستخدم في إعداد سجلات دقيقة لخدمة مصالح الملك وبلاطه. وتقول الأسطورة إن الملك مينا 'المؤسس'، وهو أول ملوك مصر، قد أنشأ العاصمة منف على رأس الدلتا لتكون مركزًا لإدارة شئون المملكة. وإنه ليس من قبيل المصادفة أن يكون المعبود الرئيسي في منف هو بتاح (سيد الصُنَّاع)، حيث اعتقد المصريون القدماء أنه خلق الكون عن طريق التفكير في أسماء الأشياء، وأنه بمجرد نطقه لتلك الأسماء، يعطي للفكرة شكلاً، باعثًا فيها الحياة.

ثم قام الكَتَبة والموظفون العاملون في منف بنقل علمهم ومعرفتهم إلى أبنائهم، فأسسوا جيلاً من الصفوة يضم الموظفين المتعلمين. فقد أعطت الكتابة لمصر هويتها ومكَّنتها من الاتصال بما حولها. ولذلك كانت الكتابة هي النقطة الفاصلة بين فترتين أساسيتين في التاريخ؛ فترة ما قبل الكتابة وفترة ما بعد الكتابة. فقد اعتُبِرت الكتابة الأداة الذهبية التي قامت بنقل البشرية لمرحلة جديدة وجب فيها توثيق وتسجيل الفكر، والعقيدة، وأحداث الحياة اليومية.

اخترعت الكتابة في مصر في بداية تاريخها (حوالي 3400 قبل الميلاد)، وقد احتضنت أرض مصر الكثير من الكتابات والخطوط المختلفة، مما يعكس الطبيعة التعددية التي تميز بها المجتمع المصري. كما ظهرت الكتابات الهيروغليفية، والهيراطيقية، والديموطيقية، والقبطية وغيرها على أرض مصر.

وكانت من أهم الكتابات وأعمقها أثرًا في تاريخ مصر ومجتمعها الكتابات: الأمهرية، والآرامية، والعربية، والأرمينية، والكارية، والقبطية، والمسمارية، والمخربشات، والنقوش اليونانية، والعبرية، إلى جانب الكتابات المروية، والسينائية المبكرة، والسريانية، والأمازيغية (التيفيناغ).

وقد أُشيع عن المسلمين أنهم كانوا يميلون إلى تدمير الآثار الوثنية الخاصة بحضارات ما قبل الإسلام، إلا أن ذلك أبعد ما يكون عن الصحة؛ حيث إن ذلك حدث بصفة استثنائية. وقد كان البغدادي في القرن الثاني عشر الميلادي على دراية كاملة بأهمية هذه الآثار في دراسة الماضي، وقد أبدى إعجابه بملوك المسلمين لاهتمامهم بهذه الآثار ورعايتهم لها مما كان له أعظم الفائدة في عملية التأريخ. فقد أثبتت الآثار الباقية من الأمم السابقة ما جاءت به الكتب المقدسة، حيث تم ذكرها في القرآن. وتشير هذه الآثار – إلى حدٍّ ما - إلى تاريخ الأجداد وسياستهم، وثرائهم العلمي، وعبقريتهم الفكرية. وقد انتبه العلماء الأوروبيون منذ زمن طويل إلى ما قدمه العرب من إسهامات في فترة العصور الوسطى.

واهتم المصريون بدراسة الكتابات، فنجد مخربشات مصرية قديمة بالهيروغليفية والهيراطيقية وكل ما بينهما من نقوش، بالإضافة إلى الديموطيقية من الفترة المتأخرة والكتابة القبطية. وقد أولى المصريون اهتمامًا بالغًا بالكتابة على مقابر الأسر الفرعونية الأولى في جبانة أبيدوس. ومع ذلك تبدو المقابر كأنها نسخ مصغرة لبيوت الملوك؛ فقد احتفظ فيها المصريون بكل احتياجات المتوفى في الحياة الآخرة سواء كان ذلك طعامًا أو ملبسًا، أو زينًا أو حتى القطع المستوردة التي تليق بالملك في الحياة الأخرى ليُظهر للآلهة مكانته الرفيعة. وكان من الضروري أيضًا تدوين كميات ومصادر كل البضائع حتى يتسنى للأحياء معرفة كمية ما تم وضعه في المقبرة، ومِن ثَّم تم نقله من مخازن القصر.

ومنذ البداية، كان هناك فرق بين الكتابة الهيروغليفية والخط الهيراطيقي المستقيم والمائل المستخدم في الحياة اليومية، والذي كان استخدامه أكثر شيوعًا. وقد استخدم المصريون لفظ 'medu netjer' أو 'كلمات الإله' لوصف الكتابة المصرية التي اعتمدت على التصوير، ويبدو أن ذلك كان الوظيفة الأساسية للكتابة الهيروغليفية، ألا وهو تواصل المصريين مع آلهتهم. بالإضافة إلى ذلك كانت الكتابة القبطية هي آخر مراحل تطور الكتابة المصرية القديمة، وقد استخدمت الأبجدية اليونانية إلى جانب بعض العلامات المشتقة من الكتابة الديموطيقية. ويختلف عدد حروف هذه الأبجدية من لهجة إلى أخرى.

وكما ذكرت سابقًا، فإن مصر كانت ولا تزال مجتمعًا مفتوحًا لكل شعوب المجتمعات القديمة والحديثة. وتعود العلاقات المصرية اليونانية إلى الأسرة السادسة والعشرين، حين أقام الإغريق مدينتهم الخاصة على ضفاف الدلتا. ويعود أقدم النقوش اليونانية الموجود في اليونان، حسب تأريخ علماء الآثار المتخصصين، إلى النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد. وقد ظهرت في مصر نقوش مشابهة في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد (أي بعد حوالي قرن من ظهورها في موطنها

الأصلي) وذلك في منطقة أبو سمبل بصعيد مصر على أحد ساقيْ تمثال رمسيس الثاني. ومن المعروف والثابت أثريًّا ولغويًّا أن الأبجدية اليونانية تدين بوجودها للكتابة الفينيقية.

وقد ساعد كرم الضيافة الذي يميز أهل مصر على إثراء أرضهم بمختلف الكتابات، (كالنقوش الآرامية مثلاً) التي تم العثور عليها في مصر والتي تغطي أنماطًا متعددة. وكانت الخطابات، والوثائق القانونية من أكثر أنواع هذه الأنماط شيوعًا وقد كُتبت أكثرها في جزيرة فيلة.

وظهرت الكتابات العبرية أيضًا في مصر، التي تتميز بندرة النصوص العبرية ذات الأصول المصرية، وهذا يرجع إلى أنه على الرغم من تاريخ اليهود الطويل في مصر، إلا أن العبرية لم تكن أبدًا لغة رئيسة في المعاملات المكتوبة. فقد احتلت اللغات الآرامية واليونانية والعربية هذه المكانة في مراحل متعددة من تاريخ مصر. ولولا العصور الوسطى واكتشاف تلك الوثائق الثرية في جنيزة القاهرة، لكان من غير الممكن أن نحصل على هذا الكم من النصوص العبرية المصرية. وإلى جانب الكتابات العبرية، يتسنى لنا الاعتماد في الأساس على مجموعة من النقوش والبرديات العبرية لسرد تاريخ الكتابة العبرية في مصر.

بالإضافة إلى ذلك، فقد اعتمد وجود الكتابة السريانية في مصر على عاملين غاية في الأهمية، أحدهما المناخ الجاف وطبيعة التربة المصرية الخاصة، والتي وفرت البيئة المناسبة لحفظ النصوص، أما العامل الآخر فهو ترحيب مصر بالمسيحيين السوريين واستضافتهم على أرضها خلال الفترة البيزنطية والفترة الإسلامية كذلك.

أما في الجنوب، فقد أثرت مصر على المملكة المروية، حيث استخدم المرويون الكتابة الهيروغليفية منذ القرن الأول الميلادي ولكن ما لبثت الكتابة الهيروغليفية أن ظهرت جنبًا إلى جنب مع الكتابة المروية، أو استبدلت بها كليةً.

وإلى أقصى الغرب، ترك قدماء المصريين أهم دليل تاريخي على وجود شعوب غربي ليبيا، فلم يكتفوا فقط بوصف تلك الشعوب، ولكنهم تركوا أيضًا سجلات مصورة عنهم. ويُعتقد أن الأبجدية الأمازيغية (التيفيناغ) هي في الأصل مشتقة من الكتابة الليبية القديمة، وأن الطوارق الذين عاشوا في دول الصحراء الكبرى قاموا بحفظها.

وأخيرًا، ومع دخول الإسلام إلى مصر، ظهرت أهمية فن الخطوط نظرًا لأنه الفن الذي احتفظ عبر العصور وإلى الآن بأعلى درجات الرقيّ والحِرَفيَّة. ففن الخط العربي يعود بجذوره إلى الكتابة النبطية. ومنذ بداية التاريخ الإسلامي استخدم المسلمون نوعين من الخطوط هما الأساسيان في فن الخط العربي: الكتابة الجافة أو ما عرف بالخط 'الكوفي'، بخطوطه المستقيمة وزواياه الحادة والمستقيمة، والكتابة اللينة ذات الخطوط المائلة والحروف المستديرة. وقد شهد كلٌّ من الأسلوبين مراحل عديدة من التطور والإبداع.

ومن ثم، يعد الكتاب الذي بين يدينا محاولة لاستكشاف تطور الكتابات المختلفة في مصر، واستعراض المراحل المختلفة في رحلة اختراعها وتطورها. ويتناول الكتاب مجموعات مختلفة من الكتابات بهدف تنمية الوعي الثقافي في المجتمع.

ويعتبر هذا المشروع ثمرة أربع سنوات من العمل، واجه فيها الدكتور خالد عزب، وأحمد منصور عددًا لا يُستهان به من المشكلات. إلا أن رغبتهما في إنجاز هذا المشروع تنطوي على جانبٍ من أهداف مكتبة الإسكندرية في أن تكون نافذة مصر على العالم، ونافذة العالم على مصر، وأن تكون مركزًا للحوار بين الشعوب والثقافات.

وختامًا، أود أن أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا المشروع: الدكتور خالد داود، والدكتور محمد عبد الغني، والأستاذة شيرين رمضان. كما أوجه شكري الخاص إلى المؤسسات التي أسهمت في تحقيق هذا المشروع، وهي المجلس الأعلى للآثار، والمتحف المصري في برلين، ومتحف برلين، والمكتبة الوطنية النمساوية، والمتحف المصري في تورينو، والمتحف البريطاني، والمتحف القبطي، والمتحف المصري بالقاهرة.

إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية

تمهيد

لعل القارئ يجد نفسه في حيرة من الأمر عندما يقرأ عنوان هذا الكتاب 'رحلة الكتابة على أرض مصر'!!، ويطرح في نفسه تساؤلاً: هل للكتابة رحلة؟ فالرحلة من الترحال أي الانتقال من مكان إلى آخر، فهل انتقلت الكتابة من مكان إلى آخر؟ وإذا كانت هذه الرحلة حقيقية؛ فمن أين بدأت؟ وفي أين نقطة انتهت؟

وبعيدًا عن الألغاز احتضنت مصر الكثير من الأنماط الكتابية المختلفة التي تدون لغات متعددة نطقت بها ألسنة المصريين، والجاليات الأجنبية التي عاشت في كنف المصريين.

تؤكد الشواهد الأثرية التي تم الكشف عنها في أبيدوس في صعيد مصر أن المصريين عرفوا أنظمة الكتابة المصورة منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد تقريبًا في العام 3400 قبل الميلاد، وكانت الكتابة في تلك الفترة المبكرة من التاريخ علامات تصويرية مجردة تعبر عن المدلول التصويري للعلامة، فلم يكن هناك أجرومية للكتابة أو حتى جمل نصية طويلة.

استمرت الكتابة في رحلة تطورها من الشكل البسيط في الرسم أو التعبير الصوتي حتى ظهرت الكتابة الهيروغليفية، أي الكتابة المقدسة التي تكتب على جدران المقابر والمعابد، ومن ثمَّ تطورت الكتابة في مصر القديمة، حيث ظهرت الهيراطيقية، وهي كتابة الكهنة، والديموطيقية، وهو خط المعاملات اليومية، ثم ظهرت القبطية لتمثل المرحلة الأخيرة من مراحل اللغة المصرية القديمة.

على الجانب الآخر، ظهرت على أرض مصر العديد من الكتابات الأخرى في إطار متوازٍ، وهو ما نطلق عليه –إن صح التعبير–كتابات الجاليات الأجنبية التي عاشت على أرض مصر في فترة زمنية محددة. والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا هاجرت تلك الجاليات إلى مصر؟ كيف كان الحراك الثقافي والتفاعلي تجاه تلك الكتابات الأجنبية؟ الحقيقة أن تسامح المصريين تجاه الجاليات الأجنبية كان واضحًا وجليًا في ضمان حرية العبادة لهم، وحرية استخدام لغاتهم الخاصة بهم في معاملتهم، بل استطاع الكثير من المصريين تعلم تلك اللغات ونطقوا بها، وهذا يدل على فهم عميق، ويقين أكيد بأن التعددية الثقافية هي مصدر إثراء حضاري للمجتمع وليس الانغلاق، أي أن مصر آمنت منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام بما يُسمى الآن «التعددية».

لقد ظهرت على أرض مصر الكتابة المسمارية، وهي نظام كتابي استخدم لتدوين اللغة الأكادية التي كان يُنطق بها في بلاد الرافدين. ظهرت تلك الكتابة في المراسلات الدبلوماسية بين مصر وبلاد الرافدين في عصر الملكين أمنتحب الثالث وأمنحتب الرابع (إخناتون). وبالتوازي مع ذلك ظهرت الكتابة المروية وهي كتابة مملكة كوش في أرض السودان، وكذلك الكتابة السينائية تقريبًا في العام 1500 قبل الميلاد، كذلك ظهرت الكتابة الكارية، والكاريون هم شعب عاش في جنوب آسيا الصغرى ولهم نظام كتابي يسمى الكتابة الكارية، ومن ناحية أخرى ظهرت بداية من الأسرة السابعة والعشرين الكتابة الآرامية، خاصة في سقارة وجزيرة إلفنتين.كذلك ظهرت الكتابة اليونانية التي أصبحت اللغة الرسمية لمصر في عصر البطالمة، وهو نفس العصر الذي

ظهرت فيه الكتابة العبرية. ثم ظهرت كتابة التيفيناغ في العصر الروماني، وما زالت آثار تلك الكتابة موجودة في واحة سيوة. وفي القرن الخامس الميلادي ظهرت الكتابة السريانية، وهي لغة مسيحيي الشرق في سوريا ولبنان.

وفي منتصف القرن السابع الميلادي فتح المسلمون العرب مصر حيث أصبحت اللغة والكتابة العربية هي اللغة الرسمية. والكتابة العربية تدين في جذورها للكتابة النبطية. ومع بداية القرن الثامن الميلادي قام العرب المسلمون بتعريب الدواوين ونشر اللغة العربية التي أصبحت لغتنا السائدة إلى تلك اللحظة.

هكذا نستطيع أن نبين أن الكتابة على أرض مصر انقسمت إما إلى كتابة رئيسية وهي الكتابات المصرية القديمة (الهيروغليفية، والهيراطيقية، والديموطيقية، والقبطية)، والكتابة اليونانية، ثم الكتابة العربية، أو كتابات الجاليات الأجنبية التي عاشت لفترة ما على أرض الكنانة.

لقد ترحلت الكتابة كثيرًا على أرض مصر من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب. كما تنوعت واختلفت في أنواعها، وأشكالها، وأجروميتها. إن رحلة الكتابة على أرض مصر تبين كيف أن مصر احتضنت مختلف الثقافات، وكيف أنتجت تلك الرحلة الطويلة إرثًا حضاريًا متنوعًا ينم عن أهمية ومحورية دور مصر في المنطقة؛ لذلك فهي تجسيد حي وواقعي لدور ومكانة مصر في قلب العالم القديم والحديث.

أخيرًا، لقد استمرت مدة الإعداد لمشروع رحلة الكتابة في مصر في مركز الخطوط والنقوش خمس سنوات، بذلت خلالها الكثير من الجهد المضني مع زميلي المثابر أحمد منصور لنقدم معرضًا متكاملاً وفيلمًا وثائقيًا، بالإضافة إلى المستنسخات وبطاقات دعوة، ونحن نشكر بصورة أساسية الدكتور زاهي حواس والمجلس الأعلى للآثار على المساعدات الرائعة التي قدمها لنا لإنجاز هذا المشروع.

خالد عزب

مدير مركز الخطوط بالإنابة

تصدير

خلال الأعوام الخمسة الماضية، عكفت وحدة اللغة المصرية القديمة التابعة لمركز الخطوط على إنجاز مشروع 'رحلة الكتابة في مصر'، وهو مشروع طويل المدى. وكان الهدف الرئيسي وراء المشروع هو الكشف عن الكتابات المختلفة التي ظهرت على أرض مصر، ودراسة ظروف ظهورها واختفائها، وتقييم تأثيرها وتفاعلها مع المجتمع المحلي.

ومن ثم، عقد مركز الخطوط العديد من ورش العمل والمناقشات بمشاركة باحثين في مجال تاريخ الكتابات، لوضع خطوات التنفيذ. وقد تم تشكيل فريق عمل بقيادة المحرر، حيث قام بتحديد الكتابات التي ظهرت في مصر منذ العصور الأولى وحتى يومنا هذا. كما تم الاتصال بأبرز العلماء في المجال لتزويد الفريق بمقالات متخصصة عن كل نوع من أنواع الكتابة.

وكانت المرحلة الحرجة من المشروع هي التقاط صور فوتوغرافية وحيَّة لتلك الكتابات في أماكنها الأصلية. وجاب الفريق أرجاء مصر لالتقاط الصور الأصلية وتصوير الكتابات في أماكن وجودها. فقد ذهب الفريق إلى كل من أبيدوس، والإسكندرية، وأسوان، والقاهرة، وكلابشة، والأقصر، وفيلة، وسيناء، وسيوة. وكان من أمتع اللحظات في تلك الرحلة تسلُّق جبل سرابيط الخادم، والإبحار في نهر النيل لتصوير الكتابات المختلفة، كما اخترق فريق العمل الصحراء الغربية وصولاً إلى واحة سيوة.

وقد أثمر المشروع مونوجرافًا يحوي مقالات تم وضعها حسب الترتيب الزمني لظهور الكتابات في مصر. ومن المزمع إصدار كتالوج خلال العام القادم يضم الكتابات المختلفة، بالإضافة إلى بطاقات بريدية مدون عليها بعض الحروف الأبجدية.

كما سيتم تنظيم معرض دولي في مصر والخارج لتقديم هذه الكتابات التي تبيِّن التنوع الثقافي الذي ميّز المجتمع المصري على مر العصور.

وختامًا، وبالإنابة عن كل فريق العمل، أود أن أشكر كل المؤسسات، والمتاحف، والأفراد، والمرشدين المحليين الذين ساعدوا على إتمام هذه المهمة.

أحمد منصور

بداية الكتابة في مصر القديمة *

جونتر دراير

إن أهم مصادر دراسة تطور الكتابة في عصور ما قبل الأسرات هي تلك التي عثر عليه في مقبرة أو-ج بأبيدوس (تقريبًا 3200 قبل الميلاد، شكل 1) والتي تُقَدر بحوالي 125 آنية فخارية أو تحديدًا قطع تحمل بقايا كتابات بالحبر وكذلك حوالي 160 بطاقة صغيرة للتعليق من العظام أو العاج تحمل علامات مخربشة.

تتواجد العلامات الحبرية على ما يسمى بـ 'الأواني ذات الأيادي المموجة' والتي كانت تمتلئ بالزيت أو الدهون (شكل 2)، وهي تتكون من علامة إلى علامتين بالحجم الكبير تمثل شجرة أو تحديدًا نباتًا بالإضافة إلى حيوان مثل العقرب، أو السمك، أو الحلزون (شكل 3 أ-ب). ومع محاولة تفسير مدلول هذه العلامات ظهرت الفكرة بأنها تعطي -من الناحية المنطقية- معلومات عن محتويات الإناء (ومصدره أو مالكه). ولكن بما أن هذه الأواني ثبت أنها كانت تحتوي على نفس المواد فلا يمكن أن يُعَبر عن هذا المحتوى بعلامات مختلفة، كذلك فلا يمكن أنها تدل على أكثر من مالك لها، وخاصة أنه تم العثور عليها في نفس المكان. في نفس الوقت فإنه ليس من الصعب تصور أن هذه العلامات تعتبر تأكيدًا على مصدر



(شكل 1) مقبرة أو-ج، أبيدوس (عام 3200 قبل الميلاد تقريبًا)



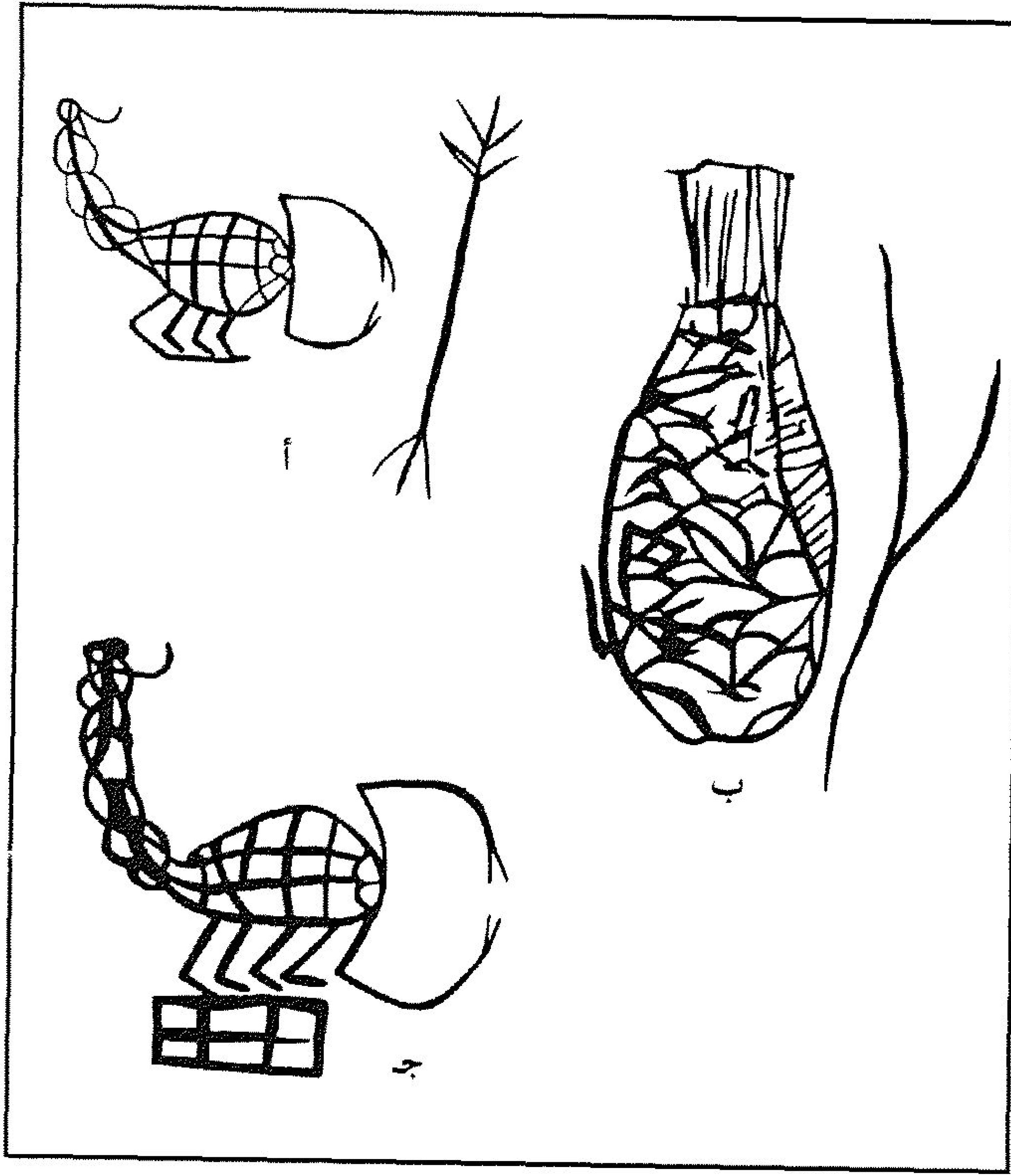
(شكل 2) الأواني ذات الأيادي المموجة مكتوب عليها بالعلامات الحبرية، مقبرة أو-ج (قارن شكل 3أ-ج)

الأواني، خاصة وإنه لدينا كثير من الأمثلة المشابهة من عصور لاحقة؛ فترمز مثلاً 'الشجرة' إلى المزرعة، و'الحيوان' إلى اسم الملك، ولذلك فإن أغلب المنتجات هي من 'مزارع العقرب'، أي أنها من أعمال الملك العقرب نفسه–صاحب المقبرة– وتمثل الجزء الأكبر من أثاثه الجنائزي، في حين نجد عددًا أقل بكثير من هذه المنتجات لدى أسلافه (الحلزون، والسمكة، والفيل، والكلب/ابن آوى وآخرين).

وبنفس الطريقة يمكن تفسير مجموعة أخرى من العلامات والتي تُظْهِر الملك العقرب معتليًا مستطيلات مقسمة إلى ستة أجزاء (شكل 3ج) تمثل غالبًا أراضي زراعية أثناء الري. إن الحديث هنا ليس عن أي أرض زراعية ولكن –وهو ما أكدته مصادر من عصور لاحقة– المقصود هو مقر الحكم الملكي والذي كان يمثل مركزًا اقتصاديًا في المقام الأول. وفضلاً عن ذلك، فإن هذه العلامة لا تظهر على هذه البطاقات إلا مع شكل الصقر. هذا يؤدي إلى التأكيد على أن خليفة الملك العقرب الأول كان يحمل اسم الصقر، حيث إن محتويات المقبرة كانت لا تشمل إلا على ما يحمل اسم الملك المتوفى أو خليفته الذي يُكْمِل مراسم الدفن وإنهاء



(شكل 4 أ) بطاقات من العاج والعظم نُقشت بالكتابات، (مقبرة أو–ج)



(شكل 3أ–ج) علامات حبرية تشير إلى مصدر الأواني، وهي تحتوي على زيوت/دهون (مقبرة أو–ج)

أ) العقرب+نبات/شجرة: مزرعة/مقر (الملك)، العقرب.

ب) السمكة+نبات/شجرة: مزرعة/مقر (الملك)، السمكة.ب) السمكة+نبات/شجرة: مزرعة/مقر (الملك)، السمكة.

جـ) العقرب على المستطيل مقسمًا (أرض زراعية مروية): مقر حكم (الملك)، العقرب.

تجهيزات المقبرة.

لقد تم العثور على هذه البطاقات، والتي لا يتعدى معظمها (2.0 X 1.5) سم في الحجرة الجنوبية الغربية للمقبرة، وهي الغرفة الوحيدة التي لم يعثر بها على أية منتجات فخارية، ولكنها كانت مخصصة لاستقبال تقديمات معينة في صناديق من خشب الأرز بالإضافة إلى أوعية أخرى مثل الحقائب أو الأواني الحجرية.



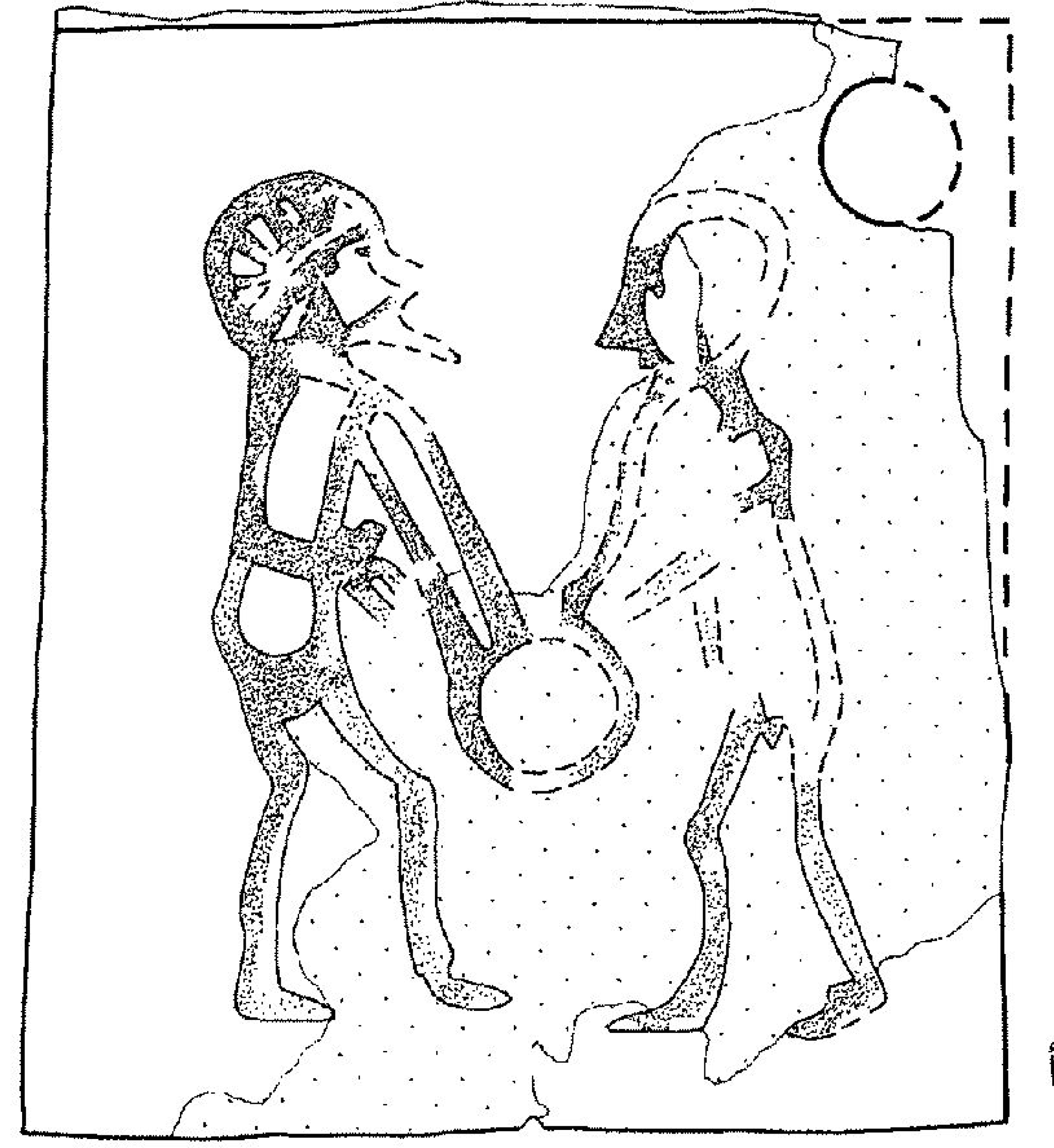
ونجد على مجموعة أخرى أرقامًا تمثل غالبًا المواد المحفوظة بها وكميتها (شكل 4أ)، وعلى مجموعة أخرى نجد -مثلما هو الحال- في نصوص الأواني مجموعة من العلامات شجرة/نبات + حيوان (فيل أو كلب/ابن آوى شكل 4ب)، والتي تشير إلى مصدر هذه المنتجات من مزارع أسلاف العقرب مثل الملك الفيل والملك ابن آوى.

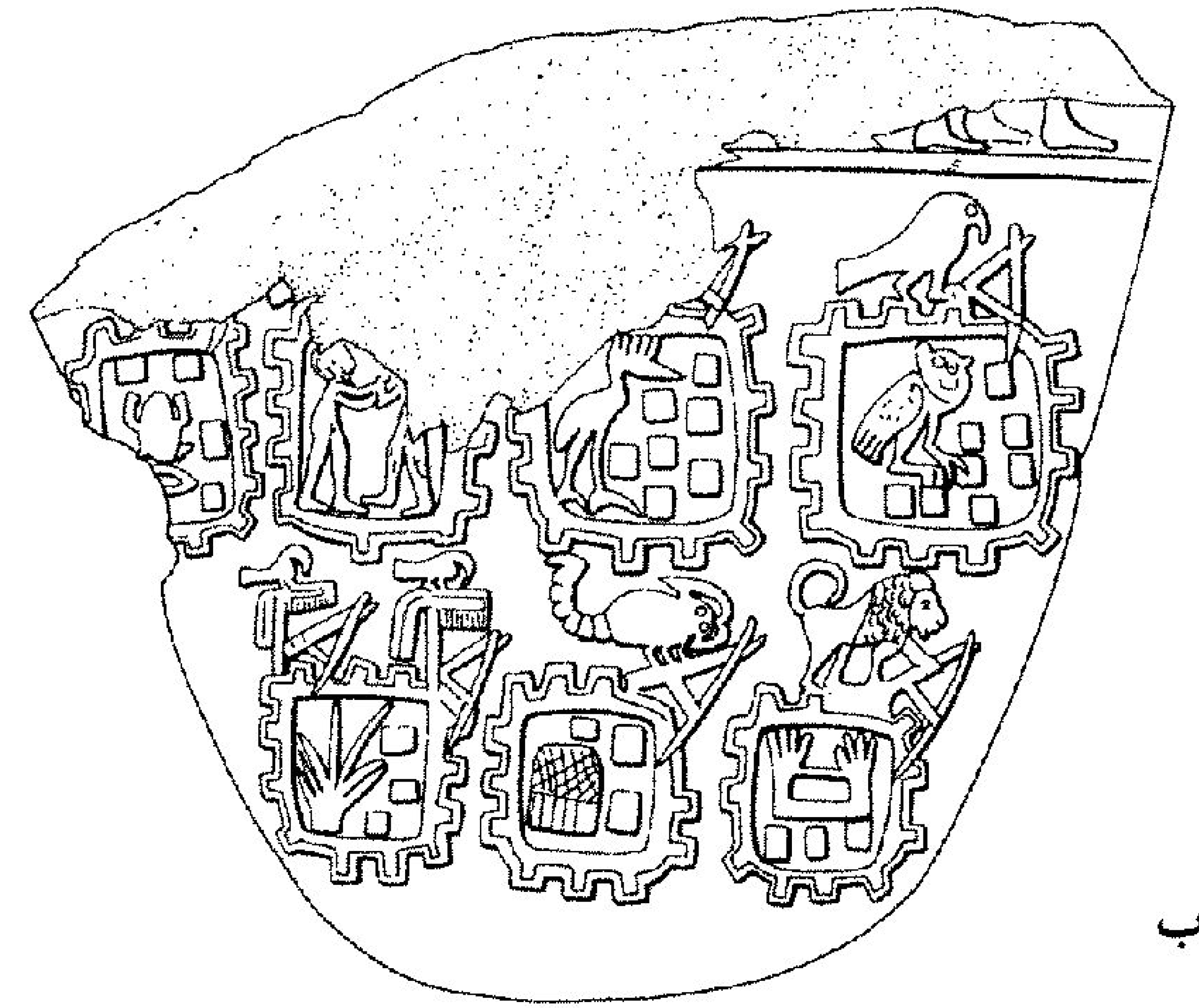
كذلك، نجد بعض المعلومات التي تؤكد كونها أسماء أماكن مثل بطاقة عليها رسم لمصارعين (شكل 5أ) وهو نفس الشكل الذي نراه رمزًا لإحدى المدن على 'صلاية تأسيس المدن'. (شكل 5ب)



(شكل 4 ب-د) بطاقات من العاج والعظم نُقشت بالكتابات، (مقبرة أو-ج)

ولكن وبلا شك، فإن هذه العلامات ما هي إلا رموز أو أشكال رمزية تشير إلى معنى أو توضح فكرة ما ولكن ليس لها بالضرورة دلالة صوتية أو قراءة محددة. في هذا المضمون هناك بعض البطاقات يظهر بها طائر اللقلاق أو كرسي والتي لم تتضح لنا دلالتهما الصوتية إلا من خلال منطوقهما في الهيروغليفية التي ظهرت بعد ذلك: اللقلاق= 'با' والكرسي = 'ست'، وبالتالي يكونا معًا 'باست'، وهذه هي طريقة لكتابة اسم تل بسطة في الدلتا، حيث ظهرت كذلك في الدولة القديمة. هنا تظهر كذلك القاعدة التقليدية لترتيب العلامات في الكتابة الهيروغليفية وموضع العلامة الأولى سواء كانت الكتابة من اليمين إلى اليسار أومن اليسار أي اليمين، فنجد أن اللقلاق جاء مرسومًا تبعًا لهذه القاعدة قبل الكرسي. (شكل 4ج)





(شكل 5أ) بطاقة مكتوب عليها اسم مدينة، ومن المحتمل أن مصدرها مقبرة أو–ج، (المتحف البريطاني 66955)

(شكل 5ب) لوحة تأسيس المدينة، (المتحف المصري JE 14238). توضح اللوحة أسماء العديد من المدن التي فتحها، ومن بينها 'مدينة المصارعين' وهي الموضحة في شكل 5أ.

تُظهر بعض البطاقات أيضًا قراءات صوتية واضحة مثل تلك التي يظهر عليها رسم لثعبان يعلو قمة جبلية وعلى اليسار علامة كالهلال يخرج منها خطًا مكسورًا (شكل 4د- اليسار) أما الثعبان والقمة الجبلية فهما علامتان هيروغليفيتان واضحتان، حيث الثعبان ينطق 'ج' والقمة الجبلية 'جو'. جاء الثعبان في هذه الحالة هو للمساعدة على قراءة الحروف الأولى من الكلمة التي تعبر عن الجبل. ولم يكن ضروريا ظهور هذه العلامة المساعدة حيث لدينا أمثلة كثيرة تسقط فيها هذه العلامة المساعدة. أما القوس الذي يتدلى منه الخط المكسور فهو يمثل العلامة الهيروغليفية 'جِرِحْ' والتي تعني 'الليل أو الظلام'، وهي تمثل غالبًا قوس السماء والبرق يخرج منه، وعليه فإن العلامات على هذه البطاقة تقرأ 'جُو جِرِحْ' أي 'جبل الظلام'. والذي يؤكد صحة هذه القراءة هو المعنى المضاد تمامًا الذي يظهر على بطاقة أخرى تحمل طائر أبو منجل (شكل 4د- اليمين) والذي يُقرأ 'إياخو' أي 'سطوع الشمس أو النهار'. وعلى هذه اللوحة كان ذكر 'جبل سطوع الشمس'، وبالتالي أصبح المعني المقصود على هذه البطاقات هو الشرق والغرب حيث شروق الشمس وغروبها (قارن التعبير 'أرض الصباح والليل')،

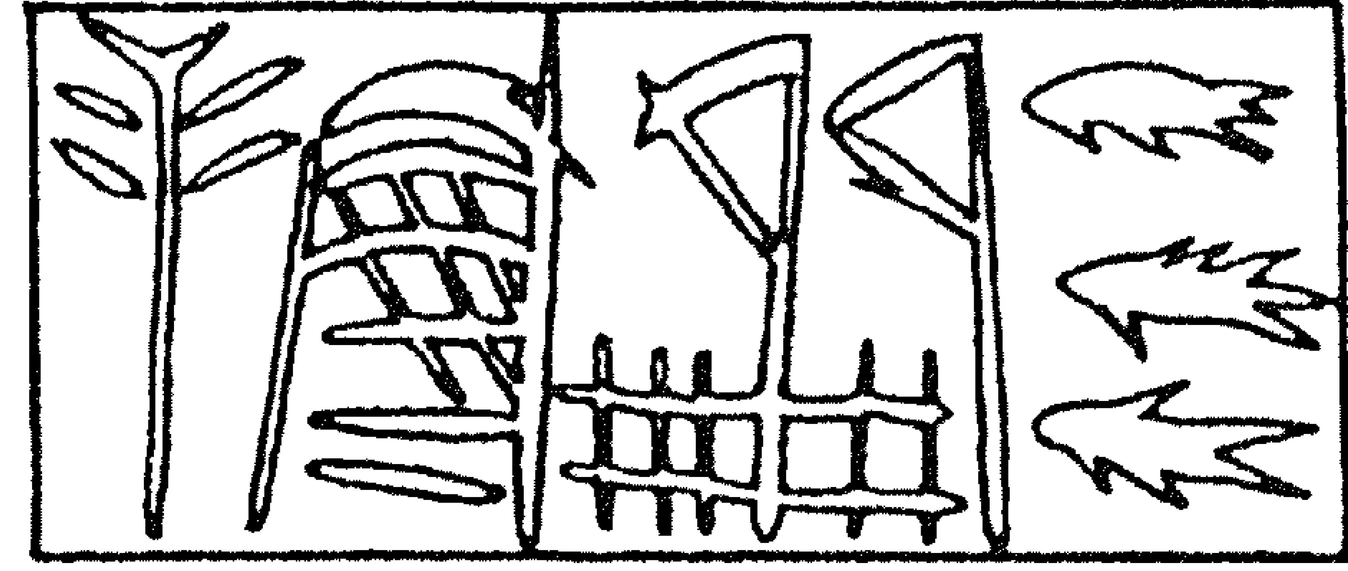


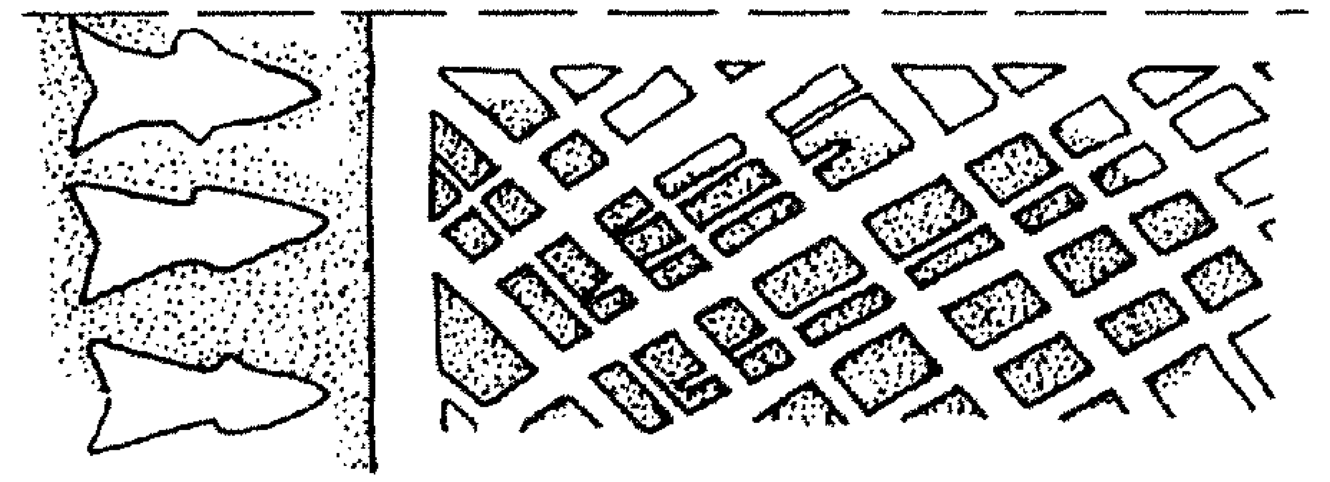
(شكل 6) آنية منقوش عليها بالحبر، حضارة نقادة الثانية–د، (أبيدوس، مقبرة أو-546)

وبالتالي كان المعنى الذي تحمله هذه العلامات المصورة على هذه البطاقات هو مصدر المنتجات والقرابين من حيث انتماءها للمراكز الإدارية على الضفة الشرقية أو الغربية للنيل.

كذلك، يمكننا أن نقارن هذه العلامات بتلك الحبرية التي نراها على الأواني الفخارية من مقابر حضارة نقادة الثانية-د (تقريبًا 3300 قبل الميلاد) والتي يمكن أن نعتبرها كذلك كتابات. أيضًا، نجد على هذه الأواني العلامة الهيروغليفية التي تشير إلى السماء والبرق (شكل 6) والتي تشير بدون شك أيضًا إلى الغرب ولكنها تظهر هنا بصورة مختصرة حيث كانت بالتأكيد مفهومة للموظفين في هذا الوقت.

إن أقدم أدلة للكتابة حتى الآن نجدها على الأختام الأسطوانية والتي تُؤَّرخ إلى حضارة نقَّادة الثانية-ج وحضارة نقَّادة الثانية-د (شكل 7أ-ب)، حيث نجد رسمًا لمبنى من الحصير والخشب تعتليه علامة ترمز للآلهة بجانب رسم لشجرة، أي أنها تشير إلى معبد، هذا بالإضافة إلى ثلاث أو


أ


ب

(شكل 7أ-ب) الأختام الأسطوانية، حضارة نقادة الثانية ج-د (أ، مجهولة المصدر؛ ب، أبيدوس مقبرة أو-127)

أربع سمكات. تشير مجموعة العلامات التي تُظهر الشجرة والمعبد كما هو الحال في علامات الأواني بمقبرة 'أو-ج' إلى أن مصدر هذه المنتجات كان معبدًا. وتمثل الأسماك على الجانب الآخر مدلولاً صوتيًا (نجده كذلك عند عحا) هو 'إينو' أي 'توريدات'، حيث إن السمكة مفردة تُقْرَأ 'إين' وجمعها 'إينو'.

تمثل النصوص على الأختام الأسطوانية، والأواني الفخارية، والبطاقات الصغيرة -بصورة مشتركة أو جماعية- مجرد مدونات بسيطة لمصدر المنتجات والأماكن التي جُلِبَتْ منها سواء كانت مراكز اقتصادية، أو إدارية، أو تشير إلى كميات المنتجات نفسها.

من الواضح أن هذه العلامات كانت للتدقيق والتحكم في عمليات التوريدات وتنظيم حركة البضائع، ومن المرجح بشدة أن الكتابة ظهرت وتطورت في البداية كأداة للإدارة والتنظيم الاقتصادي، وظلت فترة طويلة لا تستخدم إلا لهذا الغرض. كان تزايد المشكلات الاقتصادية والتنظيمية سببًا في تطور الكتابة خاصة مع زيادة رقعة السلطة والنفوذ حيث حدثت زيادة في الإنتاج وفي عمليات توزيع المنتجات، والتي أصبح من الصعب التحكم بها حيث كان كافيًا في البداية معرفة مصدر المنتجات وكميتها فقط، كما أن الاحتياج إلى مراقبة الجودة وتأكيد المسئوليات لعب دورًا كبيرًا في هذا الأمر حتى أضحت الأختام الأسطوانية والتي كانت وسيلة لغلق الأواني واحدة من أهم الوسائط الكتابية.

وبشكل أساسي، كانت الرموز المرتبطة بأسماء أماكن محددة، أو بيانات طبوغرافية، أو مراكز وإدارات معينة كافية للتعبير بشكل مبسط. أما بالنسبة للعلامات فيمكن العودة على الأقل إلى القطع الفخارية المزينة منذ حضارة نقادة

الأولى مثل رسومات الأشخاص، والحيوانات، والنباتات، والرموز الإلهية، والجبال، والأراضي الزراعية... إلخ، والتي لم تكن تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، ولكن مع ازدياد الطلب على الأسماء بصورة كبيرة، والأماكن، والأشكال الاقتصادية، والمراكز الإدارية ظهرت الحاجة إلى نظام آخر يسمح بالتعبير عن كم أكبر من المعاني المختلفة، ولذلك من الواضح أنه تم استخدام 'مبدأ الألغاز المرسومة' مثل



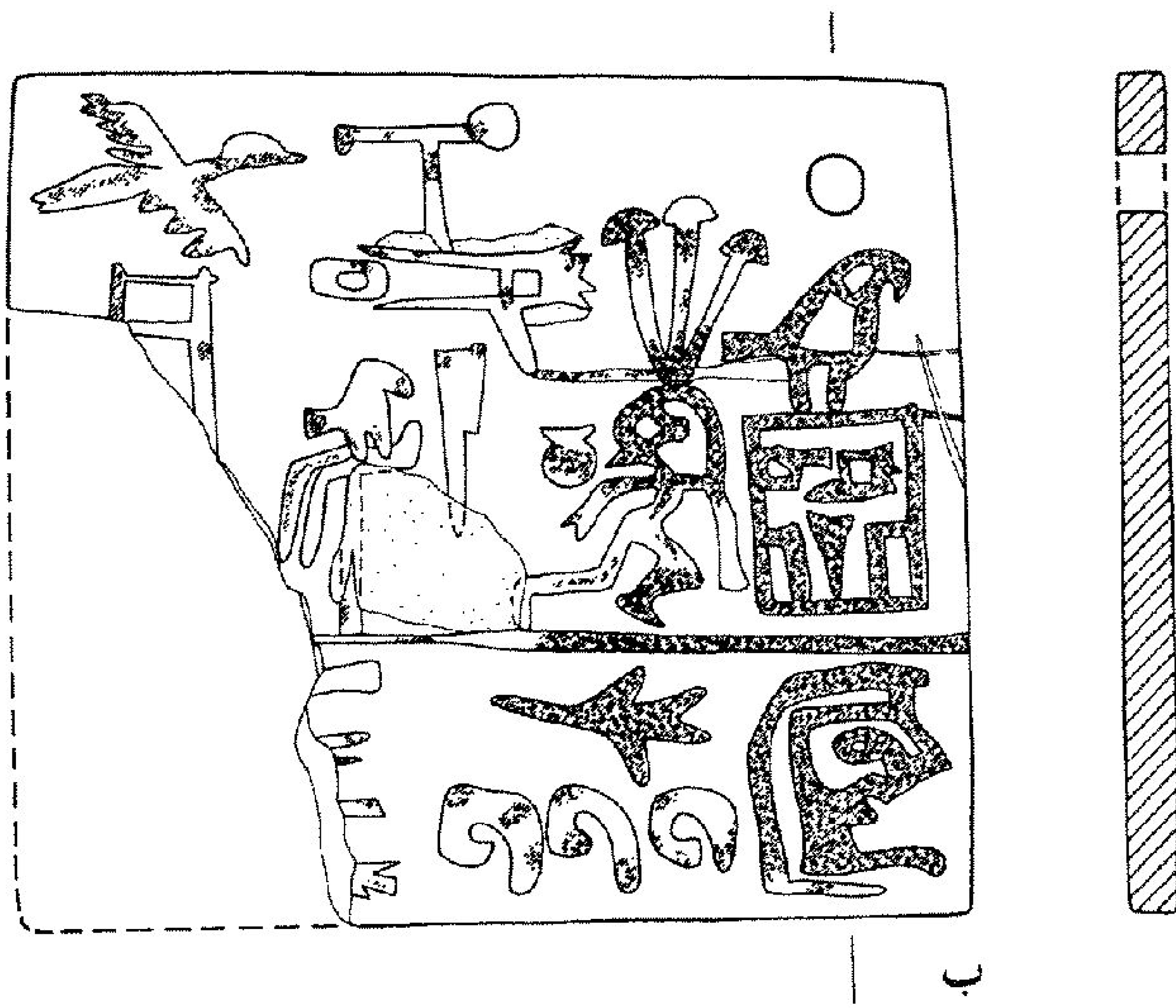
(شكل 8) كسرة من آنية تحتوي على زيوت/دهون مكتوب عليها حورس 'كا' (أبيدوس)

المثال الذي أظهرناه سابقًا مع كلمة 'إينو = تقديمات'، من حيث استخدام علامات لها مدلول صوتي مقارب للتعبير عن الكلمة المرادة. مع هذه الخطوة الحاسمة تم وضع أساس نظام واضح ودقيق للكتابة.

ونلاحظ بجانب سجلات التقديمات لآخر ملوك عصر ما قبل الأسرات في النصوص الحبرية على أواني الزيت الأسطوانية الشكل (شكل 8)، ومع ذكر أسماء الملوك وموطنهم في مصر السفلى أو العليا نجد تحديدًا لأنواع مختلفة من الزيوت، فكان تحديد جودة الزيت عن طريق إضافة شرطة أفقية إلى ثلاث شرط تحت الاسم الحوري أو إضافة مقدمة جسم الأسد 'حات' أو مؤخرته 'پحْ'، مما كان يعني أن الزيت كان قد تم استخراجه في بداية عملية عصر بذور الكتان أو في نهاية العملية. وكان هناك جودة أخرى للزيت وهي 'وِحِمْ' أي 'إعادة' وهي درجة أقل في الجودة حيث تمثل الزيت الذي استخرج مع إعادة عملية عصر البذور. منذ عهد نعرمر بدأت المنتجات تدون على لوحات أكبر والتي تسمى بصلايات الحوليات وكانت تشمل على مزيد من التفاصيل مع ذكر التاريخ عن طريق اسم السنة وأهم الأحداث التي وقعت بها. ولم تكن تسمية السنة بالأحداث التي وقعت بها بدعة مصرية ولكنها أُستخدمت كذلك في بلاد ما بين النهرين في الألفية الثالثة، ويمكن مقارنة ذلك أيضًا بعملية تمييز السنة وتسميتها تبعاً لاسم القنصل الحاكم في روما أو في المدن الإغريقية، كذلك في العصور التالية حيث جاءت عملية تحديد حدث جلل كنقطة انطلاق لحساب السنوات والتأريخ مثل خلق العالم، وتأسيس روما، ومولد السيد المسيح، وميلاد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

إن أول نموذج من 'لوحات أو بطاقات الحوليات' للملك نعرمر عُثر عليه 1996 أثناء عملية نخل أكوام الرمال جنوب المقابر





(شكل 9أ-ب) بطاقة الحوليات للملك نعرمر (أبيدوس)

المجاورة لمقبرة الملك عحا. كانت البطاقة من العاج وأظهر النقش الدقيق عليها بقايا من اللون الأسود (شكل 9أ-ب).

نرى أسفل الثقب على اليمين في الجزء العلوي من البطاقة الاسم الحوري للملك نعرمر (الصقر حورس يعلو واجهة القصر وبداخله الاسم: سمك القرموط 'نعر' + الإزميل 'مر' = نعرمر). ويظهر الحدث الأهم في العام على اليسار عن طريق اسم الملك: سمك القرموط، وله يدان يمسك بإحداهما دبوس القتال ضاربًا، وبيده الأخرى يمسك برأس عدو تخرج من نبات البردي. إن الكتابة الهيروغليفية الخاصة بالعدو المهزوم تعتبر كافية في هذه الحالة لفهم المراد منها، كما أن نباتات البردي هنا توضح أن الانتصار كان على شعوب الدلتا. وبالقرب من رأس العدو هناك علامة أخرى لآنية صغيرة لها المدلول الصوتي 'نو' كمتمم صوتي (مساعدة للقراءة) يساعد على قراءة شكل العدو 'تِحنُو'، وهذا الاسم الذي سيطلق على الليبيين بعد ذلك والذين كانوا غالبًا حتى هذا الوقت يسكنون غرب الدلتا.

نجد يسار الأزميل الذي يمثل اسم الملك لواء الصقر كممثل لطابور من حملة الألوية والذي يخرج من القصر والذي يعلوه أنثى النسر الحامية للمكان. هذه العلامة ليس لها مدلول صوتي ولكنها تشير إلى احتفالات النصر. إن الاسم الذي تم إعطائه لهذه السنة -وهو المشابه تمامًا لذلك على صلاية نعرمر المشهورة- هو: 'نعرمر يهزم أهالي تحنو واحتفالات النصر'.

في السطر السفلي ورد ذكر نوع الزيت وكميته: 'حات' (نوع ممتاز) 300 وخلفه ورد غالبًا ذكر مصدر الزيت.



(شكل 10) بطاقة الحوليات للملك ديوين (أبيدوس).


أ


ب

(شكل 11أ–ب) بطاقة الحوليات للملك 'كا-عا' (أبيدوس)

مع بداية الأسرة الأولى احتاجت الإدارة على ما يبدو مزيدًا من البيانات حيث ظهرت مع اسم السنة عدة أحداث مختلفة، هذا بالإضافة إلى ذكر الموظفين المسئولين عن عملية الإنتاج ونقل البضائع. وعلى لوحة من عهد الملك 'ديوين' والتي تنتمي لعملية نقل اللحوم نجد في اسم العام (الخانة اليمنى) (شكل 10) حصرًا لعدة طقوس كأحداث هامة:

'رحلة الإلهة ربوت في البحيرة/ضرب الثور البري بالرماح في غابة بوتو (ثلاث أشجار)، تكبيل الأعداء'.

إن رحلة الإلهة الجالسة على محفة في مركب (مركب على البحيرة) كتبت بما يسمى 'المصدر القصصي' وهو الأسلوب المستخدم في كتابة الأحداث والقصص، ولأول مرة يظهر حرف الجر 'حر' بمعنى 'على' (رأس صغير صُوِّر بالمواجهة) وذلك على يمين العلامة التي تدل على بحيرة (عبارة عن مستطيل صغير مقسم). في الخانة اليسرى نجد عملية التدوين الإداري: المسئول عن توريد اللحوم (اللحم على مذبح) يظهر أعلى ما يسمى بلقب السيدتين للملك.

وكان للطقوس –مثل الأعياد، أو تأسيس مبنى أو صنع تمثال للآلهة– نفس الوزن والأهمية مثل الانتصار والمشاريع الرسمية، كما كانت لها الأولوية كذلك وكانت السنة تستمد اسمها من هذه الأحداث.

كما أن الأحداث المكررة يتم حصرها. فعلى لوحة لـ 'كا-عا' آخر ملوك الأسرة الأولى نجد مثلاً ذكر عدة حملات لإحضار الأخشاب. ونجد على هذه اللوحة ذات العلامات الملونة (شكل 11أ):

العمود الأيمن: التفتيش (الأول) من قبل نجارين ملك مصر السفلى (لعملية جلب) خشب السنط.

العمود الأوسط: حورس قا-عا، حديقة القصر في سخ، زيت أدشاش عالي الجودة.

العمود الشمال: (الموظف): رئيس نجارين ملك مصر العليا 'حنو كا'.

نجد في سنة تالية مسمى مشابهًا ولكن بإضافة حدث آخر في اسم السنة (شكل 11ب): 'التفتيش السادس من قبل مراقبة نجارين مللك مصر السفلى لعملية جلب خشب السنط وخشب الصنوبر - توريدات مصر السفلى والعليا'.

في هذا المثال نجد أنواعًا أخرى من الزيت وإدارات التوريد، وبجانب الموظف المسئول الذي تم ذكره سابقًا 'حنو كا' نجد آخرًا يدعى 'نفر'.

بعد عصر الأسرة الأولى اختفت بطاقات الحوليات ولكن ظل استخدام أسماء السنوات مثلاً على الأواني الحجرية وفي البرديات، وظهرت قوائم يكون وصف السنة فيها بالتأكيد تبعا لحكم الملك. هذا الأسلوب نجده على الآثار الهامة الخاصة بتأريخ الأسرة الأولى والتي تسمى 'حجر الحوليات' والذي لم يبقَ منه للأسف غير أجزاء قليلة (بالرمو، والقاهرة، ولندن).

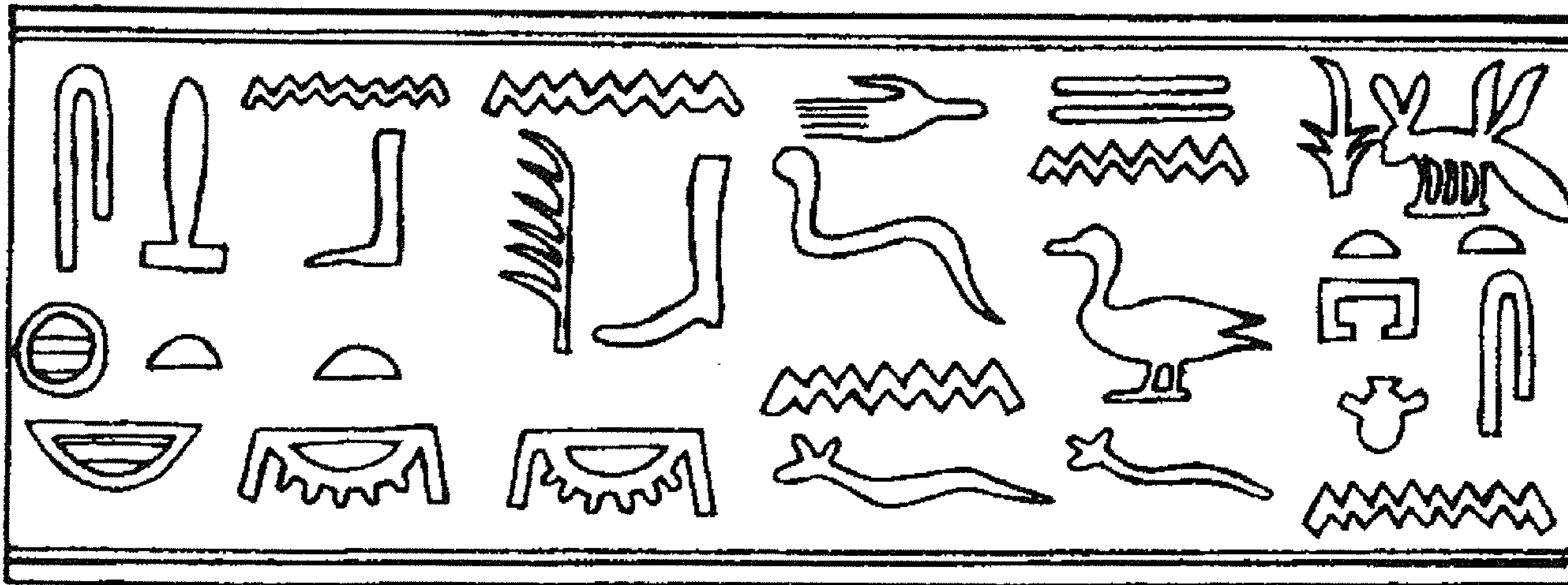
ويبقى سؤال عن مدى استخدام الكتابة في العصر العتيق خارج نطاق الإدارة سؤالاً بدون إجابة نظرًا لقلة المصادر من



(شكل 12) مشط من العاج للملكة 'إيما-إيب'، زوجة الملك عحا، (أبيدوس)



(شكل 13) لوحة خاصة من مقبرة ثانوية للملك ديوين، (أبيدوس)



(شكل 14) ختم الملك بر-إيب-سن (الأسرة الثانية)

هذا العصر، وباستثناء النصوص البسيطة الموضحة على بعض القطع الأثرية -مثل لوحات الاحتفالات الكبيرة- نجد إنه لم يظهر في أواخر عصر ما قبل الأسرات والأسرة الأولى تقريبًا إلا أسماء أفراد، ألقاب ومؤسسات على القطع المختلفة وعلى شواهد القبور (شكلا 12، 13). على أية حال يمكن التأكيد على أن المعرفة بالكتابة كانت محصورة في دائرة صغيرة جدًا من الأشخاص.

إن أول نموذج عثر عليه من البردي كان من مقبرة من الأسرة الأولى بسقارة وكان بدون كتابة، أما أول دليل على جملة كاملة مكتوبة نجده في أواخر الأسرة الثانية على ختم لموظف من عهد الملك 'بر إيب سن' (شكل 14)

'خاتم كل الأشياء الذهبية - (الإله) الذهبي، أعطى الأرضين إلى ابنه ملك مصر العليا والسفلى بر-إيب-سن'

الهوامش

* يتوجه المحرر بالشكر والعرفان للدكتور خالد الجوادي (كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان) لترجمة المقال من الألمانية إلى العربية، كما يتوجه المحرر بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور ممدوح الدماطي (عميد كلية الآداب، جامعة عين شمس) لمراجعة الترجمة.

G. Dreyer, *Umm el-Qaab I. Das prädynastische Königsgrab U-j und seine frühen Schriftzeugnisse*, *AV* 86 (Mainz, 1998).

الكتابة واللغة في مصر القديمة *

خالد داوود

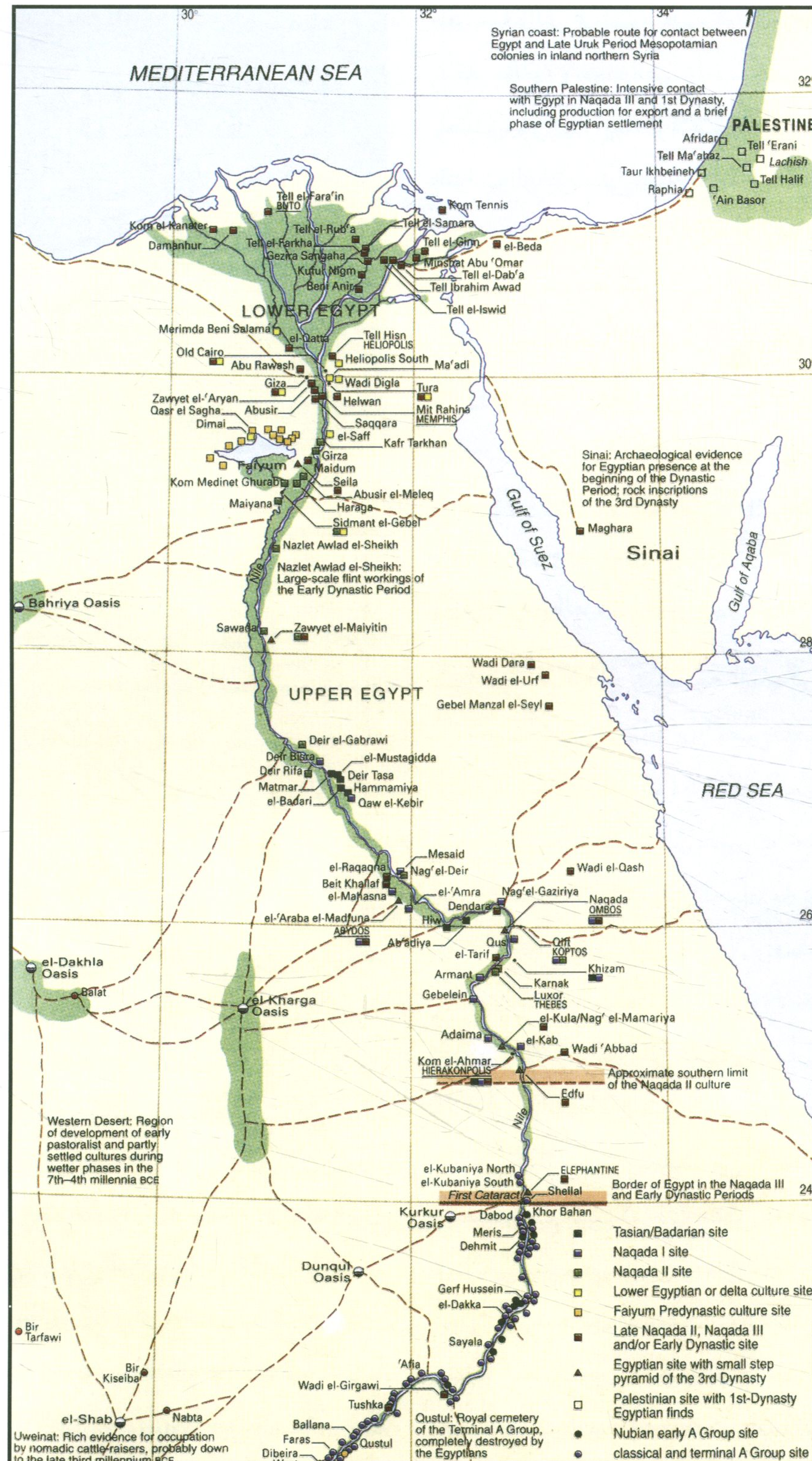
امتدت الحضارة المصرية القديمة في الفترة من عام 5500 إلى عام 30 قبل الميلاد، وشغلت هذه الحضارة منطقة وادي ودلتا نهر النيل شمال الجندل الأول في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، تحدها الصحراء في الغرب، والشرق، والجنوب، والبحر في الشمال والشرق، ولقد شكّل وادي النيل ملامح الدولة المصرية حيث كانت أرض مصر غنية وثرية بكافة أنواع مصادرها بما تضمنته من وفرة الثروة السمكية، والطيور، والحيوانات الأليفة والبرية. كذلك تمتعت أرض مصر بوفرة الثروة المعدنية بما فيها أنواع الأحجار والمعادن خاصة الذهب في الصحراء الشرقية. أما الشيء الأكثر أهمية، فهو وجود الفيضان الذي يثري الأراضي الزراعية كل عام بطمي جديد. ولقد ترك شعب مصر من ورائه الكثير من الآثار المنقوشة بكتابات تعرف الآن باسم الهيروغليفية المصرية؛ فلقد استخدم المصريون القدماء هذا النظام من الكتابة التصويرية لتدوين لغتهم، وتسجيل كل مظاهر حضارتهم. وتخبرنا هذه الكتابات عن الكيفية التي حكم بها المصريون أرضهم وشعبهم، وعن عقائدهم، وعن أحلامهم، وعن آمالهم. وبالرغم من تمكننا من قراءة الهيروغليفية، فإن هذا لا يعني أننا نعلم كل شيء عن مصر القديمة؛ فمن ناحية بقيت لنا هذه الكتابات المدونة قدرًا وعرضًا دون قصد، وبالتالي فإن ما تبقى هو جزء من المدونات الأصلية، ومن ناحية أخرى سجلت ودونت هذه الكتابات الجوانب التي رأى المصريون القدماء من وجهة نظرهم أنها ذات أهمية. لكن وعلى الرغم من ذلك كله، فإن هذه الكتابات توفر لنا نقطة التقاء وتفاعل مع أفكار وعقول المصريين القدماء. (شكل1)

اللغة المصرية القديمة كلغة أفرو-آسيوية

تنتمي اللغة المصرية القديمة إلى عائلة اللغات الأفرو-آسيوية، وهي العائلة التي ينتمي إليها العديد من اللغات القديمة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وتتمثل الأفرع الرئيسية لهذه العائلة في:

1 - اللغة المصرية القديمة (متضمنة القبطية)

2- اللغات السامية، والتي تضم قسم اللغات القديمة الأكادية (والتي أصبحت فيما بعد البابلية، والأشورية)، الإيبلاوية، العمورية، والعديد من اللهجات الكنعانية (الأوجاريتية،والفينيقية، والعبرية)، الآرامية، والسريانية، والإثيوبية(متضمنةالأمهرية، والجعزية)، العربية (السبئية، والصفوية، والنبطية، والحميرية، والعربية القرآنية)، ثم قسم اللغات الحديثة العربية (بلهجاتها المتعددة)، الأمهرية (وبعض اللغات الإثيوبية الأخرى)، العبرية.



(شكل 1) مصر القديمة.

3 - اللغات الليبية-البربرية، والتي تضم لغات: الطوارق، والشلش، والأمازيغية.

4 - اللغات الكوشية والتي تضم لغات: بيجا، وساحو أفار، والصومالية، والأرورمو.

5 - اللغات التشادية: وتضم بصفة رئيسية لغة الهوسا.

6 - اللغات الأوموتيكية (وهي مسار خلاف وجدل).

يعوق الدراسات المقارنة لهذه العائلة اللغوية –وبالأخص موقع اللغة المصرية القديمة فيها– العديد من الاختلافات المعرفية لهذه اللغات؛ فالبعض يمتلك تاريخًا طويلاً من التدوين، وتمت دراسته بشكل مكثف ومركز وهي (اللغات السامية)، في حين أن بعض اللغات الأخرى قد أصبحت الآن في هذه الأيام معروفة مثل (اللغات الأرورمية في إثيوبيا، وكينيا، والصومال)، أو أن هذه اللغات ذات تراث مكتوب ضئيل ومقتضب مثل (لغات البربر). ولا يوجد حاليًا أي لغة قريبة أو مشابهة للغة المصرية القديمة في داخل عائلة اللغات الأفرو-أسيوية (حيث تقف بمفردها في هذا الفرع من العائلة).

وعلى الرغم من أن العديد من اللغات قد انقرضت في هذه العائلة (بما فيها اللغة المصرية القديمة)، وأن البعض الآخر قد انتشر في مناطق لم يكن موجودًا بها من ذي قبل مثل (العربية)، إلا أنه يبدو أن هذه اللغات قد كانت مستخدمة بشكل مكثف في الحديث في نفس مناطق انتشارها، على الأقل حتى حلول ما يعرف باسم 'الثورة الزراعية'، وانتشارها في الألفية التالية لنهاية العصر الجليدي. وعلى أساس الدراسات المقارنة، يبدو من الواضح أن العديد من الأفرع اللغوية قد أصبحت متميزة وواضحة المعالم لفترة معينة من الوقت قرب نشأة تاريخها المكتوب (حوالي 3000 - 2500 قبل الميلاد). وتقع مصر في نقطة التقاء منطقتين جغرافيتين رئيسيتين: شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وهو ما ينعكس على اللغة المصرية القديمة في وجود بعض الخصائص النحوية والأجرومية في لغات جيرانها. وقد ركزت معظم الدراسات المقارنة حتى الوقت الراهن على تماثل وتطابق الكلمات، أي (وجود سمات لغوية يشترك فيها بعض الناطقين بلهجة ما Isoglosses) بين اللغات المختلفة، على سبيل المثال: الضمير أنا، يقرأ في اللغة المصرية القديمة *ỉnk* (يقرأ 'أنك'، وفي القبطية 'أنوك')، ثم في الأورومية 'أنا'، وفي الهوسا 'ني'، وفي الأمازيغية 'نِك'، وفي الصومالية 'أنيجا'، وفي العربية 'أنا'، وفي الأكادية 'أناكو'، وفي الإيبلاوية 'أنـ(ن)ـا'. كذلك الكلمة *ḫnt* في المصرية القديمة 'وجه، جبهة'، تنطق في لغة الهوسا 'هانسي' بمعنى 'أنف'، وفي العربية 'خنق' أي 'يتحدث من الأنف'.

دراسة الدلائل النصية المبكرة

أُستخدمت الكتابة في مقابر عصر الأسرات المبكر في أبيدوس بعناية فائقة، لكن هذه المقابر كانت على ما يبدو نماذج مصغرة من منازل الملوك، حيث احتوت هذه المقابر على احتياجات المتوفى لحياة ما بعد الموت. تنوعت هذه الاحتياجات فيما بين أطعمة وأقمشة، إلى زيوت وبضائع مستوردة تليق بالملك في الحياة الأخرى، وبذلك يظهر الملك كوريث للآلهة. كان من الضروري أن يتم تسجيل ملكية هذه الأدوات والعناصر حتى لا يتم الطعن في ملكيتها وحيازتها، وكان من الضروري والحتمي كذلك أن يتم تسجيل كميات ومصدر هذه البضائع حتى يمكن معرفة ما تم وضعه في المقبرة، وبالتالي يتم خصمه من رصيد مخازن القصور الملكية، وهذا يعني أن سجلات المقابر سوف تُقارن مع مثيلاتها الخاصة بمخازن القصور الملكية، ليتم جدولة وتسجيل خروج هذه البضائع من المخازن الملكية. فمما لا شك فيه أن المخازن الملكية قد احتوت على بضائع من أماكن شتى، وبالتالي فإن

كل مخزن كان لديه سجلاته الخاصة به لتدوَّن بها الضرائب والجزية التي كانت تدفع حسب أوامر الملك، وكذلك تاريخ إرسالها إلى المخازن الملكية. كانت المقبرة هي رأس الأمر في دولة مؤسسات كبيرة، وكان استخدام الكتابة في هذه المقابر يشير إلى وجود جهاز محاسبي ضخم يقف خلف هذه المؤسسات.

يبدو من غير المقنع الاعتقاد بأن اختراع الكتابة جاء بغرض تسجيل الضرائب، لكن أيما كان يتم تسجيله سواءًا للحياة الأخرى أو للتخزين اليومي، فإنه يعتبر جزءًا من نفس العملية. وكانت المقبرة تمثل بؤرة الاهتمام حيث تتم بها مظاهر عبادة الملك المتوفى؛ فلم تكن فقط وسيلة لنقله إلى عالم أو فلك آخر يلتقي فيه أجداده الآلهة، بل كانت المقبرة بمثابة مظهر لقوة الملك ومكانته. وفي هذا الإطار، يركز تصميم المقبرة على استعادة القوة والحياة إلى روح الملك، والتي كانت تتأكد بدورها من خلال تواجد اسم الملك مكتوبًا بالهيروغليفية.

بطاقة الملك دن-أبيدوس

يعتبر الملك ‘دن‘ أحد أوائل ملوك مصر العظام، تولى مقاليد السلطة حوالي عام 2800 قبل الميلاد، حيث حكم مصر كمملكة متحدة ذات عاصمة مركزية وهي مدينة ‘إنب حدج‘ أي ‘الجدار الأبيض‘، وهي مدينة منف حاليًا بينما تعتبر مقبرة هذا الملك في أبيدوس مثالاً جيدًا على مدى تطور وإنتاج الكتابة في تلك الفترة. وكان يوجد في مدخل المقبرة لوحتان جنائزيتان صُنع كل منهما من قطعة حجرية واحدة، وقد نقشتا باسم الملك فقط، والذي تمت كتابته داخل مستطيل ‘السرخ‘، يقف أعلاه صقر يمثل المعبود حورس. في داخل هذا السرخ توجد اثنتان من العلامات الهيروغليفية تتهجى اسم الملك: الأولى هي علامة تمثل ‘يد إنسان‘، والثانية تمثل ‘موجة ماء‘،





(شكل 2) بطاقة الملك دن. ©Trustees of the British Museum

وبداخل المقبرة تم العثور على العديد من الجرار المختومة، والبطاقات المنقوشة باسم ثانٍ للملك؛ وهو إما أن يقرأ ‘خا سيتي‘، وإما ‘سيمتي‘.

تسجل بعض هذه البطاقات ‘أحداثًا‘ أو ‘احتفالات‘ تمت خلال فترة حكم الملك، واستخدمت كتأريخ لسنوات حكم الملك، وتسجل هذه الأحداث أو الاحتفالات أشكالًا عن الأساطير الحية التي تشكل حياة ملك ناجح. وإذا ما تمت دراسة إحدى بطاقات الملك ‘دن‘ والتي عثر عليها في أبيدوس، نلاحظ مدى التطور الذي وصل إليه استخدام

الصور والرموز في عملية الكتابة. وتوجد هذه البطاقة في المتحف البريطاني، تحت رقم 32.650 ويبلغ طولها 8 سم، وعرضها 5.4 سم، ويقرأ النص المدوَّن عليها من اليمين إلى اليسار. ويوجد في أقصى يمين هذه اللافتة الثقب الذي تعلق منه، أما العلامة الرأسية الطويلة في أقصى اليمين، والتي هي عبارة عن فرع نخلة مُسَنن:

فهي تعني 'عام أو سنة'، وبالتالي تقرأ: 'عام ...'

يوضح لنا المنظر الموجود في أقصى اليمين شكلًا لأحد الأشخاص وهو جالس على منصة مُدَرجَة بداخل مقصورة، ويرتدي التاج الأبيض ويمسك في قبضته بالمذبة، ويوجد أمام هذا الشكل شخص آخر يرتدي التاج المزدوج (تاج الشمال والجنوب) ممسكًا بمذبة وبصولجان يلتف حول مجموعتين من العلامات النصف كروية. ويمثل هذا الحدث الاحتفال بعيد 'سد'، حيث يعتبر ذلك العيد المناسبة التي يثبت فيها الملك قوته وقدرته على الحكم بعد فترة من جلوسه على عرش البلاد، ويتم ذلك من خلال جري الملك حول مضمار محدد.

أما المنظر السفلي فهو أقل وضوحًا، لكن على ما يبدو أنه يبرز شكلاً لسياج أو لسور يحتوي على العديد من العلامات الهيروغليفية، ربما كانت تمثل هذه العلامات اسمًا لإحدى المدن. إلى اليسار، نجد شكلاً جثومًا لإحدى السيدات، وأمامها يوجد مجموعة من العلامات الهيروغليفية ربما كانت تدل على اسمها. ويوجد خلف هذه السيدة رجل يرتدي غطاء رأس، ويحمل مجدافًا وعصا، وإلى الأعلى منه توجد ثلاث علامات هيروغليفية تبرز شكل مركب بأرجل آدمية، وكذلك علامة هيروغليفية تمثل لفة قماش، وأخرى تمثل طائر العقاب. أما إلى الخلف من هذا الرجل، فنجد العلامتين العلويتين توضحان الاسم الثاني للملك 'دن'، أما العلامة السفلية فتمثل نوعًا من الأضرحة المحمولة للملك. يظهر المنظر السفلي مدمرًا، وقد احتوى على علامات هيروغليفية تمثل طائرًا، وأرضًا، ونباتًا. أما المساحة المتسعة إلى اليسار، فقد احتوت على 'السرخ'، ويحمل بداخله اسم الملك 'دن'، وإلى اليسار منه يوجد أحد الألقاب وهو 'حامل أختام ملك مصر السفلى' وبجانبه الاسم 'حمكا'، وقد كتبت بواسطة 'شريط قماش مضفر، ومنجل، وذراعين'، حيث يعتبر 'حمكا' أحد أكثر موظفي الملك 'دن' تأثيرًا وأهمية.

إلى اليسار، نجد شكلاً مستطيلاً آخر يحتوي على عدة علامات هيروغليفية، عبرت الأخيرة منها عن الفعل 'يبني'. وإلى الأسفل نجد كلمة تحمل معنى 'بيت الملك'، أما عن العلامة الهيروغليفية التي توجد في الجزء السفلي على اليسار فهي تعني 'عرش حورس'. ومن المحتمل أن دلالة استخدام هذه البطاقة كوسيط للتسجيل يفوق إستخدامها كبطاقة تلصق على جرة زيت، فمن المحتمل أنها استخدمت لتسجيل تاريخ إنتاج، أو تحديد مصدر إحدى البضائع. من ناحية أخرى، ربما قد ارتبط الزيت من الناحية الرمزية بالأحداث المصورة، فإما أن يكون مخصصًا للدهان، أو إما مخصصًا للتقدمة. تسجل البطاقة السنة التي أقيم فيها احتفال 'سد'، وكذلك تسجل احتفال 'المدخل الجميل'، ومن المحتمل أنها تسجل شيئًا يخص بناء قصر الملك، وكما يتضح من تفسير ذلك الجزء، فإن العلامات الهيروغليفية تعتبر نظامًا كتابيًا متكاملاً نظرًا لغزارة المعلومات التي تدلل عليها.

يوجد في مقبرة الملك 'دن'، إحدى وثلاثون قطعة مما يعرف باسم 'بطاقات الحوليات'، وهي تخبرنا عن أحداث عديدة، مثل 'رحلة ريبوت إلى البحيرة'، أو 'رحلة صيد ثور بري بالقرب من مدينة بوتو'. وهناك تقليد واضح متبع في تسجيل الأحداث يراعي كل الأهداف التعبدية، والفوائد الاقتصادية. وقد تم العثور كذلك على بعض القطع المنقوشة

في مقبرة الملك ’دن‘؛ ومنها لوحة نقش بها أسماء الأشخاص الذين دُفنوا مع الملك، وبعض قطع الألعاب المنقوشة، وكذلك أختام الجرار. تُردد بعض من هذه البطاقات ’طقوسًا شعائرية‘ مثلما يقوم ملك مصر السفلى برمي فرس النهر برمح، وهو بالطبع يسجل اسم الملك عليه. أما عن أكثر قطع مقبرة الملك ’دن‘ إثارة وتشويقًا، فهي غطاء صندوق، مصنوع من العاج، يخص أحد الأفراد سجل عليه ختم وظيفته. هناك كذلك إشارة خفية تظهر في المعابد، حيث يعتمد إظهار قوة الملك على مدى تداخل وتكامل الكتابة الهيروغليفية، ومدى تنسيق وتنظيم تصوير الطقوس، أو إحياء ذكرى حدثٍ ما.

تعتبر لوحة نعرمر أشهر الأمثلة التي تخلد ذكرى حدث ما؛ والتي تعود إلى فترة الأسرة 0-1، (3100 قبل الميلاد تقريبًا)، وصُنعت هذه اللوحة من حجر الإردواز، وقد زُخرفت بالنقش البارز، وقد عثر عليها في مدينة نخن. وتظهر هذه اللوحة الملك نعرمر كملك لمصر العليا والسفلى، وقد كتب اسمه بالعلامتين الهيروغليفيتين سمكة القرموط، والوتد. وتظهر هذه الصلاية الملك نعرمر، الذي ربما كان مركز حكمه مدينة نخن، وهو يقتل عدوه، الذي صُور بهيئة مختلفة. ولم تصور هذه الصلاية لحظة سقوط العدو قتيلاً، وذلك حتى يُمثل الملك بأنه هو الذي يمنح ويقبض الحياة. أما عن ملك مصر السفلى،



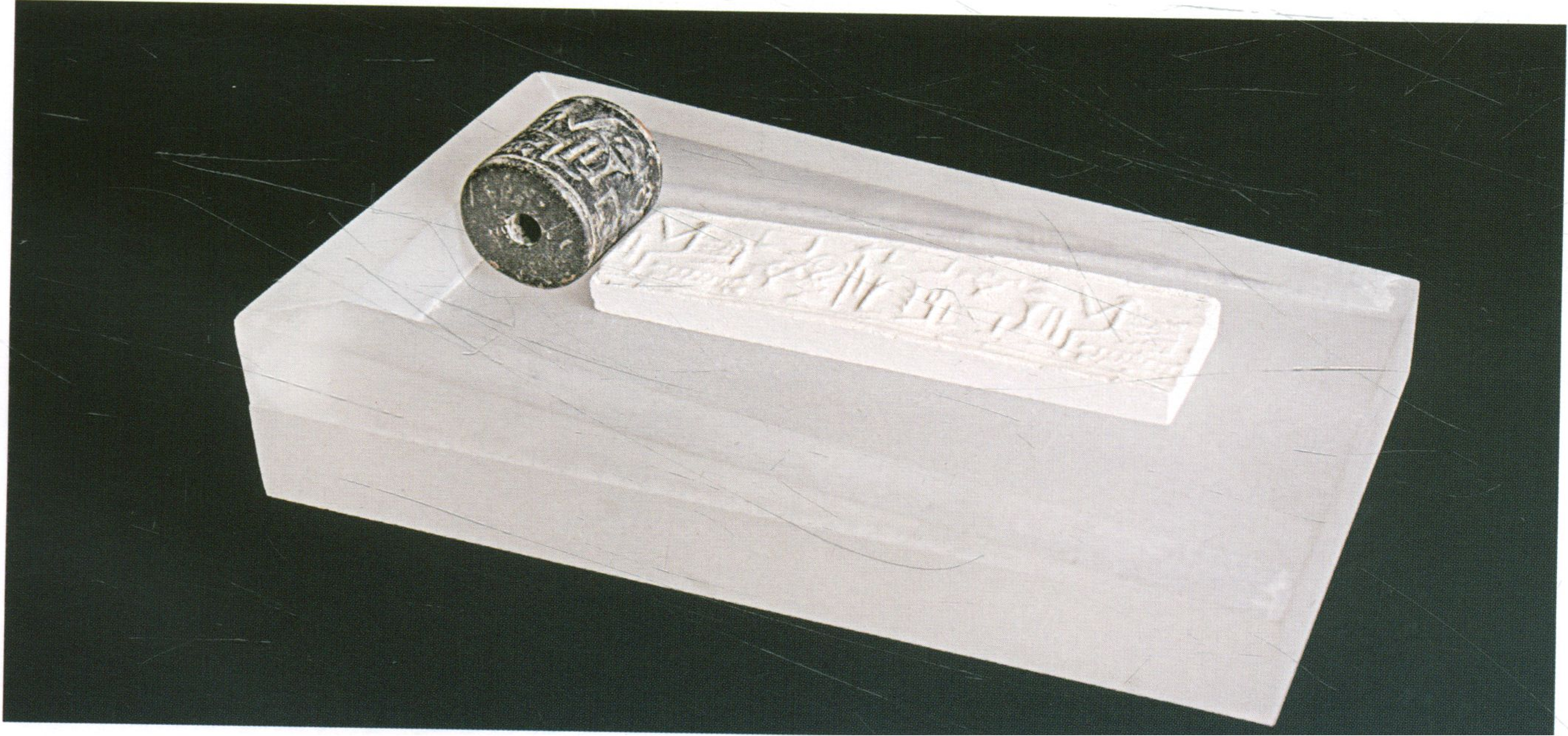
(شكل 3) لوحة الملك نعرمر. © المتحف المصري

والذي كان ربما مركز حكمه مدينة نوبت (أمبوس)، فقد صور وهو يستعرض قواه من خلال تَفَقُّده لأجساد أعدائه المنزوعة الرأس، وقد وقف خلف الملك حامل الصندل الملكي، وكذلك شخص يرتدي شعرًا مستعارًا كثيفًا، وحلية من جلد النمر، وربما كان هذا الشخص هو كبير وزرائه، أو كبير الكهنة.

تعتبر طبعات الأختام في حد ذاتها ذات أهمية؛ حيث تستخدم كوسيلة سهلة لتكرار العلامات المدونة، فيمكن استخدام ختم واحد لإنتاج عدد ضخم من الطبعات، ولقد بقيت بعض من هذه الأختام المبكرة محفوظة لنا في شكل أسطوانة مصنوعة إما من الحجر أو الخشب، ويتميز 'الختم الأسطواني' بوجود ثقب يمر عبر مركزه أو منتصفه، أما السطح الخارجي فكانت الكتابة تنقش عليه بالنقش الغائر، والتي كانت في أحيان كثيرة تعبر عن اسم الملك، أو بعض الكلمات الأخرى، أو منظر ما. وحينما كانت توضع عصا أو ما شابه في هذا الثقب، فإنه كان يمكن أن يلف الختم على طبقة من الطين المبلل، فيطبع النقش الموجود على الختم على سطح الطين المبلل. وبالرغم من استخدام مصر لهذه الطريقة المعتادة في ختم الجرار، فإنها ربما كانت ذات أصول بحر متوسطية، وتقودنا فكرة تبني مصر للأختام الاسطوانية إلى الاقتراح الذي ينادي بأن فكرة الكتابة، وخاصة المصورة (هيروغليفية) تعود في الأصل إلى بلاد ما بين النهرين.

الحافز والسلطة

استخدمت الكتابة في مقبرة الملك 'دن' بغرض التحديد والتعريف، وبغرض تسجيل وتدوين طقوس العبادة الخاصة بالملك، ولقد تطور الاحتفال بذكرى هذه الطقوس إلى نوع من التعبد، وتعتبر آثار مقابر عصر الأسرات المبكر ومعابد عصر الأسرات هي الدليل الأثري الوحيد لدينا عليها؛ مما يوحي بأن الكتابة قد استخدمت في منشآت الوادي والدلتا بشيء أكثر ندرة في الاحتفالات الملكية. لكنه ليس الحال في كل مكان، على الرغم من قيام المراكز الإدارية الرئيسية في مصر بتدوين



(شكل 4) خاتم أسطواني. © المتحف المصري.

أنواع عديدة من الوثائق، والتي لم تبقَ حتى الآن. في الحقيقة، اعتمد نجاح الدولة المصرية على التنظيم الشامل للفائض من الإنتاج الزراعي، والذي كان يستخدم في إطعام من يعملون في مشروعات الملك غير الزراعية، مثل الصناع، والموظفين، والجنود، وأعضاء البلاط الملكي، والبعثات التعدينية.

وقد اعتمد تقويم السنة على حدث فلكي متفرد، ففي لحظة بدء الفيضان، يمكن رؤية نجم الشعرى اليماني بعد انقطاع دام سبعين يومًا. ويشير هذا التقابل إلى بداية السنة الإدارية، أي بداية تسجيل كل الأحداث. ويبدأ الفيضان على الأرجح في منتصف شهر يوليو، حيث يغطي وادي النيل والدلتا لمدة تقرب من الثلاثة أشهر، ثم تبدأ المياه بعدها في الانحسار. كان المستوى الأمثل لمنسوب مياه الفيضان هو 20 ذراعًا (10 أمتار) عند مدينة أسوان، و12 ذراعًا (6 أمتار) بالقرب من مدينة القاهرة، وحوالي 7 أذرع (3.5 متر) في منطقة الدلتا. أما إذا تجاوز منسوب المياه هذا المستوى، فإن خطر الغرق والتدمير يهدد المنازل والزراعات، لكن إذا جاء منسوب المياه أقل من المتوقع، فإن الكثير من الأراضي الزراعية تتعرض للجفاف، وبالتالي لا يمكن إنتاج كميات الأغذية المطلوبة. كانت مدينة أسوان إحدى النقاط الرئيسية لقياس مستوى منسوب مياه الفيضان، وبمجرد قياس موظفي الملك لمنسوب المياه، يمكن حساب قيمة الضرائب المفروضة على الشعب اعتمادًا على السجلات السابقة، وكذلك يمكن تحديد ماهية المشروعات التي ستنفذ لإعلاء مجد الملك. كانت العوائد الضريبية تقسم إلى وحدات، وبذلك يمكن للكُتّاب مع بدء المياه في الانحسار تحديد وتخصيص قطع الأراضي الزراعية للفلاحين، والمحصول المتوقع إنتاجه. ومع وضوح المؤشر الأول للفيضان في أسوان، يعرف الملك نوعية الأبنية التي يتحتم عليه تشييدها، وكذلك عدد الصناع والمتخصصين للعمل، وربما عدد الحملات الخارجية التي يمكن القيام بها. أما في أوقات انخفاض الفيضان، فإن الملك يقيِم احتياجاته من أجل الاقتصاد في موارده، وربما تخفيض أعماله التشييدية وهباته للمعابد. كل هذا كان يتم من خلال سجلات شديدة الدقة، وقد ارتبطت الأسباب الأيديولوجية لتطور الكتابة بتسجيل هذه المعلومات من أجل تأسيس منزلة رفيعة ووضع شرعي للملك أثناء حياته، ومستقبلاً في عالم الآلهة.

الكتابة الهيروغليفية واللغة المصرية

اللغة هي نظام دائم التغير والتطور، فهناك من الكلمات الحديثة ما يبتكر، ومن المفردات القديمة ما يندثر، ومن المعاني والألفاظ ما يتغير، ومن بنية الكلمات ما يتحول، ومن قواعد اللغة ما يتطور، وهو نفس ما حدث للغة المصرية القديمة لغةً وكتابةً. لقد ساعد تكوين الدولة المصرية الموحدة بكل تأكيد على تطور نظام الكتابة، وعلى إنشاء سجلات دقيقة تخدم مصالح الملك وبلاطه، فتخبر الروايات أن الملك مينا، 'المؤسس'، قد قام بتأسيس عاصمة لمصر وهي مدينة منف عند رأس الدلتا، وقد اُعتبرت مركز المملكة الإداري. وليس من قبيل الصدفة أن يكون رب منف هو المعبود بتاح، والذي اعتقد المصريون القدماء بأنه قد خلق العالم من خلال تفكيره في أسماء الأشياء، فعندما نطق بها جاءت إلى الوجود.

الكتابة هي إحدى طرق إبداع وتدوين الأفكار في شكل مادي، أو بطريقة ملموسة، فلقد نقل الكتاب والموظفون في مدينة منف بذور المعرفة إلى أبنائهم، مما سمح بتكوين وتأسيس طبقة متميزة من الموظفين المتعلمين. كان هناك فارق، منذ البدايات المبكرة للكتابة، بين الكتابة الهيروغليفية، والكتابة المختصرة، والكتابة الخطية الهيراطيقية، والتي قد اُستخدمت في الحياة اليومية على نطاق واسع. استخدم المصريون القدماء الكلمة

'medu-netjer' للتعبير عن كتابتهم التصويرية، والتي تعني 'الكلمات المقدسة'، وعلى ما يبدو أن هذا هو الاستخدام الأول للكتابة الهيروغليفية: الاتصال بين المصريين ومعبوداتهم. كان تحقيق هذا ممكنًا في الأبنية، والتي ترتبط بصفة رئيسية بالمعبودات ومعابدهم، وبالأماكن التي يتم فيها الالتقاء بين عالم البشر وعالم المعبودات- أي المقابر، والجبانات. فضلاً عن النظرة التي كان يُنظر بها إلى الملك باعتباره وسيطًا بين البشر والمعبودات، فإن كل شيء رسمي أو أثري يتعلق بالملك كان يكتب في الأغلب بالكتابة الهيروغليفية.

كانت عملية حفر أو رسم العلامات الهيروغليفية مستغرقة ومستهلكة للوقت، خاصة إذا ما كان يجب على الكتبة رسم كل ريشة في العلامة التي تمثل طائرًا ما. لم تكن الكتابة الهيروغليفية ذات استخدام فعَّال بالنسبة لوقت الكاتب، حيث كانت سرعة عملية الكتابة بطيئة، لذلك قام المصريون القدماء بتطوير هذه الكتابة إلى ما يعرف باسم الكتابة الهيراطيقية. ولم تختلف اللغة المكتوبة بهذه الكتابة أو الخط عن مثيلاتها المدونة بالهيروغليفية، وقد استمر استخدام الكتابتين أو الخطين بالتوازي جنبًا إلى جنب، فالفارق بين الكتابتين يمكن ملاحظته من خلال الحروف 'الزخرفية' الموجودة في الكتابات القرآنية، وتلك 'المجردة' الموجودة في الكتابة 'المختصرة'. (شكل 5)

وبوجه عام، كلما كان النص المكتوب يتعلق بأثر (معبد، أو مقبرة، أو لوحة)، كان من المفضل أن يكتب بالكتابة الهيروغليفية. إذًا فاللغة المصرية القديمة كانت ذات طابع مزدوج كتابةً ولغةً. وكان هناك مجموعة من القيود تحكم استخدام الكتابة المصرية على الآثار: كيف تبدو، وكيف كانت تستخدم؟ وبالأخص هيئة هذه الكتابة التي كان لها وأن تكون عتيقة، وليست اصطناعية، ولقد تطلب الأمر نمطًا ما من



(شكل 5) علامات هيروغليفية ملونة. مقبرة رمسيس الرابع.

التواصل مع عالم المعبودات أينما استخدمت اللغة المصرية سواء لغةً أو كتابةً، فالهيروغليفية المصرية المُدونة على الآثار تعتبر لغةً رفيعة المنزلة والمرتبة.

العلامات الصوتية

لم يكن هناك 'أبجدية' مصرية حقيقية، كما نعرفها، لكن قام بعض علماء المصريات باختلاق أبجدية تستخدم كنقطة بداية في تعلم الهيروغليفية المصرية. يعود ترتيب هذه العلامات إلى تاريخ حديث، ويحتوي النظام اللغوي على

العديد من الأصوات التي لم تكن مسموعة في الإنجليزية من ذي قبل، وهو ما يتقارب مع وجهة نظر المؤرخ اليوناني بلوتارخ التي تقول بأن اللغة المصرية القديمة تحتوي على خمسة وعشرين حرفًا صامتًا، وتمثل هذه العلامات صوتًا صامتًا واحدًا، وقد كتبت هذه العلامات كما لو كان النص التي تظهر فيه يُقرأ من اليسار إلى اليمين. تبدأ قائمة العلامات بالأصوات التي تصنَّف على أنها أصوات صائتة في اللغة الإنجليزية، لكنها تعتبر أصواتًا صامتة في اللغة المصرية القديمة (العنصر الأَوَّلِي في الحديث)، ثم تُتبع هذه الأصوات بأصوات (شفوية)، أو حنكية، أو لسانية، أو حلقية، سواء كانت مجهورة أو مهموسة، لكن هذا لا يعتبر تصنيفًا للغة المصرية المستخدمة، بل هو نظام صوتي صناعي خالص من أجل استفادة دارسي اللغات الحديثة، وتصوير الصامت الأحادي (التعبير عن صوت واحد) في اللغة المصرية القديمة.

كما نعرف أن اللغة المصرية في العصر الوسيط تحتوي في المجمل على سبعمائة علامة، بالإضافة إلى وجود قائمة بأربعٍ وعشرين علامة، فمن الواضح إذًا أن هذه العلامات الأخرى، والمستخدمة من قبل المصريين القدماء، كانت تعبر عن نوعٍ آخر من الأصوات، بالإضافة إلى أنها كانت تستخدم للتعبير عن أفكار.

العلامات الصوتية والمعنى: العلامات التصويرية

تعتبر هذه المجموعة من العلامات كتابة تصويرية حقيقية، حيث إنها تعبر عن الشيء المُصوَّر ذاته والقيمة الصوتية المتصلة به، فعلى سبيل المثال: منزل *pr*، قلب *ib*. تكتب الشرطة الرأسية تحت العلامة للتعبير عن المعنى الحقيقي أو الأصلي للعلامة لإظهار أنها ليست علامات صوتية خالصة. تحتوي كل كلمة في اللغة المصرية القديمة على عدد من المخصصات ذات الأغراض المتعددة؛ فكلمة 'قطة' يمكن أن تكتب بالهيروغليفية [hieroglyphs] وتلعب كل علامة مستخدمة في كتابة هذه الكلمة دورًا مختلفًا؛ فالعلامات الثلاثة الأولى هي علامات صوتية لإرشاد القارئ إلى نطق الكلمة. جاءت العلامة الأولى –وهي عبارة عن زجاجة لبن يلتف حولها خيط– لتعبر عن العلامة الصوتية المزدوجة *mi*، وهي بذلك تسجل صوتين مثل في 'مي'. تعبر العلامة الثانية، وهي ورقة نبات، عن قيمة صوتية أحادية وهي 'يي'، وعندما أضيفت على العلامة الصوتية الثنائية *mi* أصبحت متممًا صوتيًا، وجاءت العلامة الثالثة، وهي فرخ السمان، بقيمة صوتية أحادية أيضًا وهي 'وو'. هذه العلامات تجعل الكلمة تنطق 'مي - يوو'، وبذلك يوحي نطق الكلمة بمعناها 'قطة'. لعبت العلامة الرابعة والأخيرة في هذه الكلمة دورًا مختلفًا، فالعلامة عبارة عن صورة لقطة جالسة، ويتلوى ذيلها إلى أعلى حتى يصل إلى ظهرها، كما يحدث في الواقع، وفي العديد من التماثيل البرونزية للقطط.

المخصصات

'تحدد أو تخصص' هذه العلامة معنى الكلمة ككل، لكنها بدون قيمة صوتية. فيما يخص الأسماء (أسماء الأشياء). تعتبر هذه المخصصات ذات فائدة كبيرة، حيث تبين نهاية وبداية الكلمات، خاصة وأن المصريين القدماء لم يعرفوا الفواصل أو الترقيم، إلا في بعض النقاط التي كانت تُكتب فوق السطور في الهيراطيقية المسجلة على فخار الدولة الحديثة. أما فيما يخص الأفعال (الكلمات التي تصف الأحداث)، كان هناك مجموعة أخرى من المخصصات التي تعكس نوع الحدث الموصوف، على سبيل المثال، المعبودة 'ماعت'. (شكل 6)

عادة ما يكون هذا المخصص لفافة من نبات البردي وقد ربطت بشريط. وإقرارًا بأن البرديات تحوي بداخلها المعرفة والكتابة، فمن الطبيعي أن يكون إستخدامها كمخصص أمرًا مقنعًا. تعتبر العلامة [hieroglyph] من المخصصات الشائعة الاستخدام



(شكل 6) نموذج لأحد المخصصات.

مع الكلمات التي يصعب تحديد المخصص الخاص بها، وفي الحقيقة يمكن استخدام لفة البردي كمخصص مع الكلمات التي تعبر عن الأفكار المجردة. لذلك فإن المخصص هو نوع من العلامات الجامعة، على سبيل المثال، كلمة *htp* 'حِتِبْ' 'يبتهج - يستريح'.

تعتبر المخصصات ذات أهمية بالغة أكثر من كونها علامات تدل على نهاية الكلمات، فهي تؤثر على معنى الكلمة بالكامل، ويمكن أن تضفي على الكلمات (أو لا تضفي) معنى إضافيًا يعتمد على سياق النص التي تستخدم فيه.

مراحل اللغة المصرية القديمة

ربما كان من المفيد أن نورد ملخصًا لتطور اللغة المصرية القديمة، قبل أن نناقشها بشيء من التفصيل:

الفترة الزمنية	المرحلة اللغوية	الكتابة المستخدمة
الدولة القديمة 2100-2700 ق.م	اللغة في العصر القديم	الهيروغليفية، الهيراطيقية
الدولة الوسطى 1700-2000 ق.م	اللغة في العصر الوسيط	الهيروغليفية، الهيراطيقية، الهيروغليفية المختصرة
الدولة الحديثة 1000-1500 ق.م	اللغة في العصر المتأخر اللغة في العصر الوسيط (مرحلة الدولة الحديثة)	الهيروغليفية، الهيراطيقية، الهيروغليفية المختصرة
العصر المتأخر 700 ق.م- 300م	الديموطيقي اللغة في العصر الوسيط (مرحلة العصر المتأخر)	الهيروغليفية، الهيراطيقية، الهيراطيقية الشاذة، الديموطيقية
العصر المسيحي، والعصر الإسلامي 300-1600م	القبطية	الأبجدية القبطية

اللغة المصرية في العصر القديم

يتحدد إطار معرفتنا باللغة المصرية القديمة بتطور الكتابة في مصر القديمة (وبالغرض الذي من أجله استخدمت الكتابة). يُؤرخ أقدم النقوش الباقية من مصر القديمة بنهاية عصر ما قبل الأسرات (حضارة نقادة الثالثة). وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه النقوش وتلك التي تعود إلى العصر العتيق (الأسرات من 1-2) كانت شديدة الاختصار والتقطع، وكانت في الأغلب غامضة وغير مفهومة، وأبعد من أن تنبأ عن 'أجرومية' للغة المصرية في ذلك الوقت. ولم يبدأ تحديد مرحلة اللغة المصرية في العصر القديم، إلا مع التطور الذي حدث في النقوش الجنائزية في عصر الدولة القديمة في الأسرتين الثالثة والرابعة، والتي كانت لا تزال تمامًا محدودة وتقليدية في المحتوى، حتى لو سلمنا بهذه الحقيقة، فإن الجزء الأكبر من معرفتنا باللغة المصرية في هذا العصر تأتي من أواخر عصر الدولة القديمة (الأسرتين الخامسة والسادسة حتى عصر الانتقال الأول)، ومصادرنا هي:

أ) النقوش الهيروغليفية الملكية على الآثار (متضمنة النصوص الجنائزية): وبصفة رئيسية نصوص الأهرامات المنقوشة على جدران غرفة الدفن في هرم الملك أوناس (الأسرة الخامسة)، والملوك تتي، وببي الأول، ومري إن رع، وببي الثاني (الأسرة السادسة)، وكذلك بعض غرف الدفن في أهرامات الملكات، وخلفائهم. (شكل 7)

ب) النقوش الهيروغليفية الخاصة على الآثار: وبصفة رئيسية السير الذاتية الجنائزية، التقديمات والصلوات الجنائزية، نقوش مناظر المقابر، وتعليقات ومدونات الموظفين في أواخر الأسرة الخامسة والسادسة (حتى عصر الانتقال الأول).

جـ) الوثائق الإدارية والخطابات المحررة بالهيراطيقية: (الهيراطيقي للهيروغليفية المنقوشة على الآثار): وبصفة رئيسية برديات أبي صير، والتي تهتم بالشئون الإدارية الخاصة بالمجمع الجنائزي للملك نفر إير كا رع (الأسرة الخامسة) (شكل 8)، بالإضافة إلى القليل من الخطابات من جزيرة إلفنتين.

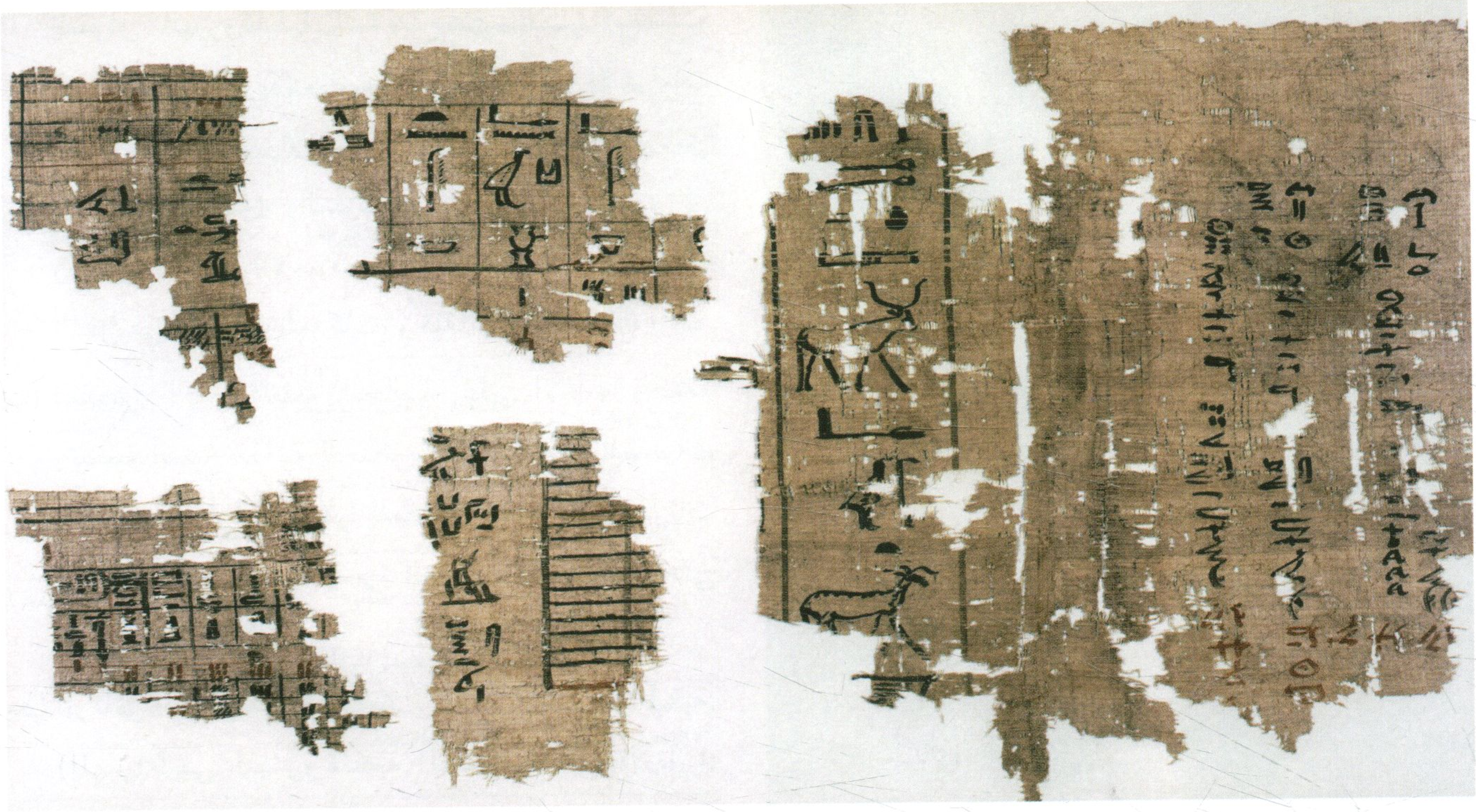


(شكل 7) نصوص الأهرامات، هرم الملك تتي، الأسرة السادسة، سقارة.

اللغة المصرية في العصر الوسيط

في بداية عصر الانتقال الأول، ومع سطوع نجم الدولة الوسطى، تطورت لغة مكتوبة جديدة، والتي أصبحت بسرعة كبيرة اللغة القياسية - اللغة المصرية في العصر الوسيط- وظهرت أنواع جديدة من النصوص أضيفت إلى سابقتها. لقد أقر المصريون القدماء بهذا التطور في المرحلة الكلاسيكية من اللغة، والذي لم يكن ضعيفًا، بسبب عدد النصوص الأدبية الكلاسيكية التي دُونت في العصر الوسيط (والتي استخدمت كنماذج مدرسية خلال عصر الدولة الحديثة). ومصادرنا هي:

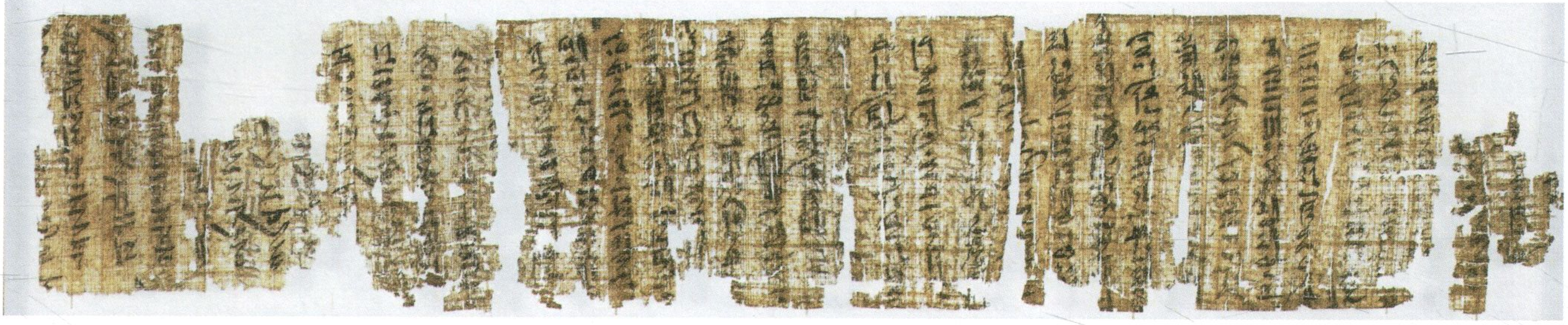
أ) النقوش الأثرية، الملكية والخاصة، والتي استمر تدوينها في الدولة الوسطى (مع وجود سير ذاتية خاصة واللوحات



(شكل 8) أرشيف برديات أبو صير، (الأسرة الخامسة). ©Trustees of the British Museum

الجنائزية، وهي تمثل الآثار التي ما زالت باقية)، بالإضافة إلى تلاوة الصلوات الجنائزية، والصلوات المقدسة (بكل من الهيروغليفية الأثرية، والهيراطيقية المختصرة). يعتبر تصوير السير الذاتية أو التمثيل الذاتي للشخص من الأمور ذات الأهمية الخاصة؛ فالسير الذاتية عادة ما تدور حول موضوعين رئيسيين: الأخلقيات، (السير الذاتية المثالية)، وتؤكد هذه السيرة الذاتية أن صاحبها قد عاش وفقًا للتعاليم الأخلاقية، والقيم والمسئولية المتمثلة في ماعت 'المعبودة'، وعادة ما توضع هذه القيم الأخلاقية في إطار كهنوتي، كذلك يدور محور السير الذاتية حول النجاح والإنجازات (السيرة العملية)، حيث تفصل الإنجازات والأحداث التي تعكس نجاح صاحب السيرة الذاتية في حياته، خاصة في مجاله الوظيفي في الخدمة الملكية.

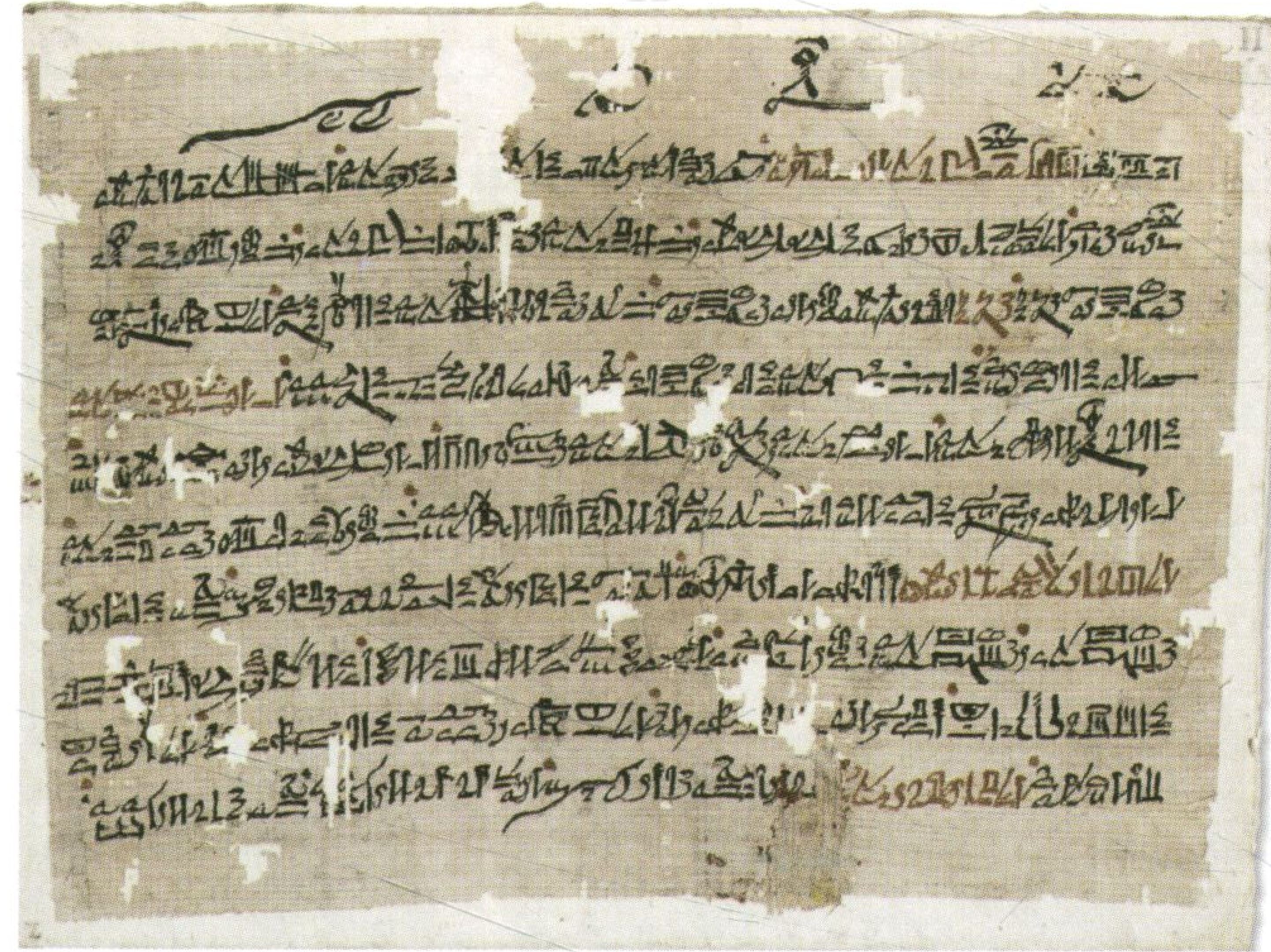
ب) الأدب، وبعيدًا عن إطار السير الذاتية الجنائزية (والتي تركز اهتمامها على الإنجازات والسلوك الأخلاقي المثالي)، فقد نشأ وتطور أهم أنواع المصادر التاريخية في العصر الوسيط للغة المصرية-وهي النصوص الأدبية المكتوبة في الدولة الوسطى على البرديات. وقد تنوعت الموضوعات التي تناولتها هذه النصوص الأدبية، فإما أنها كانت تدور مباشرة حول موضوعات السير الذاتية (مثل قصة سنوهي، وقصة الملاح الغريق)، وإما تدور حول الدروس التعليمية (أدب الحكمة) لإقامة 'حياة طيبة' وفقًا للتعاليم الأخلاقية الممثلة في صفوة المجتمع في الدولة الوسطى (مثال تعاليم بتاح حتب، وتعاليم للملك مري كا رع). ومع ذلك، فمن الممكن أن يجمع النص كلاً من السير الذاتية والتعاليم الإرشادية (وهو ما يظهر



(شكل 9) تعاليم بتاح حتب. ©Trustees of the British Museum

جليًا في قصة الفلاح الفصيح). وتدور هذه الموضوعات حول مفهوم ماعت *mꜣꜥt*، أي كل ما هو 'طيب، وصحيح، وسويٌ، وعادل، وحقيقي'، ويعتبر مفهوم ماعت مبدأ محوريًا ورئيسيًا في فكر المصري القديم، حيث يغطي هذا المفهوم كلاً من التصرفات الأخلاقية للفرد، وإدراكه وفهمه لحقيقة وطبيعة الكون. (شكل 10)

جـ) 'النصوص السحرية-الطبية' (أو نصوص الحماية أو الوقاية)، والتي دُونت بالهيراطيقية باستخدام مصطلحات متخصصة، وفي بعض الأحيان كانت هذه النصوص غامضة المعنى.



(شكل 10) قصة الفلاح الفصيح. ©Trustees of the British Museum

د) نصوص التوابيت: لقد تم استبدال نصوص الأهرامات الملكية الجنائزية-السحرية المدونة بالهيروغليفية في الدولة القديمة، بنصوص التوابيت، والتي كانت تنقش على عدد كبير من توابيت الصفوة والخاصة، والتي تعود في الأغلب إلى عصر الدولة الوسطى. وقد سُجلت هذه النصوص بلغة شديدة القرب من لغة العصر الوسيط، وكُتبت باختصار في نسخة 'كتابة يدوية' من الخط الهيروغليفي، وتعرف باسم الخط الهيروغليفي المختصر (كذلك وجدت هذه الكتابة على عدد قليل من برديات ذلك العصر). (شكل 11)

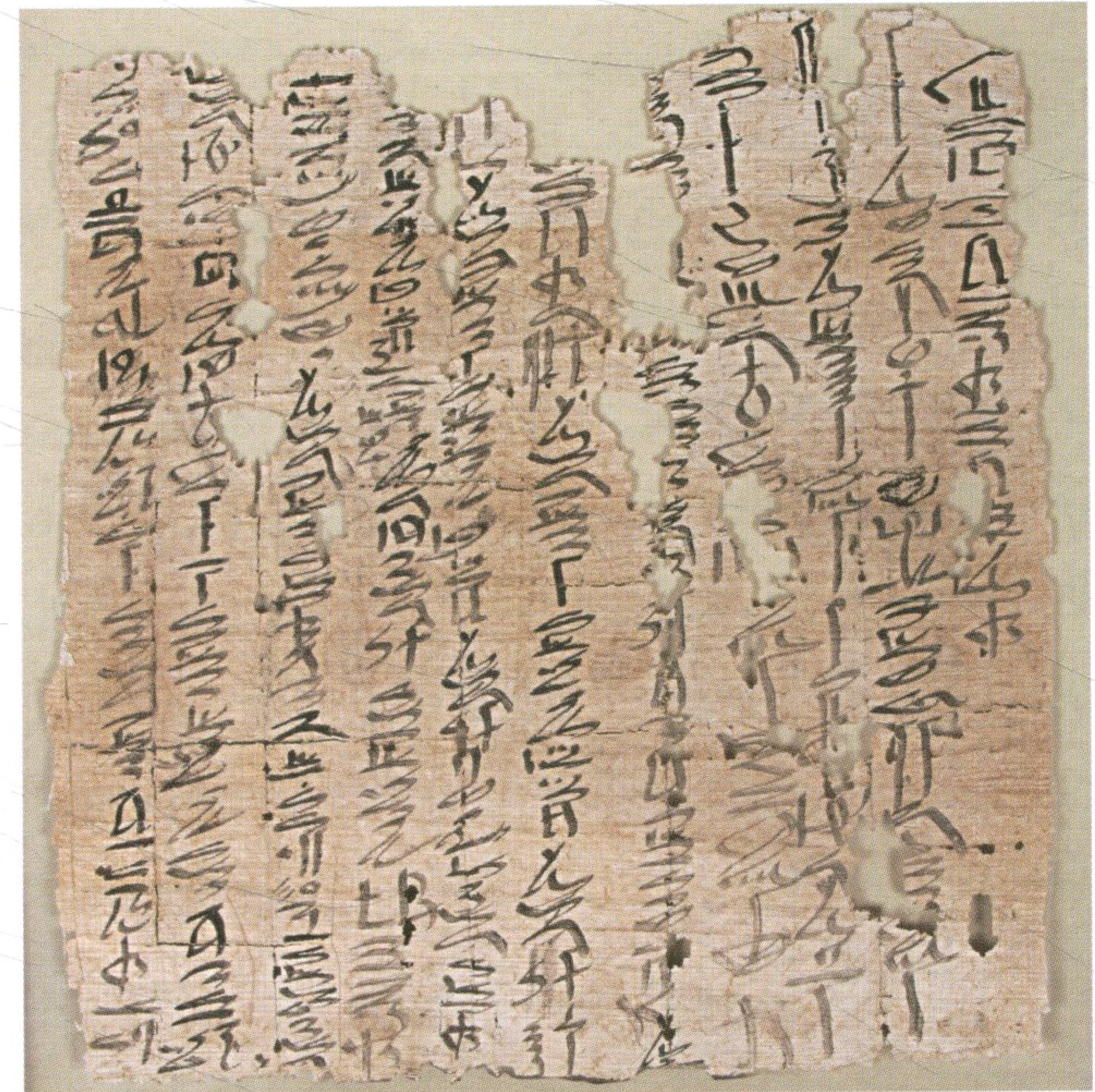
هـ) الوثائق الإدارية والخاصة (وتتضمن السجلات الإدارية، العقود، الخطابات، ... إلخ): وقد جاءت هذه الوثائق بالأخص من منطقة اللاهون في الفيوم، بالإضافة إلى بعض الخطابات/مجموعات الخطابات (مثل خطابات حكا نخت) وبعض الوثائق الإدارية (مثل مجموعة رسائل سمنا). وكُتبت هذه المصادر بالهيراطيقية على ورق البردي، وسُجلت بلغة العصر الوسيط، والتي تُبين مجموعة من الخصائص القريبة باللغة المُتحدثة في ذلك العصر، دون وجود تقيد في الأسلوب أو الصياغة والذي كان ملحوظًا في لغة الآثار الكلاسيكية أو لغة النصوص الأدبية. (شكل 12)



(شكل 11) الهيروغليفية المختصرة، مقبرة تحوتمس الثالث، وادي الملوك.

اللغة المصرية في العصر المتأخر ولغة العصر الوسيط في عصر الدولة الحديثة

تم تصنيف اللغة في العصر المتأخر، واللغة في الدولة الحديثة، بصفة مبدئية على أساس وفرة المصادر من منطقة دير المدينة من أواخر الأسرة التاسعة عشرة والأسرة العشرين، لكن ظهرت هذه المصادر (في الأشكال المبكرة) في بعض الخطابات القليلة والوثائق الإدارية، والتي ظلت باقية من عصر الأسرة الثامنة عشرة وبداية الأسرة التاسعة عشرة. وقد استخدمت لغة شديدة القرب والصلة (اللغة الأدبية في العصر المتأخر) في تدوين النصوص الأدبية، والتي ظل بعض منها باقيًا من عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين (مثل قصة حورس وست، وقصة الأمير الهالك/المشئوم)، وعلى الرغم من ذلك، فقد دُونت في بواكير الدولة الحديثة (حتى أواخر



(شكل 12) بردية إدارية، © المتحف المصري JE 95570.

الأسرة الثامنة عشرة) نصوصًا رسمية، وأخرى ملكية أثرية مصاغة لغويًا على منوال أجرومية اللغة في العصر الوسيط، ويشار إليها لغة العصر الوسيط في الدولة الحديثة. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظهرت بعض الخصائص الأجرومية الجديدة.

استخدمت كذلك لغة العصر الوسيط خلال عصر الدولة الحديثة (أو ربما لغة العصر الوسيط المعدلة) في تسجيل بعض النصوص الجنائزية، والدينية مثل كتاب الموتى، (شكل 13) وهو يعتبر خليفة نصوص التوابيت في الدولة الحديثة، والذي دُون على البردي بالخط الهيروغليفي المختصر، كذلك استخدمت تلك اللغة في رسم أو نقش بعض النصوص الجنائزية على حوائط المقابر الملكية مثل 'إمي دوات' (كتاب العالم السفلي).

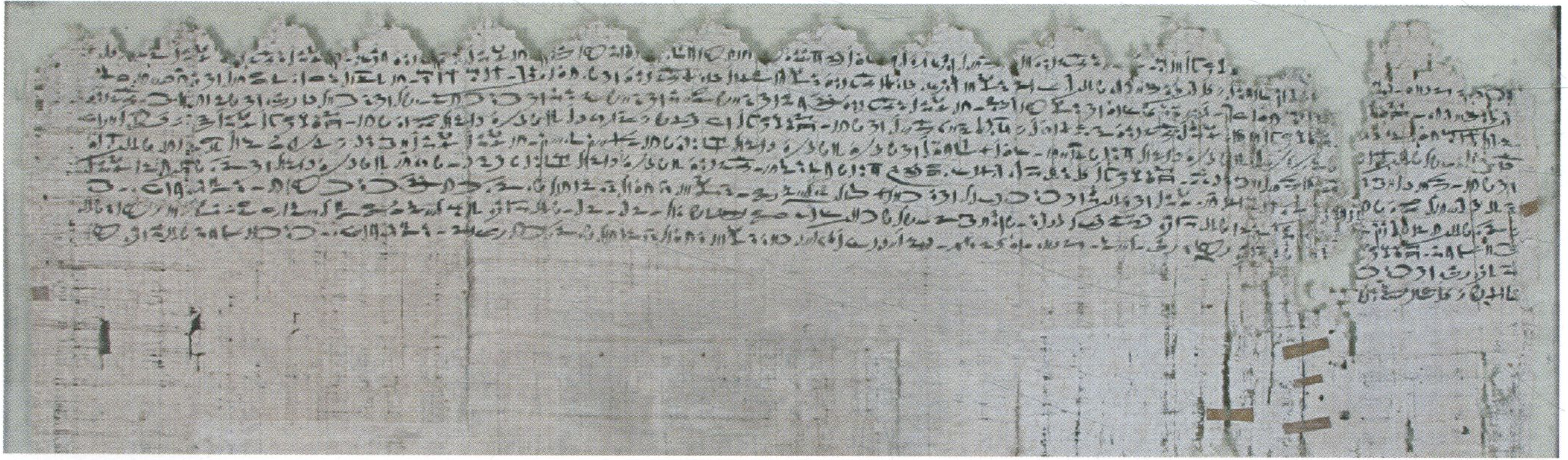
وقد كانت هناك لغة اعتمدت في بنائها على اللغة في العصر الوسيط، ومن ثم فقد استخدمت كلغة رسمية للدولة (مصر الرومانية) في القرنين الرابع والخامس الميلاديين لتدوين النصوص الأثرية، والجنائزية، والدينية، والأدبية، وهي الديموطيقية.



(شكل 13) كتاب الموتى، (مشهد المحاكمة).

الديموطيقية

ظهر في حوالي عام 700 قبل الميلاد خط جديد، وهو الخط الديموطيقي، والذي ربما كان مصدره مصر السفلى. استخدم هذا الخط في تدوين لغة شديدة الصلة بلغة الحياة اليومية المتحدثة (على الرغم من أنها لا زالت قريبة من اللغة المستخدمة في الوثائق الهيراطيقية المتأخرة، ومن اللغة المستخدمة في الوثائق 'الهيراطيقية الشاذة' في القرنين

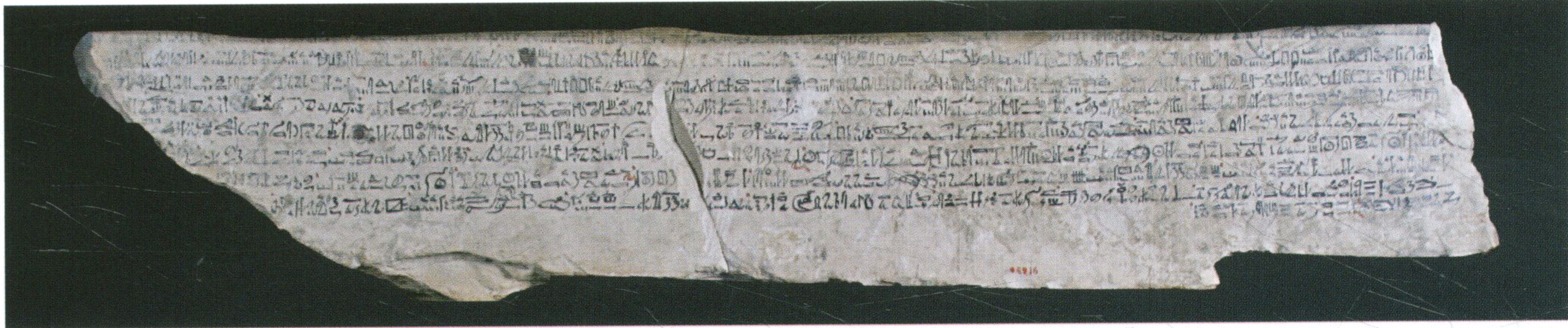


(شكل 14) عقد مكتوب بالديموطيقية من القرن السادس قبل الميلاد، © المتحف المصري JE 47755.

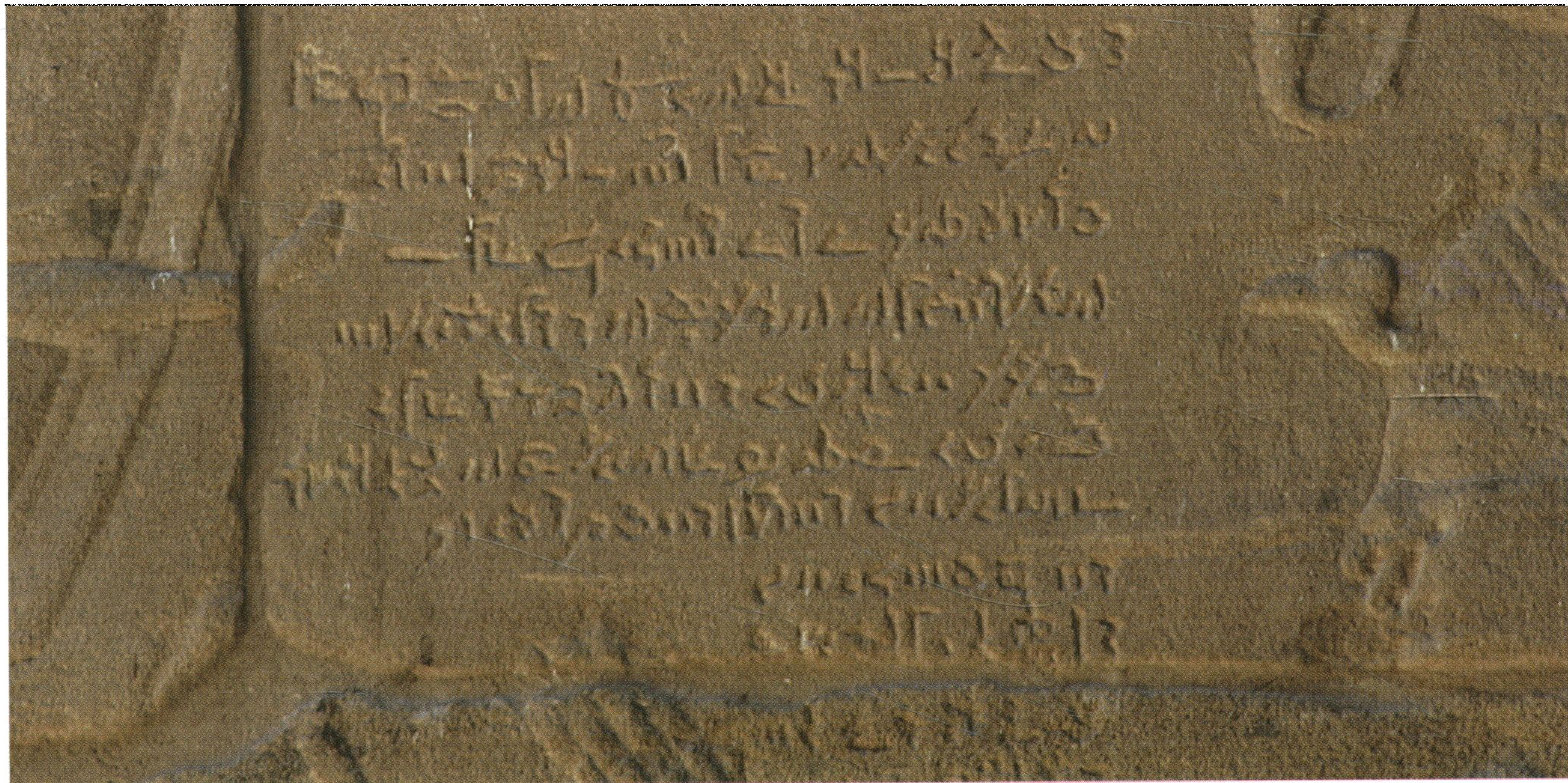
الثامن، والسابع قبل الميلاد من صعيد مصر). وتعرف هذه المرحلة اللغوية كذلك باسم مرحلة الخط الديموطيقي (لذلك يجب أن نكون حذرين للتمييز بين الديموطيقي كمرحلة لغوية، وبين الديموطيقي كخط أو ككتابة). لقد استمر استخدام الديموطيقي لغة وكتابة حتى القرن الخامس الميلادي، وكان يستخدم بشكل مُوسع في الأغراض الإدارية والخاصة (متضمنًا الخطابات، العقود، وما شابه)، بالإضافة إلى استخدامه في تدوين النصوص الأدبية (القصص مثل قصة ست إن خع إم واس، وإناروس- بتوباستس، وكذلك الإرشادات التعليمية مثل تعليمات أوشيشونكي). (أشكال 14، 15، 16).

القبطية

تمثل اللغة والكتابة القبطية آخر مرحلة من تاريخ اللغة المصرية القديمة. إبان العصر البطلمي (من القرن الثالث إلى القرن الأول قبل الميلاد) كانت هناك أبجدية مستخدمة في التفسيرات الدينية والسحرية لنطق بعض الكلمات القبطية بطريقة صحيحة (القبطية القديمة)، معتمدة على الأبجدية

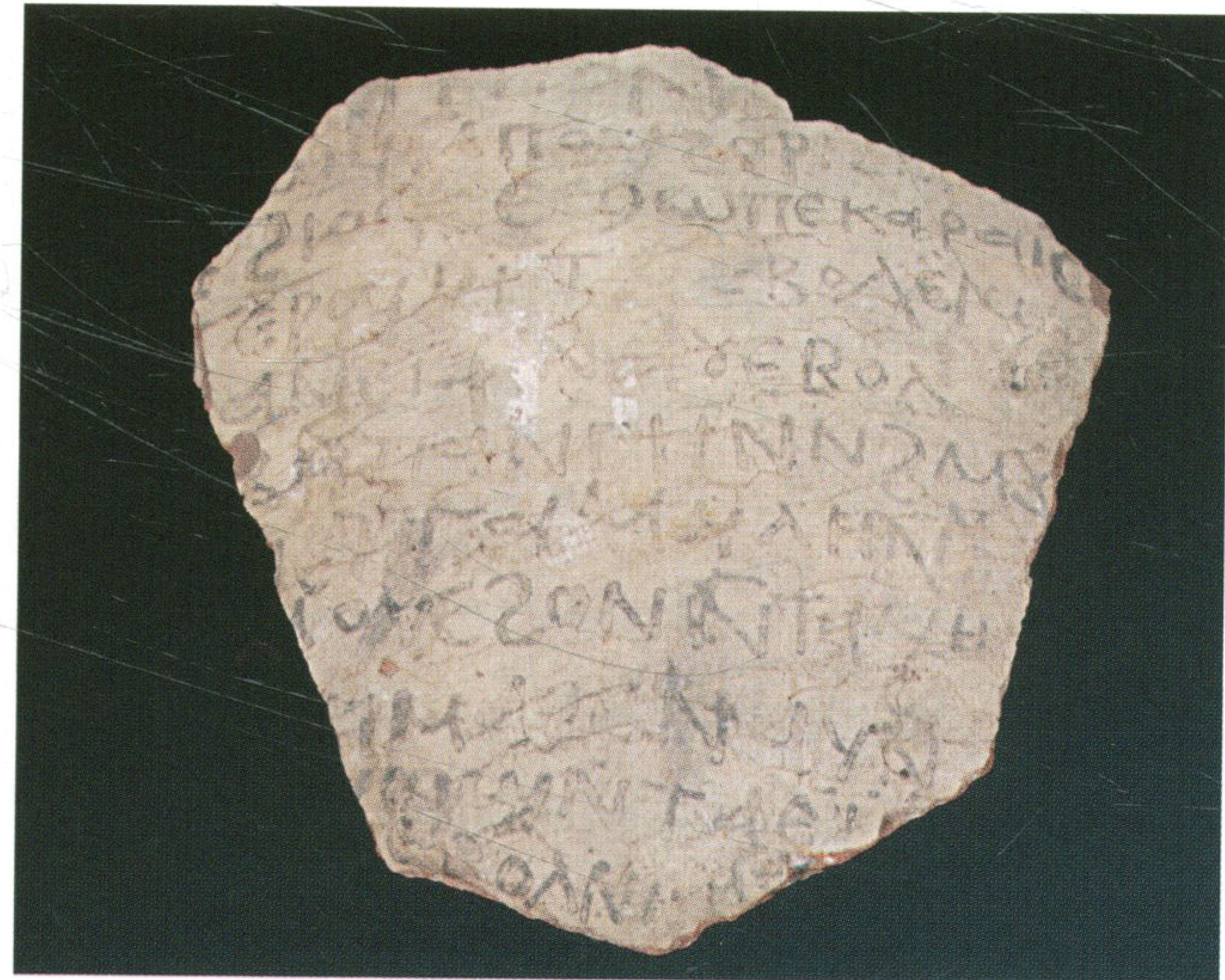


(شكل 15) أكبر شقافة معروفة، وقد كتب عليها بداية قصة سنوهي، © المتحف المصري.



(شكل 16) آخر نقش مدون بالديموطيقية على الحجر، ويعود إلى عام 452 ميلاديًا. معبد إيزيس، جزيرة فيلة.

اليونانية مضافًا إليها بعض الرموز المستعارة من الديموطيقية (للتعبير عن الأصوات المصرية التي لم تكن موجودة في اليونانية). في مرحلة لاحقة أصبحت البعثات التبشيرية المسيحية أكثر نشاطًا في مصر في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، فتبنوا هذه الكتابة لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة المصرية، ومن أهم مظاهر وخصائص هذه اللغة أنها تنطق الصوائت (وهو شيء لم يكن موجودًا في الهيروغليفية، أو الهيراطيقية، أو الديموطيقية)، كذلك سمحت اللغة الجديدة بتعدد 'اللهجات' والتمييز فيما بينها (على الأخص الصعيدية، والبحيرية، والأخميمية، والفيومية). وقد استخدمت الكتابة القبطية في تسجيل حياة العديد من القديسين، وفي الأغراض التعليمية بالإضافة إلى استخدامها في الأغراض الدنيوية مثل تحرير الخطابات، وتسجيل الوثائق الإدارية والتجارية. استمر استخدام اللغة القبطية بين أفراد المجتمع المسيحي بعد دخول الإسلام مصر في عام 641 ميلاديًّا، وحتى أفول نجمها كلغة منطوقة حوالي عام 1000-1500 ميلاديًّا. وما زالت بعض أجزاء من الطقوس الكنسية تتلى وترتل بالقبطية إلى يومنا هذا. (شكل 17، وشكل 18).

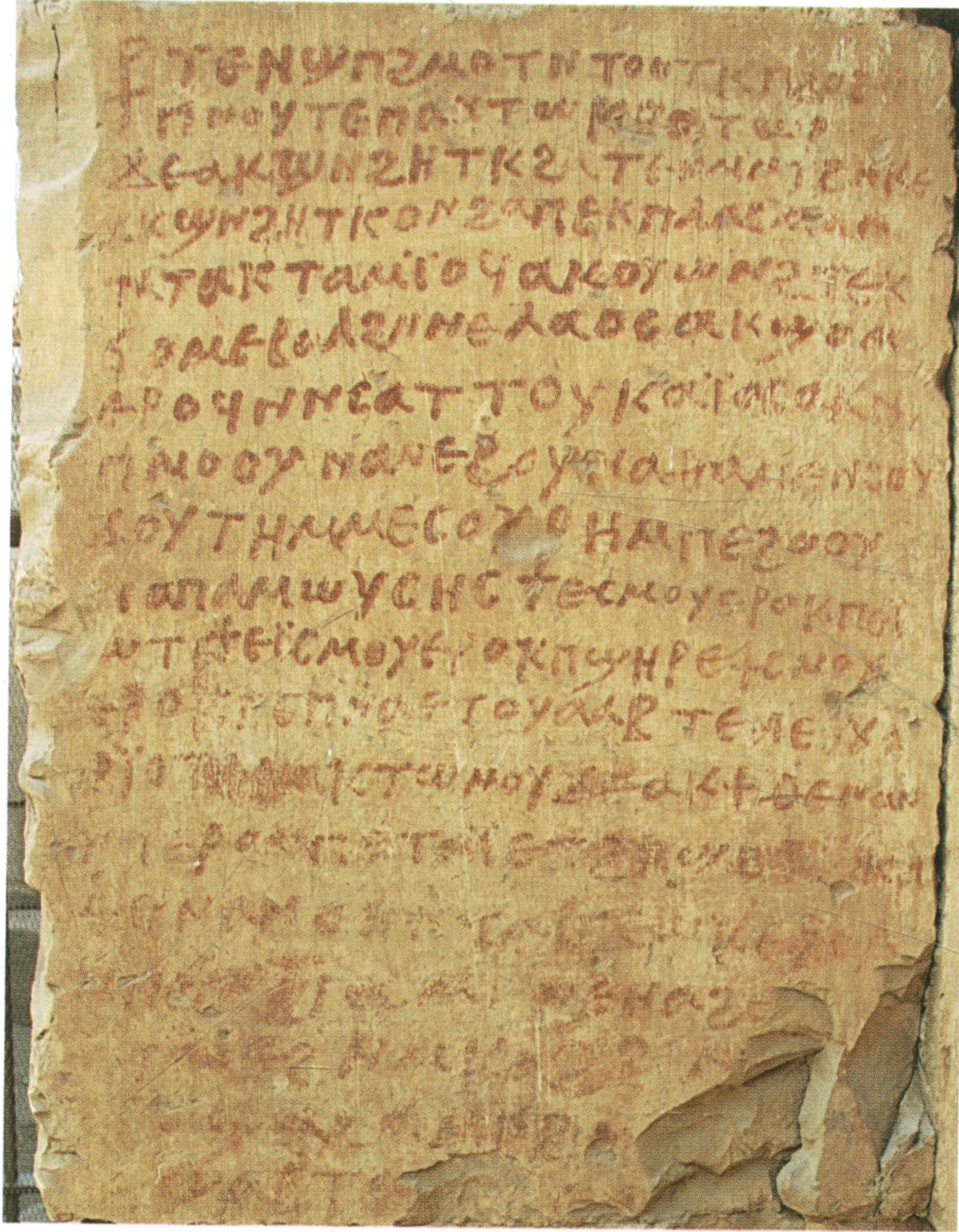


(شكل 17) شقافة بالخط القبطي، © المتحف المصري.

ترتيب واتجاه الكتابة

عادة ما تكتب وتقرأ الخطوط من اليمين إلى اليسار، لكن وقد يحدث أن تأخذ القراءة اتجاه اليسار إلى اليمين، وبالأخص لتلبية الأغراض الجمالية. كذلك يمكن أن تقرأ النصوص في اتجاه أفقي أو رأسي؛ فاللغة المصرية القديمة تتميز بالمرونة وسهولة التكيف للمكان المخصص للكتابة.

كتبت الأصوات الساكنة فقط دون الأصوات المتحركة في اللغة المصرية القديمة، ولذلك من الممكن أن تتعرض إحدى الكلمات لقلب وإبدال في الأصوات المتحركة التابعة لها. على سبيل المثال تكتب كلمة منزل *pr*، لكن يمكن أن تنطق 'بر'، 'آبر'، 'بيرو'، أو 'إيبري'. ومن المحتمل أن نطق الكلمة يتغير داخل الجملة، وذلك بحسب وظيفة الكلمة،



(شكل 18) مخربشات قبطية، ممر الملوك، معبد سيتي الأول، أبيدوس.

فعلى سبيل المثال: ' منزل كبير'، فكلمة 'منزل - *pr*'وقعت هنا 'مبتدأً'، أما في المثال: 'يدخل الرجل المنزل'، فقد وقعت 'مفعولًا به'. وبناءً عليه فإن اختلاف ترتيب الجملة يمكن أن يظهر في اللغة الشفهية دون أن يظهر في اللغة المكتوبة.

ولكي يتمكن علماء المصريات من الاتصال فيما بينهم حول فهمهم للغة المصرية القديمة، فقد استخدموا نظامًا كتابيًا لتحويل القيم الصوتية للهيروغليفية اعتمادًا على الأبجدية الرومانية، وتسمى هذه الطريقة 'الدلالة الصوتية' والتي تعني ترجمة حروف إحدى اللغات إلى لغة أخرى، على سبيل المثال تكتب الكلمة 𓂋𓂝𓇳 *rꜥ* في نظام الدلالة الصوتية بالحرفين 𓂋 والذي يمثل الصوت 'ر'، و𓂝 *ꜥ* الذي يمثل الصوت 'ع'، وهو صوت غير موجود في اللغة الإنجليزية، لكن يتواجد في اللغات السامية واللغة العربية، وعليه تنطق الكلمة 'رع' والتي تعني 'شمس' أو 'يوم'. لذلك فإن الكلمة 'رع' تترجم وفقًا لسياق الجملة. أما بخصوص الكلمات التي يتم تهجئتها فإنها تقرأ بسهولة، لكن هناك بعض هذه الكلمات تكتب باختصار شديد مما يؤثر في تحديد معاني هذه الكلمة على سبيل المثال: إذا جاءت العلامة 𓇯 بمفردها تقرأ *pt* 'سماء'، أو تقرأ *ḥry* بمعنى 'الذي يكون فوق' أو 'رئيس'. لذلك يعتبر سياق الجملة هو المحدد الأول لمعنى هذه الكلمة.

مع بداية عصر الدولة الوسطى، تم توحيد كل من شكل واتجاه وترتيب العلامات الهيروغليفية، فقد كانت النقوش الهيروغليفية تُدون مرتبة في شكل سجلات ذات سطور رأسية أو أفقية، وعادة ما تتميز بالخطوط الإرشادية أو الخطوط الأساسية. وكانت العلامات توضع في ترتيب متسلسل دون وجود أية علامات ترقيم أو مسافات بين الكلمات.

عادة ما تكتب العلامات الهيروغليفية من اليمين إلى اليسار (لكن، سوف يتم كتابتها في هذه الملاحظات من اليسار إلى اليمين من أجل المواءمة). أيضًا، يتم كتابة النقوش العمودية والأفقية من اليسار إلى اليمين لكن هذا يحدث عادة لتصاحب الأشكال المتجهة إلى اليسار، أو من أجل إحداث تماثل وتناسق النص، أو بكل بساطة من أجل اتباع الإطار المحدد لشيء ما، فالمثال الذي لدينا يظهر استخدامًا كاملاً للاتجاهات الأربعة للكتابة (اليمين الأفقي، اليمين الرأسي، اليسار الأفقي، واليسار الرأسي). (أشكال 19، 20، 21، 22)

ومن أهم المبادئ التي تظهرها وتبينها هذه الأمثلة أن العلامات الهيروغليفية لم تكن تكتب الواحدة تلو الأخرى كما يحدث في كتاباتنا، لكن كانت تكتب في مجموعات متوازنة الترتيب من أجل ملء وشغل المساحة المتاحة، حيث كُتبت العلامات عادة بأحجام مختلفة وترتيب مختلف.

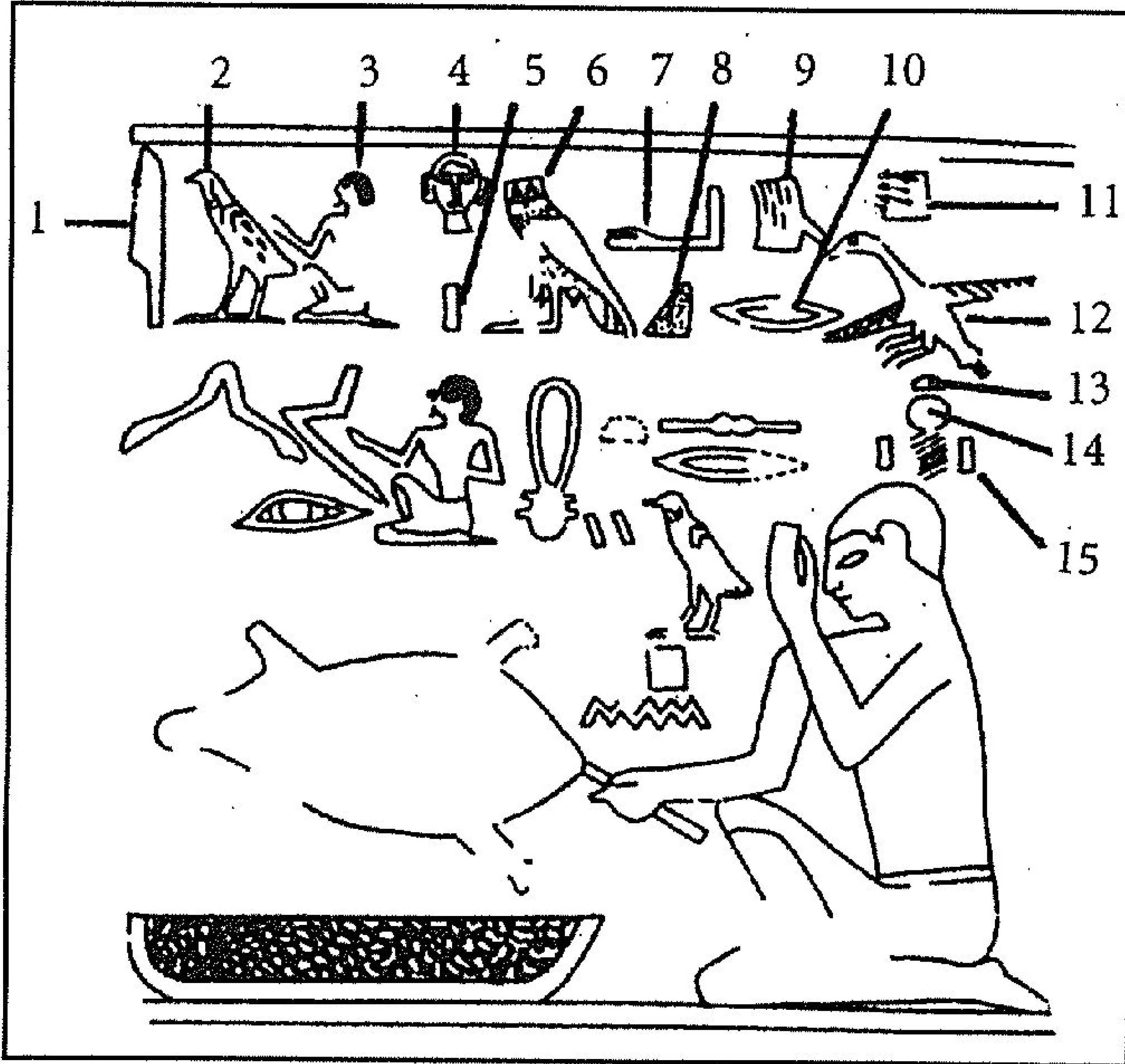
المبادئ العامة للكتابة الهيروغليفية

هناك ثلاثة مجالات رئيسية لاستخدام الكتابة الهيروغليفية: تستخدم بعض العلامات للإشارة أو التعبير عن أصوات كلمة ما (العلامات الصوتية)، ويستخدم البعض منها لإعطاء معاني بعض الكلمات (العلامات التصويرية- مخصصات)، في حين يستخدم البعض منها للتعبير عن الصوت والمعنى (العلامات الصوتية والتصويرية). ويستخدم هذا الشكل في إعطاء الدلالة الصوتية للعلامات الهيروغليفية الصوتية فقط، دون العلامات التصويرية. قد تبدو الدلالة الصوتية في بادئ الأمر غريبة بعض الشيء، لأنها تكتب الصوامت (في الأغلب) دون الصوائت مثل (أ، ي، و)، وتستخدم الآن عدة أنظمة مختلفة إلى حدٍّ ما للتعبير عن الدلالة الصوتية، وتختلف هذه الأنظمة أولاً في احتواء العناصر غير المكتوبة في عملية الدلالة الصوتية، لكن يفترض أن تكون، حسب ما هو معروف عن أجرومية اللغة المصرية في العصر الوسيط. تكتب بعض الكلمات بواسطة بعض العلامات التي



(شكل 19) اتجاه الكتابة. مقبرة سننجم. دير المدينة.

تعبر عن كل من الصوت والمعنى (علامات المعنى الصوتية، والتي يطلق عليها اصطلاحًا 'العلامات التصويرية'، أو 'اللوجوجرام')، على سبيل المثال تكتب كلمة منزل *pr* بالعلامة التي تعبر عن منزل، وهي تعبر عن الصوت المركب ب + ر = بر، (وتُكتب شرطة رأسية أسفل العلامة الهيروغليفية للتعليل بأن المقصود هو التعبير عن العلامة التصويرية، كذلك تستخدم عادة لملء الفراغات)، كذلك تستخدم العلامة بر *pr* للتعبير عن الفعل 'يخرج' أو خروج إذا أضيف لها *t* لتصبح 'برت' *prt*، وفي هذه الحالة أصبحت علامة صوتية، ويطلق على هذا اصطلاحًا 'مبدأ الكناية' أو 'مبدأ تمثيل الكلمات باستخدام رسوم، أو رموز'، ومن خلال هذا المبدأ اكتسبت الهيروغليفية قيمها الصوتية، والتي قد تستخدم كلمات لا



(شكل 20) اتجاه الكتابة. مقبرة سنبي، مير.



(شكل 21) اتجاه الكتابة، مقبرة باشد، دير المدينة.

ترتبط في المعنى بالعلامة المصورة. تستخدم كذلك العلامات الصوتية كمتممات صوتية للتعبير عن صوت يمثل 'جزءًا' من العلامة الصوتية. على سبيل المثال، تستخدم '*r*' في كلمة '*pr*' للتعبير عن الصوت '*r*'، وفي الغالب عندما يتكرر صامت موجود بالفعل في العلامة السابقة، فهو يعتبر متممًا صوتيًا.

أجرومية اللغة المصرية القديمة

كما هو الحال في أية لغة، تحتل أجرومية اللغة المصرية القديمة مساحة كبيرة، متضمنة قواعد حول كيفية بناء الجملة، فتشتمل الأجرومية على أسماء (أسماء الكلمات)، صفات (التي تصف الكلمات)، وأحوال (وهي المزيد من التفسير حول الأفعال)، وأفعال (كلمات الحركة)، وهذه الأخيرة تُصرف في أزمنة (سواء كان الزمن الماضي، الزمن المضارع، أو الزمن المستقبل)، وشكل الفعل (نوع الفعل سواء كان فعلاً تامًا أو ناقصًا)، وصيغة الفعل (سواء الصيغة الخبرية، أو الصيغة الشرطية المتعلقة على عنصر آخر، أو صيغة التمني)، وكذلك بناء الفعل (سواءً صيغة بناء الفعل للمعلوم والتي تتم بوجود الفاعل، أو صيغة بناء الفعل للمجهول والتي تُنجز





(شكل 22) اتجاه الكتابة. مقبرة رمسيس الرابع، وادي الملوك.

على الفاعل). ويختلف ترتيب الكلمات في اللغة المصرية في العصر الوسيط عن مثيله في اللغات الغربية: فتأتي عادة الأفعال في بداية الجمل، مثل 'يخرج الرجل من بيته'، في حين تأتي الصفات بعد الموصوف مثل 'هو كاتب ممتاز ويقظ'، وتُصاغ الجمل من مجموعة من الأفكار في شكل بناء نحوي، على سبيل المثال تحمل جملة 'الشمس والقمر في السماء' ثلاث أفكار أساسية:

1 - الشمس والقمر

2 - ماذا يقومان بفعله؟

3 - أين؟ في 'السماء'. إذًا تقرأ الجملة كالآتي ' الشمس والقمر في السماء' لم يكن في اللغة المصرية القديمة حتى المراحل المتأخرة منها كلمات تعبر عن أدوات المعرفة والنكرة، وكذلك لم يُجمع الفعل، وحقيقة أن المصري القديم استخدم بعض العلامات مثل بعض الكلمات الخاصة (الأدوات) أو أنه استخدم بنية الكلمة لكي تقوم بدور الفاصلة حتى يشير أو يلقي الضوء على اختلاف المعنى، هو اختلاف اصطلاحي بين اللغة الإنجليزية واللغة المصرية القديمة، ويبدو أن بعض مجالات اللغة الأخرى مثل 'التوكيد' أنها كانت ذات أهمية كبيرة في اللغة المصرية القديمة، وقد تم التعبير عنها بوسائل أخرى في اللغة الإنجليزية، على سبيل المثال جملة ' يذهب هو إلى منزله'، نجد أنه تم التركيز على الفاعل حقيقة أن 'هو' جاء في بداية الجملة.

يضع الترتيب الطبيعي للجملة في اللغة المصرية القديمة الفعل في مقدمة الجملة، ثم تستخدم صيغة وجمل نحوية إذا ما كان يراد التركيز على عنصر آخر غير الفعل، وهكذا أصبح لدينا تكافؤ يعتمد على العنصر الأكثر أهمية في الجملة الفعل أم الرواية: 'هو يذهب إلى منزله'، 'يذهب هو إلى منزله'، و'إلى



(شكل 23) ترتيب قراءة العلامات، مقبرة رمسيس الرابع. وادي الملوك.

منزله يذهب'. قد تبدو هذه النقطة صغيرة بعض الشيء، لكن كل اختلاف في النصوص المصرية مثل الأناشيد، والصلوات، والنصوص الأدبية، والتي تنطوي على رمزية وأيديولوجية معقدتين، قد يعتبر من الأهمية بمكان، لذلك فإن كل اختلاف طفيف في النحو يغير من شكل التركيز على عنصر ما، أو زمن التصريف، لذلك هو من الأمور الحيوية لفهم هذه النصوص. ولذلك يُنصح منذ البداية لدارس اللغة المصرية القديمة معرفة ماهية هذه اللغة، وطريقة نطقها، وتعبيراتها تختلف كل الاختلاف عن اللغات الأوروبية المكتوبة أو المنطوقة. فعلى المرء الذي يدرس اللغة المصرية القديمة إدراك أنه يتعلم طريقة مختلفة للتفكير، وأخرى مختلفة للتعبير، بالاضافة إلى اكتساب خلفية ثقافية مختلفة. وبعيدًا عن المجهود الذي يبذل في تعلم اللغة المصرية، فإن دراستها تمثل تحديًا ممتعًا يُبْحر بنا في حياة وأفكار الماضي. (شكل 23)

أما مراحل التعامل مع الجملة في اللغة المصرية القديمة، فهي:

1 - مرحلة شرح كيفية كتابة الجملة: من اليسار إلى اليمين، مع وجود تغيير لموضع العلامة الأولى من أجل التبجيل، أي كلمة 'الملك'، على اعتبار أنها أكثر العلامات أهمية.

2 - مرحلة إعطاء الدلالة الصوتية: *ḥtp di nswt* (تكتب في كلمات منفصلة)

3 - مرحلة شرح كيفية بناء الجملة (النحو والصرف)، كجملة الصلة: مرحلة الترجمة 'هدية يعطيها الملك'.



(شكل24) صيغة *ḥtp di nswt*.

4 - مرحلة فهم الجملة: تعتبر جملة *ḥtp di nsw* (شكل 24) من أكثر الجمل شيوعًا على الآثار الجنائزية في اللغة المصرية القديمة، فهي تشير إلى العطايا والهبات الممنوحة من الملك إلى صاحب المقبرة أو إلى الشخص الميت.

5 - مرحلة فهم الجملة في سياق النص: فما سيتبع هذه الصيغة هو قائمة من المعبودات التي تمنح عطاياها لهذا الشخص الميت، ثم تأتي قائمة العطايا والهبات، وعادة ما تكون في كل مرة ألف من الخبز، ومن الجعة، ومن الثيران، ومن الدجاج، ومن الملابس، ومن الزيوت، ومن الألبستر، ومن كل شيء جيد وطاهر'.

الهوامش

* أود الإشارة إلى أن هذا المقال اعتمد بصفة أساسية على مؤلف: M. Collier and B. Manley, *How to read Egyptian Hieroglyphes*, (London, 1998); *Introduction to Middle Egyptian* (text book for ALY 121 and 221 Egyptology Calsses, SACE, Liverpool University).

كما أود أن أشكر الأستاذ أحمد منصور على تزويد هذا المقال بالصور المصاحبة.

المخطوطات والنقوش القبطية

يوحنا نسيم يوسف

إن الحديث عن المخطوطات القبطية يتطلب منا فهم وإدراك تطور الخط القبطي بداية من:

1 - اللغة القبطية وسماتها.

2 - مهنة الكاتب من خلال الوثائق الأدبية واللقى الأثرية.

3 - فن الكتابة بما يحتويه من 'أسرار الأبجدية'، و'الاختصارات'، والمونوجرام، والتعمية.

وفي البداية كان لنا أن نتناول المخطوطات في حد ذاتها من حيث:

أ) كيفية تأريخ المخطوطة باستخدام خواتيم المخطوطة والتي تشتمل على معلومات حول النشر، وباستخدام التكوين المادي للمخطوطة، وكذلك باستخدام السمات الخطية والزخرفية.

ب) محتوى ومضمون المخطوطات

وقد تم تزويد هذا المقال بقائمة من المراجع واللوحات لمساعدة القارئ على فهم موضوع البحث. ومن الواضح أن كل هذه الأطروحات تتعلق بتطور الخط وجمالياته في العصر القبطي ومع ذلك لا يمكن اعتبارها دراسة شاملة لكل الجوانب، لأن الهدف الأساسي منها هو إعطاء نظرة شاملة للقارئ حول أهمية وتشابك هذه الدراسة.

1 - اللغة القبطية

تعتبر اللغة القبطية هي اللغة المصرية القديمة في طورها الأخير؛ فلقد كُتبت القبطية باستخدام الأبجدية اليونانية مضافًا إليها علامات من الخط الديموطيقي ويختلف عدد هذه العلامات من لهجة إلى أخرى.

مراحل اللغة القبطية

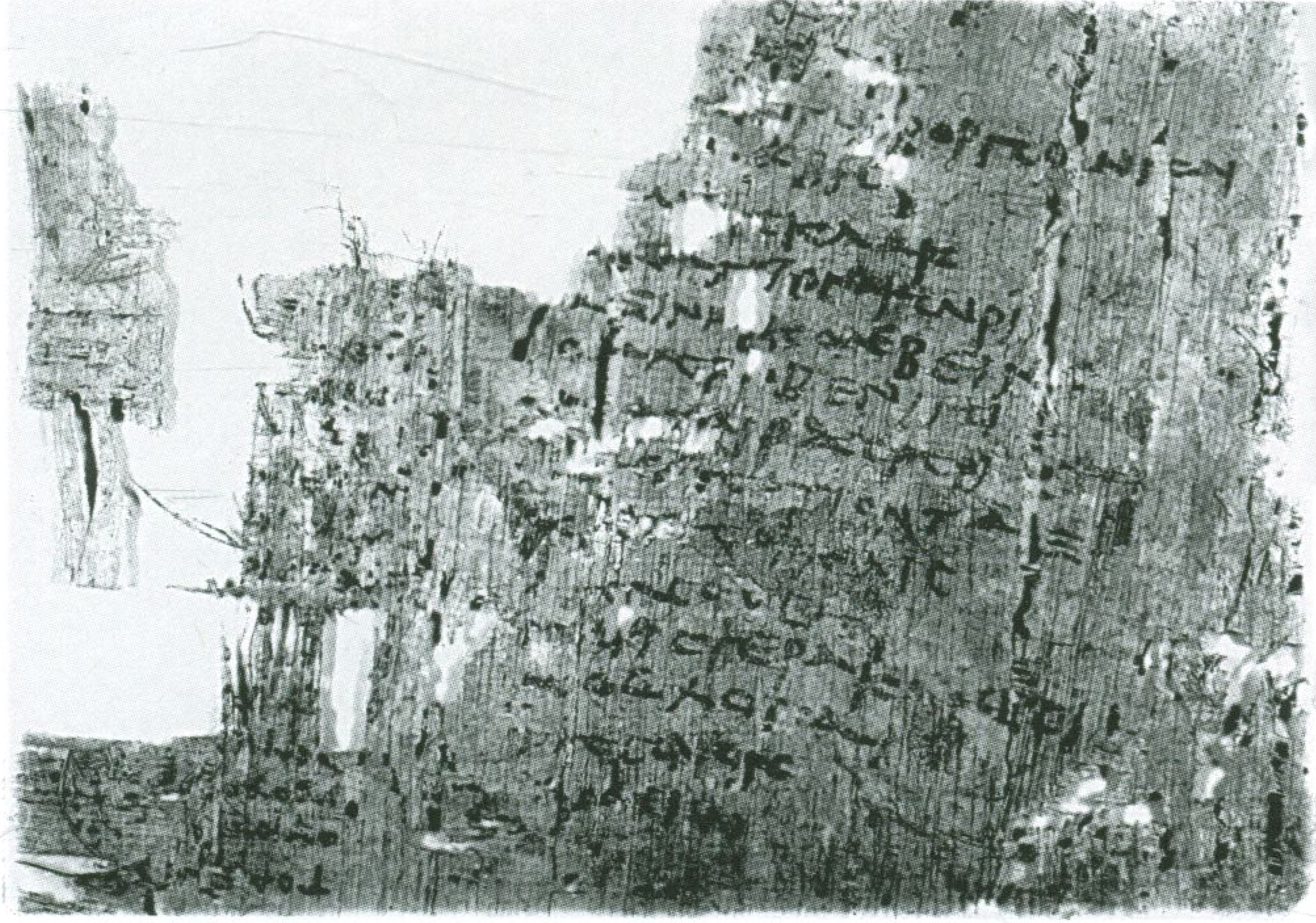
أ) ما قبل القبطية القديمة هي المرحلة التي كان يعبر فيها عن بعض الأسماء الخاصة باستخدام الأبجدية اليونانية، دون استعارة أية علامات من الكتابة الديموطيقية ومن بين الأمثلة الجيدة التي تدلل على هذه المرحلة هي بردية هيدلبرج 414 التي كانت عبارة عن قائمة بأسماء يونانية وما يقابلها باللغة المصرية القديمة مكتوبة بحروف يونانية. تؤرخ هذه البردية إلى أوائل العصر البطلمي (القرن الثالث قبل الميلاد)، وتعتبر كذلك مخربشات أبيدوس والتي تعود إلى 202 - 201 قبل الميلاد من الأمثلة الجيدة على هذه المرحلة من اللغة القبطية، وباستثناء صيغة التأريخ في هذه المخربشات فإن محتواها غير واضح. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المخربشات تظل دليلاً تاريخيًا ولغويًا ذا أهمية قصوى وهذا ما يثير تساؤلاً بشأن تفضيل

ΠΑΡωΥΡΟΝ.
L Ε ΠΟΡωΥΡΓΟΝΑΦΟΡ
ΜΗΙΕCΙΝΟΜΟΥCΙΡΕΜΗΙΕ
ΜΟΥΝΛΑCΟΝΤΗΡΠΝΟΤω
ΤΝΙΡΚ ΤΜΗΤ ΤΟΝΕΥΜΑΥΑΘΟΥ
ΟΥCΟΡΕΤΑΙΝΟΜΠΟΝΑΜΜΗΡΟΝ
ΡΥΜΕ

(شكل 1) أحد نماذج اللغة القبطية المبكرة، أبيدوس.

الكاتب تسجيل نص مصري طويل بحروف يونانية. هل كان هذا الكاتب يستطيع قراءة وكتابة اليونانية دون إتقان للكتابة الديموطيقية؟[1]

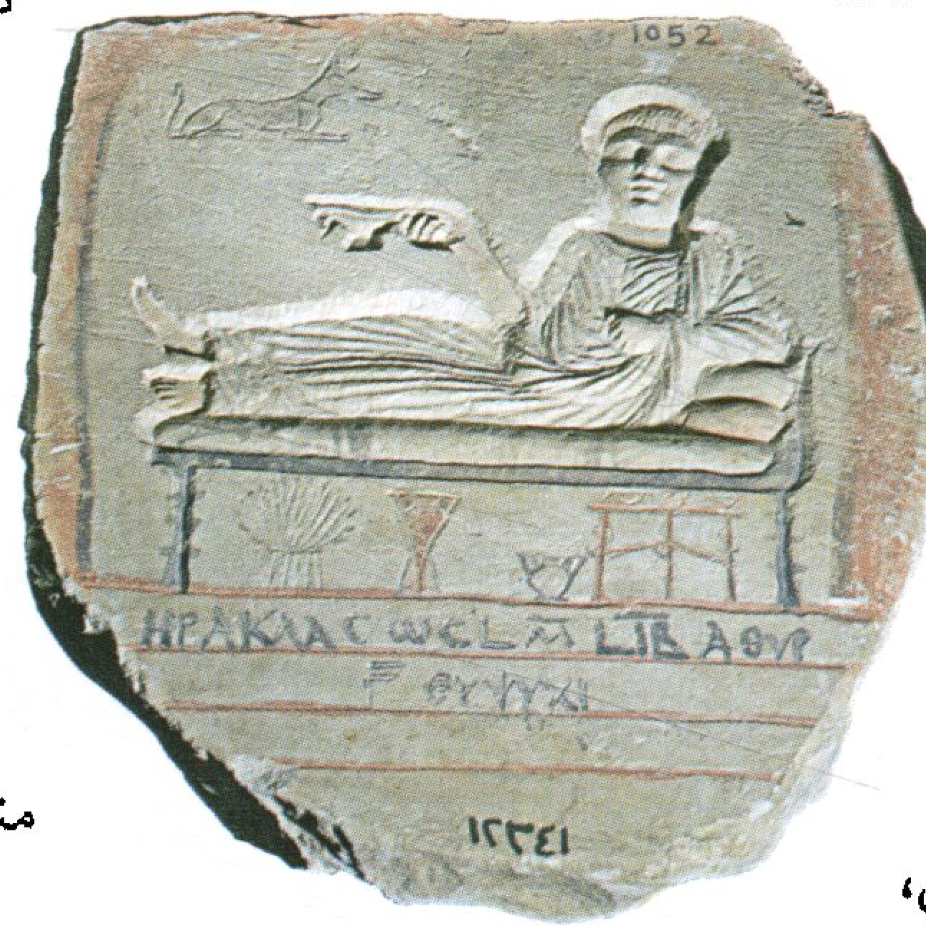
ويمكننا أن نفسر أربعة أسماء بشكل أكيد في هذا النقش، ونلاحظ أن السطر الأول قد تخلله بعض النواقص والفراغات، لكن أعيد كتابته بشكل كامل في السطر الثاني. وبعد ذكر سنة الحكم على النمط اليوناني، نقرأ: 'Πορω Υρ-γοναφορ μηί ΕσίΟνσίρί μηί Εμσμνλασοντηρ πνοτω'. ويتضح تشابه صيغة النص مع النصوص المصرية، وترجمته، هي: 'الفرعون حر ون نفر، محبوب إيزيس وأوزيريس، محبوب أمون، ملك الآلهة، الإله العظيم'. والملك المذكور في هذا النص هو الملك المصري حر ون نفر، والذي قاد ثورة ضد الغزاة. وبناءً على سبق، يؤرخ هذا النص بالعام 202-201 قبل الميلاد.[2] (شكلا 1، 2).



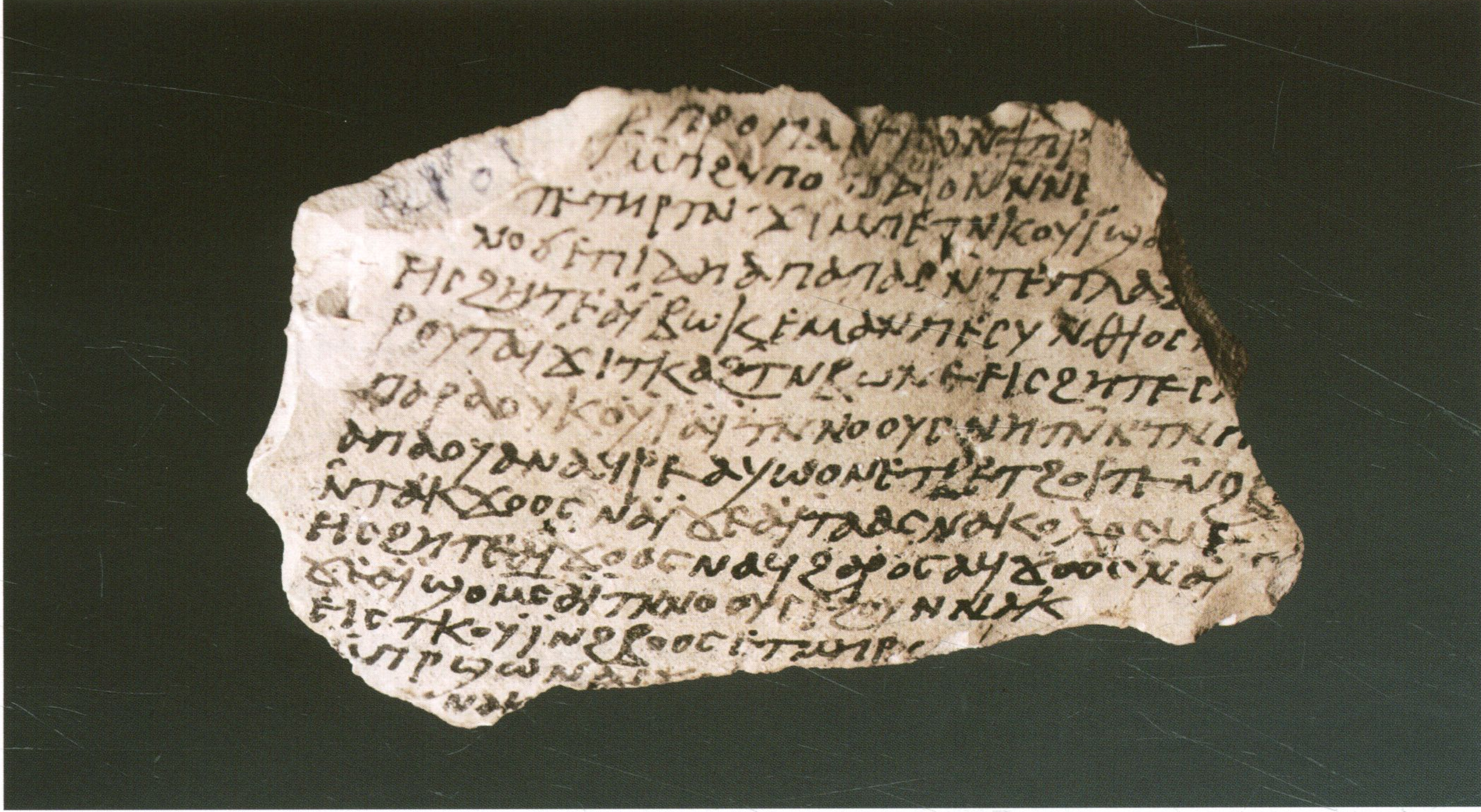
(شكل 2) بردية هيدلبرج 414. © Heidelberg Museum

ب) اللغة القبطية في العصر العتيق إن غالبية النصوص التي تعود إلى هذه المرحلة من مراحل اللغة القبطية هي نصوص سحرية، ونصوص وثنية - فلكية، وتؤرخ هذه النصوص فيما بين القرن الأول والقرن الثالث، ولقد دونت نصوص هذه المرحلة باستخدام اللغة اليونانية مضافًا إليها علامات من الكتابة الديموطيقية، ولا يوجد نظام متسق وموحد للكتابة حيث إن النصوص تختلف من كاتب إلى آخر. كذلك لا تتواجد المفردات اللغوية المستخدمة في تدوين هذه النصوص في اللغة القبطية الفصحى، نظرًا لأنها ذات خلفية وثنية.[3] (شكل 3)

ج) اللغة القبطية النمطية يبدأ الشكل المعتاد أو المألوف للغة القبطية منذ أواخر القرن الثالث الميلادي وبداية القرن الرابع حيث دُونت النصوص بلهجات مختلفة، (شكل 4). فقد ظهرت اللهجة



(شكل 3) لوحة جنائزية من القرن الثاني الميلادي، ويعتبر نموذجًا للغة القبطية القديمة. Inv. 12341، © المتحف القبطي.



(شكل 4) شقافة من الحجر الجيري تعود إلى القرن السابع الميلادي، وهي مثال للغة القبطية النمطية. Inv. 4351، © المتحف القبطي.

البحيرية منذ القرن الرابع الميلادي واستمرت حتى القرن الثاني عشر الميلادي، أما اللهجة الصعيدية فقد ظهرت في أواخر القرن الثالث الميلادي، ودُونت آخر نصوصها في القرن الرابع عشر الميلادي، في حين أن اللهجات الأخرى قد اختفت بعد فترة وجيزة من الفتح العربي لمصر، وبالرغم من أن معظمها جاء مسيحي المحتوى فإن بعضها كان قد تناول الطب والقانون. تتميز اللغة القبطية بتعدد لهجاتها، وأهمها على الإطلاق هي: اللهجة الصعيدية وهي لهجة سكان مصر العليا، ثم اللهجة البحيرية وهي لهجة سكان مصر السفلى. على الجانب الآخر، تعتبر اللغة القبطية متفردة ومتميزة حيث إنها تتضمن في طياتها حروفًا متحركة وهو ما يضفي أهمية على معرفة النطق الصحيح لمفرداتها، وقد نجح شامبليون في فك رموز الكتابة الهيروغليفية في عام 1822 من خلال مقارنتها بحروف اللغة القبطية.[4]

2 - وظيفة الكاتب

كتب التدريبات المدرسية

حفظت لنا أرض مصر العديد من الكتب المدرسية، حيث توضح لنا هذه الكتب كيف اعتاد دارس اللغة القبطية أن يتعلم بدايات اللغة،[5] (شكل 5) وتدعى الغرفة التي كان الكاهن أو الكاتب ينسخ فيها المخطوطات Scriptorium، ففي هذه الغرفة كان هناك معلم متخصص في تعليم الكتبة كيفية إنتاج المخطوطات، ولذلك فقد أخذت الكلمة معنى المدرسة التي نمت وتطورت حولها. ويشير خطاب مُرسل من أثناسيوس إلى وجود غرف النسخ في الإسكندرية في القرن الرابع.[6]



(شكل 5) لوح خشبي عليه كلمات وأرقام باللغة القبطية، Inv. 1006، © المتحف القبطي.

الرهبان الكتبة

قام بعض الرهبان في القرن الرابع الميلادي بنسخ المخطوطات لأنفسهم أو لآخرين مؤسسين بذلك مكتبة صغيرة، ولقد ألزم النظام الذي وضعه باخوميوس أولئك المترهبنين حديثًا تعلم القراءة إلى جانب تعلم نصوص الإنجيل. كذلك كان لدى ثيودور من مدينة فرما (بالقرب من بورسعيد) ثلاثة كتب جميلة والتي وهبها بكل سعادة وسرور للأخوة.[7] وتشير غالبية المخطوطات القبطية التي جاءت من عدة أديرة إلى احتوائها على غرف نسخ المخطوطات مثل أديرة وادي النطرون،[8] ودير الملاك ميخائيل في الفيوم، ودير القديس أنطونيوس في البحر الأحمر، والدير الأبيض في سوهاج.

3 - فن الكتابة

لقد اعتقد كاتب المخطوطات القبطية أن لكل حرف معنى خاصًا وذلك طبقًا لما ورد في المخطوطة المحفوظة في مجموعة مكتبة بولدين تحت رقم (393) والتي كتبها راهب يدعى سباو المعروف باسم القديس ساباس مؤسس أديرة فلسطين في القرن السادس الميلادي، ثم أعيد نسخها بواسطة راهب قبطي في مصر وترجمها إلى القبطية عام 1109 من عصر الشهداء (عام 1393م)؛ فيبدأ الكتاب بمقدمة مطولة مأخوذة بشكل رئيسي من الكتاب المقدس، حيث يلقي الكاتب الضوء بشكل مكثف على أهمية الحروف، ثم يذهب المؤلف في تأمل شكل كل حرف وأين يوجد أو يقع في الكتاب المقدس وأهميته ومغزاه، ومثال على ذلك:

حرف الألفا Alpha في السريانية والعبرية والعربية ينطق أَلِفْ، ويمكن أن يفسر وينطق أَلْف أي 1000 لذلك فإن الألف تعني في هذه اللغات الثلاثة 1000، وجدير بالذكر أن هذا يمكن أن يطبق على الأحرف الأخرى التالية بيتا، جاما، دلتا، إي.[9]

هذا، وقد ورث فن الكتابة القبطية عدة سمات من الكتابة الهيروغليفية مثل:

استخدام الاختصارات

عادةً ما تختصر الكلمات كثيرة التكرار في النصوص الطقسية والكتاب المقدس وعليه فبدلاً من كتابة الكلمة كاملة كان الكاتب يختار حرفين أو ثلاثة أحرف لكتابتها وخاصة للأسماء المقدسة مثل الرب، والمسيح، ويوحنا، والمُقدس، وكذلك كانت الاختصارات تستخدم في الوثائق القانونية مثل العقود ونجدها كذلك في قوائم الجرد والقوائم المختلفة للمواد وهناك بعض النقوش التي تتضمن اختصارًا لبعض الألقاب الإدارية.



(شكل 6) علامة 'عنخ' كانت تستخدم للإشارة إلى الصليب. معبد دندرة.

استخدام المونوجرام

استخدمت القبطية وكذلك اللغة المصرية القديمة المونوجرام أي استخدام الحرف الأول من الاسم للإشارة إليه مثل استخدامه على النسيج للإشارة إلى اسم يسوع المسيح، ولقد استخدم أصحاب المقام الرفيع في الكنائس القبطية المونوجرام للتوقيع بأسمائهم على المخطوطات. (شكل 6)

التعمية[10]

في بعض الأوقات شعر الأقباط بالحاجة إلى استخدام التعمية لإخفاء مضمون بعض الملحوظات، والصيغ، والنقوش أو الرسائل، لذلك فقد سُجل ما يزيد عن ثلاثين مثالاً بهذه الطريقة، حيث استعار الكاتب القبطي نظم وطرق التعمية من اليونانيين. وهناك ثلاثة أنواع من طرق التعمية، منها تلك التي ذكرها شاسيناه Chassinat عام 1921 عندما نشر بردية قبطية طبية حيث وجد بها بعض أسماء الأدوية معماة بنفس الطريقة وتؤرخ هذه المخطوطة فيما بين القرن التاسع والقرن العاشر. وفي أثناء الغزو الفارسي لمصر في بداية القرن السابع قبل الميلاد، أجبر رهبان أديرة الجبال الطيبية (في دندرة والدير البحري) على الانسحاب إلى الصحراء المحيطة بهذه الجبال، وربما يفسر هذا المنفى المؤقت وجود مخربشات قبطية في أماكن التعبد في منطقة أرمنت والتي عثر عليها بشاتلي عام 1974؛ فمن أجل إخفاء الخطابات القبطية لسكان البلاد الأصليين استخدم الأقباط رموزًا اصطلاحية.

وربما يتساءل المرء عن مدى فائدة استخدام هذه الرموز المعماة. ومن الواضح أن هذه الأنظمة قد ظهرت بالفعل مع ميلاد اللغة القبطية واستمرت على الأقل حتى

القرن الرابع عشر. على صعيد آخر إن العدد المحدود من الأمثلة التي تم التعرف عليها وتحديد ماهيتها بالإضافة إلى أن العديد من الحالات التي ظلت دون تحديد أو تعريف بها قد جعل من الصعب بل من المستحيل تحديد ما إذا كانت هذه النصوص قد دونت باليونانية أم بالقبطية (على سبيل المثال صندوق كالاموس من أنتينوي، والذي عثر عليه في مجموعة متحف جيميه القديمة، والمحفوظة حاليًا في اللوفر. ومن الواضح أن هذه الأنظمة قد استخدمت في البداية لإخفاء العنوان الكامل لكتاب ديني أو بغرض إخفاء صيغة سحرية أو جعلها أكثر غموضًا أو بغرض حجب الهوية الحقيقية للعقاقير الطبية عن معرفة العامة. ثم ما فتأت أن أصبحت حيلة خادعة لبعض الأشخاص المتعلمين للتواصل فيما بينهم فقط؛ فقد قام أحد الكتبة بإدراج أدعية في نهاية مخطوطة حيث نسخ صلاة أحد الرهبان كانت مخربشة على حائط كرسالة مختصرة إلى راهب آخر. وهذه المخربشات جميعًا تتسم بالسذاجة والسطحية. ومن الواضح أن الأمور الهامة المعماة في هذه المخربشات قد فُقدت، فيما عدا بعض الذكريات المبهمة من قبيل 'يروي أهل مدينة طيبة أن ملاكًا أعطى سر لغة الزهد لباخوميوس'.

كيف تؤرخ المخطوطة؟

تحتوي بعض المخطوطات على جملة في نهايتها تشير إلى الكاتب، ومكان الكتابة، والقارئ وبعض الأشخاص الآخرين وهي تسمى كولوفون[11] Colophon أي خواتيم المخطوطة، ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الرابع نجد هذه الخواتيم في المدونتين الثانية والسابعة للمخطوطات في مكتبة نجع حمادي.[12] كانت أولى هذه الخواتيم قصيرة بحيث تذكر فقط اسم الكاتب، وقام العالم البلجيكي A.Van Lantschoot بتجميع خواتيم المخطوطات الصعيدية وقام بالتعليق عليها[13] في حين أن خواتيم المخطوطات البحيرية، والقبطية العربية لم يتم دراستها حتى الآن، وهاتان المجموعتان غنيتان بأسماء الأديرة، والكنائس، والكتبة، والقراء. وإذا ما كانت المخطوطة الكاملة يمكن تأريخها بواسطة الخواتيم، فإن علم Paleography 'الخطوط القديمة'[14] يستخدم لتأريخ كسرة أثرية أو من خلال مقارنة الكتابة اليدوية Calligraphy. ولقد أعد ثلاثة من الباحثين كتالوجًا مفيدًا لهذه المقارنة؛ الأول هو الفرنسي Hyvernat الذي نشر ألبومًا في عام 1888 يتضمن اللوحات المأخوذة من المخطوطات الأدبية القبطية دون المضي قدمًا في تحليل الكتابة اليدوية لكل قرن.[15]

أما الثاني فهو V. Stegmann والذي نشر ألبومًا عام 1936 للخطوط القديمة وضمنه الأعمال الأدبية وغير الأدبية وقام بمقارنة القبطية باليونانية ويعتبر عملاً ذا نفع كبير،[16] أما الثالثة فهي M. Cramer التي نشرت ألبومًا للخطوط القديمة لكنها تعاملت أيضًا وحصريًا مع النصوص الأدبية، وقامت هذه الباحثة بتتبع تطور كل حرف عبر العصور المختلفة منتجة في النهاية بعض جداول للمخطوطات المؤرخة.[17] ولا يتعامل علم المخطوطات مع كتابة المخطوطات يدويًا بل يتعامل كذلك مع المادة المستخدمة للكتابة عليها مثل البردي، والورق، والشقفة، والحجر الجيري، ... إلخ. كذلك يدرس هذا العلم المداد والقلم اللذين يكتب بهما، وما زال علم الخطوط القبطية القديمة في مهده أو مازال علمًا حديثًا نسبيًا إذا ما قورن بعلم الخطوط اليونانية القديمة، ولقد قام العالم كال Kahle بإرساء بعض القواعد لتأريخ المخطوطات القبطية عندما نشر مخطوطات دير البلايزة.[18] وهناك أداة أو وسيلة أخرى لتأريخ المخطوطة ألا وهي مدونات المخطوطات[19] ويتعامل هذا العلم

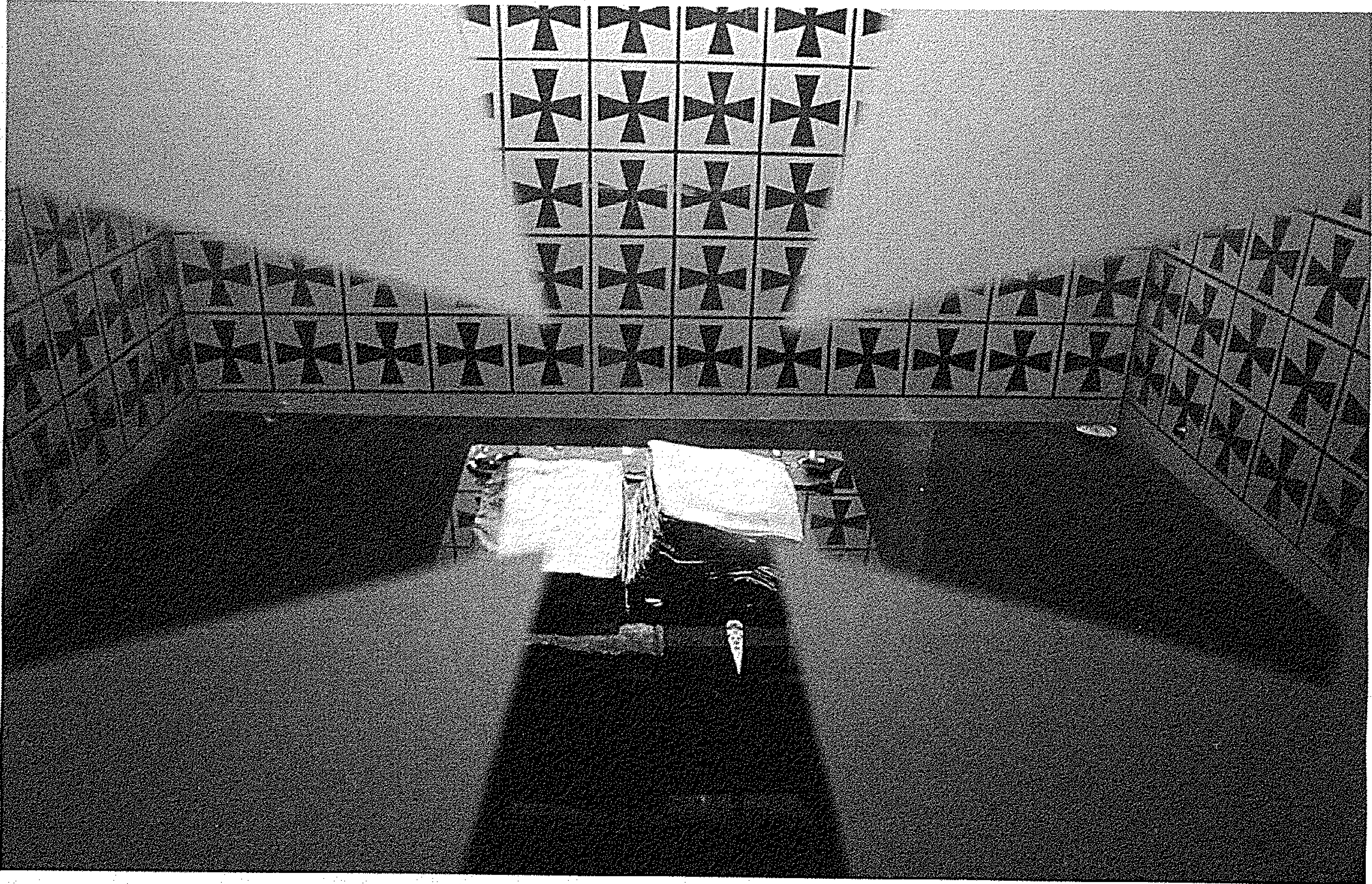
مع الشكل الظاهري أو الخارجي للمخطوطة في شكل كتاب من المخطوطات المجموعة معًا والتي تخاط معًا في شكل رزم وتشبه هذه المخطوطات شكل الكتاب الحالي، وهو ما يعني وجود حدود للصفحة، عدد السطور، وعدد الأعمدة بكل صفحة ... إلخ وهذه الطريقة تحاول تجميع الأجزاء المتفرقة من هذه المخطوطات (حتى وإن كانت في بلاد مختلفة) من أجل إعادة تكوين المدونة الأصلية للمخطوطات.

ولكي تصنع المدونة كان ولابد وأن تطوى أربع ورقات بطريقة رأسية لتشكل ملزمة من 16 صفحة ثم تجمع عدة رزم عادة في شكل كتاب، وعلى الرغم من ذلك كانت هناك أنواع أخرى من الملازم المفردة، والمزدوجة، والثلاثية، والرباعية، ويجب ملاحظة أثناء عملية إنتاج الملازم تسلسل الصفحات مع الألياف الرأسية الأفقية في المدونات المصنوعة من البردي أو ملاحظة سياق وتتابع الشعر واللحم في المدونات المصنوعة من الرَّق؛ فأوراق أو صفحات المخطوطات اليونانية عادة ما ترتب بشكل جيد؛ حيث يوضع في الاعتبار توالي الأوراق ذات الملمس المتشابه إما وجه شعر الحيوان، أو وجه لحم جسده. أما في صفحات الرق فكانت تُثقب في الهامش العلوي، أو الخارجي، أو السفلي للمساعدة على تمييز الأسطر. هذه الأسطر عادة ما كانت تدون على الوجه الذي كان به شعر الحيوان. بالإضافة إلى ذلك كانت توجد بعض الطرق المميزة لبعض حجرات النسخ، فعادة كانت هذه الحجرات تُكتب على



(شكل 7) الأبصلمودية باللغتين العربية والقبطية. Inv. 4091، © المتحف القبطي.

الصفحات قبل عملية الثقب وتجميع الملازم وصناعة كتلة الكتاب، ولقد جاء ترقيم الصفحات أو الملازم متماشيًا مع تطور شكل المخطوطة. أما تاريخ صنع غلاف الكتاب فيبدأ في الوقت الذي بدأ فيه انتشار المخطوطات على نطاق واسع ولم تتغير تقنية صناعة غلاف الكتب جوهريًا منذ بدايتها وحتى الآن، ولقد كان الأقباط ذوي شهرة وصيت لمهارتهم في تجليد الكتب حيث عشقوا الأغلفة المصنوعة من الجلد ذات الزخارف الهندسية في جانبها السفلي.[20] وهناك وسيلة أخرى مستخدمة لتأريخ المخطوطات القبطية وهي دراسة زخرفة المخطوطات[21] التي تظهر على الكتب القبطية، (شكل7) وعلى الرغم من أن هذا الفن ذو جذور مصرية قديمة فإنه لم يظهر على المخطوطات القبطية حتى القرن السادس حين بدأ في التطور والنمو تدريجيًا باستخدام الرسومات الجميلة المستوحاة من موضوعات الكتاب المقدس، وحياة القديسين. وبداية من القرن الثامن ازدهرت زخرفة المخطوطات القبطية بشيء من الغموض وعدم الوضوح بالأخص فيما يتعلق بنصوص الكتاب المقدس والأعمال الدينية الأخرى حيث تتضمن الكتب الأربعة الأولى من العهد الجديد من القرن الرابع عشر الميلادي سواءً المدونة بالعبرية والقبطية على عدة مناظر مختلفة. وحتى يومنا هذا فقد أجريت عدة دراسات قليلة في هذا الصدد نذكر منها M. Cramer بعنوان *Koptische Buchmalerei*, (Recklinghausen, 1964) والذي يعتبر



(شكل 8) كتاب المزامير. © المتحف القبطي.

كتالوجًا لأحد المعارض، كذلك مؤلف J. Leroy بعنوان *Les Manuscrits coptes et copto-arabes illustrés*, (Institut Français d'Archéologie de Beyrouth, *Bibliothèque Archéologique et Historique* 96, (Paris, 1974) ويعتبر هذا الكتاب المهم هو المتمم والمكمل (للأعمال السابقة للمؤلف والخاصة بالمخطوطات السريانية المزخرفة ثم قام Jasmann بدراسة زخرفة مخطوطات الدير الأبيض بالقرب من سوهاج.

مضمون المخطوطات القبطية

تعتبر الغالبية العظمى من مضمون المخطوطات القبطية ذات محتوى ديني؛ حيث احتوت هذه المخطوطات على نصوص دينية من الكتاب المقدس وتؤرخ النصوص المبكرة



(شكل 9) صفحتان من مخطوط نجع حمادي، Inv. 10544، © المتحف القبطي.

بالقرنين الرابع والخامس الميلاديين، ومن بين أهم الاكتشافات الحديثة هو كتاب المزامير Psalms والمدوَّن بلهجة مصر الوسطى (شكل 8) (*Mesokenic*). ولقد جاء السواد الأعظم من المخطوطات من مصر العليا نظرًا لطبيعة التربة الجافة والتي استطاعت لفظ المخطوطات لفترة طويلة على الرغم من ذلك فإن لهجة مصر السفلى قد ذكرت على المخطوطات حيث تم العثور على نقش في منطقة كيليا (القلالي) Kellia من دير السريان بوادي النطرون، ومن العهد القديم لدينا باللهجة الصعيدية مثل كتاب الأمثال، وكتاب المزامير، وكتاب الأتباع الثانويين، وبعض المقتطفات من الكتب الأخرى. أما اللهجة البحيرية فقد ذكرت في كتاب الأسفار الخمسة الأولى من التوراة Pentateuch، وعند الأتباع الأساسيين والثانويين، وبعض المقتطفات من الكتب الأخرى.

أما العهد الجديد فقد جاء باللهجتين الصعيدية والبحيرية وهناك بعض الأجزاء الموجودة في غرف نسخ الكتاب المقدس مدونة بلهجات أخرى مثل الفيومية والأخميمية. ولقد بقيت عدة نصوص مسيحية قديمة عالية القيمة في تاريخ الفكر المسيحي حيث دونت بالقبطية وخاصة باللهجة الصعيدية.

في عام 1945، تم اكتشاف مكتبة متكاملة بالقرب من مدينة نجع حمادي حيث نجد للمرة الأولى العديد من النصوص متعلقة بطائفة الغنوسيين والتي تسعى لإيجاد الخلاص من خلال المعرفة؛ حيث ترجمت أعمال كاهن الكنيسة إلى القبطية وفي بعض الأحيان نجد أن النصوص اليونانية الأصيلة قد فقدت، وأن النسخة القبطية أصبحت هي المصدر الأوحد وفي أحيان أخرى كانت النصوص تدوَّن مباشرة بالقبطية.[22] (شكل 9)



(شكل 10) برديتان سحريتان تعودان إلى القرنين السادس والثامن الميلاديين، .Inv 4960-4960، © المتحف القبطي.

يتضمن الأدب القبطي كذلك نصوص سير القديسين والتي تعبر عن أساطير الشهداء وتضحيات القديسين.[23]

كذلك تناول الأدب القبطي موضوع القوانين الكهنوتية والتي أصدرتها المجامع المسكونية والمجامع المحلية

للكنائس بالإضافة إلى القوانين الكهنوتية المنسوبة إلى أباء الكنائس مثل الأب أثناسيوس من الإسكندرية، والأب باسيليوس الكبير، من ناحية أخرى يعتبر تاريخ الكنيسة أحد المجالات التي تناولتها المخطوطات القبطية حيث نشر Orlandi بعض الأجزاء وقام Den Heijer بتحقيق شامل لهذا العمل[24] وجاء العدد الأكبر من هذه الأجزاء مختصًّا بالأعمال الطقسية على الرغم من أن الغالبية العظمى منها تعود إلى تواريخ متأخرة.[25] وبدءًا من القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر، شرع بعض المؤلفين الأقباط في تكوين قوائم للكلمات القبطية وتدعى هذه الكتب Scalae. ويوجد في بداية هذه المخطوطات مقدمة أجرومية[26] وكما رأينا أن معظم الأدب القبطي جاء ذا صيغة دينية إلا أنه تضمن بعض المجالات الأخرى مثل الطب، والفلك، والفلسفة، والسحر. (شكل 10)

الهوامش

1 Jan Quaegebeur, 'Pre-Old Coptic', in: A.S. Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopaedia* 8 (New York,1991), 190a-.191.

2 قام المحرر بإضافة هذا الجزء، انظر: Quaegebeur, 'Pre-Old Coptic', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 8, 190a. 191.

3 Helmut Satzinger, 'Old Coptic', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 8, 169-175.

4 حول الكلمات المكتوبة بالقبطية انظر W. Westendorf, *Koptisches Handwörterbuch* (Heidelberg 1965-1977); J. Černý, *Coptic Etymological Dictionary* (Cambridge, 1976); W. Vycichl, *Dictionnaire Etymologique de la Langue Copte* (Louvain, 1983).

5 W. Kammerer, 'Coptic Bibliography', *Ann Arbor* (Michigan, 1950), 104 no. 1832-1839.

6 M. Krause, 'Scriptorium', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 7, 2108.

7 L. Regnault, *The Day-to-day Life of the Desert Fathers in the Fourth century* (Massachusetts, 1999), 92-93,104-105.

8 حول تاريخ مكتبة الدير انظر L. Störk, *Koptische Handschriften* 2, Teil 2, (Stuttgart, 1995), 52-77.

9 A. Hybbelynck, 'Les Mystères des Lettres Grecques d'après un manuscrit copte-arabe de la Bibliothèque Boldeiene d'Oxford', *Le Museon* 19 (1900), 5-136, 269-300, (1901), 5-33; 369-414.

10 Jean Doresse, 'Cryptography', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 8, 65-69.

11 M. Krause, 'Colophon', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 2, 576-578.

12 M. Krause, and P. Labib. *Gnostische und hermetische Schriften aus Codex II und VI, Koptische Reihe* 2. (Glückstadt, 1971), 106.

13 A. van. Lantschoot, *Recueil des colophons des manuscrits chrétiens d'Egypte*, (Louvain, 1929).

14 R. Kasser, 'Paleography', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 8, 175-184.

15 H. Hyvernat, *Album de paléographie copte pour servir à l'introduction paléographique des Actes des martyrs de l'Egypte* (Paris and Rome, 1888).

16 V. Stegemann, *Koptische Paläographie: 25 Tafeln zur Veranschaulichung der Schreibstile koptischer Schriftdenkmäler* (Heidleberg, 1936).

17 M. Cramer, *Koptische Paläographie* (Wiesbaden, 1964).

18 P. E. Kahle, Bala'izah, *Coptic Texts from Deir el-Bala'izah in Upper Egypt* (Oxford and London, 1954).

19 Günter poethke, 'Codicology', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 8, 572b-573a.

20 حول تطور هذا العلم الحديث انظر: Anne Boud'hors, 'Paleographie et Codicologie Coptes, progrès et perspectives', *Acts of the Eighth Congress for Coptic Studies* (Paris 28 Juin– 3 Juillet, 2004).

21 P.S.J. Du Bourguet, M. Rosen-ayalon, 'Illumination, Coptic', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 8, 1282b-1284b.

22 من المهم للقارئ الإطلاع على مؤلَّف M. Geerard, *Clavis Patrum Graecorum* (Turnhout, 1974-1978), 5 volumes and supplement (1998).

23 An annually bibliography is published in the Analecta Bollandiana

24 J. Den Heijer, *Mawhub ibn Mansur ibn Muffarig et l'historiographie copto-arabe*, *CSCO* 513, (Louvain, 1989).

25 حول هذه الكتب، انظر: Hanna Malak, 'Les Livres Liturgiques de l'Eglise Copte', in: *Mélanges Eugène Tisserant* III, (= *Studi e Testi* 233), (Vatican, 1964), 1-35. Ugo Zanetti, 'Bohairic Liturgical Manuscripts', *OCP* 60 (1995) 65-94.

26 A. Sidarus, 'Bibliographical Introduction to Medieval Coptic Linguistics', *BSAC* 29 (1990) 83-85.

محاولات العرب لفك رموز الخط المصري القديم في القرون الوسطى*

عكاشة الدالي

«وجعل الله حاجتنا إلى معرفة أخبار من كان قبلنا، كحاجة من كان قبلنا إلى أخبار من كان قبلهم، وحاجة من يكون بعدنا إلى أخبارنا»[1]

الجاحظ (المتوفى عام 771 م)- كتاب الحيوان 1 : 42.

كثيرًا ما كان يُفترض أن المسلمين كانوا يميلون إلى تدمير الآثار الوثنية لحضارات ما قبل الإسلام، ولكن الحقيقة مختلفة، حيث كان هذا التدمير استثنائيًّا. فنجد الطبيب الرحالة عبد اللطيف البغدادي في القرن الثاني عشر الميلادي قد كان على دراية كبيرة بقيمة هذه الآثار، وذلك بغرض دراسة الماضي، إذ عبر عن إعجابه بالحكام المسلمين لاهتمامهم وحمايتهم لتلك الآثار، الأمر الذي كان له عدة فوائد:

- تعتبر الآثار دليلاً تاريخيًّا مهمًّا للتسلسل التاريخي.
- تقدم دليلاً على ما جاء في الكتب المقدسة من كتابات السابقين، حيث ورد ذكرهم وذكر مجتمعهم في القرآن الكريم.
- توضح إلى حد ما سياسة وتاريخ الأسلاف، وثراء علومهم، وعبقرية أفكارهم.

وقد أدرك الدارسون الأوروبيون في حقل الدراسات العربية أهمية مساهمات العرب في العصور الوسطى في هذا المجال منذ زمن طويل. فقد نشر المستشرق 'جوزف فون هامر' في لندن عام 1806م النسختين الكاملتين: العربية والإنجليزية للنسخة غير الكاملة لكتاب 'ابن وحشية' لفك رموز الخط القديم.

وقبله اقترح 'أثانسيوس كرشر' (المتوفى عام 1680م) في منتصف القرن السابع عشر أن الهيروغليفية ربما تمثل أصواتًا مثلما تعبر عن أفكار، وقد بدأت أعماله تؤثر على الدارسين الأوروبيين، حيث بلغ هذا التأثير ذروته في أعمال 'توماس يونج' و'جان فرانسوا شامبليون'.

لذلك فلابد ألا نستخف بأهمية مصادر 'كرشر' العربية، ولا بأهمية المعرفة الجيدة للقبطية التي مكنته من إنتاج أول قاعدة أجرومية قبطية بلغة أوروبية.

الأسباب الفنية والدينية لاهتمام العرب بالخطوط القديمة:

يوجد العديد من الأسباب الفنية لاهتمام العرب بالخط المصري القديم، على سبيل المثال: التوازن في نسب الحروف، والتماثل والتشابه. وأيضًا التوازي حيث تأخذ أشكال الرموز نفس الاتجاه. كذلك رشاقة نظام

الكتابة من خلال الاحتفاظ بالترتيب وشكل الرموز طوال النص. وإلى جانب تلك المعايير، نجد ما يعرف باسم حيوية الألوان التي تميز الخط الإسلامي والتي تُرى في الهيروغليفية المصرية.

بالإضافة إلى ذلك، فمن وجهة النظر الإسلامية يمكن معرفة أسباب شغف المسلمين المتصوفين بالهيروغليفية. فقد كانوا شغوفين بالاستعارات التصويرية،[2] وهو ما وجدوه في الهيروغليفية المعروفة بغنى استعاراتها،[3] وقد قام علماء الكيمياء المتصوفة مثل 'جابر ابن حيان' بكتابة رسائل عن أشكال الحروف، مثلما فعل الصوفي الشهير 'ابن عربي'.[4] وربما كان السبب الأكثر أهمية لدراسة اللغة المصرية القديمة هو الفضول الفكري الذي انتاب طبقة المفكرين والمثقفين، الشيء الذي بدا واضحًا في الحلقات النقاشية التي أقامها عرب العصور الوسطى لمناقشة النقوش المصرية القديمة.[5]

المصادر المتاحة لعرب العصور الوسطى

لعبت اللغة القبطية دورًا مهمًّا في فك رموز الهيروغليفية، فالقبطية هي خليط من اللغتين اليونانية والمصرية القديمة، مكتوبة بخط يضم 24 حرفًا يونانيًّا و7 حروف مصرية مأخوذة من الخط الديموطيقي. ومع أن فكرة تبني أبجدية جديدة (اليونانية واللاتينية) لاستبدال اللغة المصرية القديمة كان أمرًا مرفوضًا من جانب الأقباط، إلا أن القبطية استطاعت أن تأخذ مكانها تدريجيًّا بلهجاتها المتعددة كوعاء يستوعب الطقوس الدينية، والأدب، والعلوم مثل الكيمياء والرياضيات.[6] في حين يوضح الدكتور روكاتي (Roccati) أن الديموطيقية في العصر المتأخر والقبطية المبكرة متشابهتين إلى حد كبير بحيث إنه لابد ألا نتعامل معهما على أنهما لغتان مختلفتان. فنجد أن علماء المصريات قد استخفوا بعمق قدرة التعدد اللغوي لدى المصريين في ذلك الوقت، حيث قام المقريزي (المتوفى عام 1440م)- في دراسته عن الأديرة القبطية في أسيوط-[7] بإدراج ملاحظة لغوية هامة عن اللهجات المحلية؛ حيث لاحظ أن الأقباط المصريين في الصعيد (مصر العليا) قد احتفظوا بالصعيدية القبطية في بداية القرن الخامس عشر، وبالإضافة إلى ذلك قد لاحظ أن لديهم معرفة كاملة باليونانية لكنهم فضلوا الصعيدية التي كانت 'اللهجة القبطية الأصلية'.

من المُقترح أن الكتابة الهيروغليفية لا تزال مستخدمة بين الأقباط حتى القرن السابع الميلادي على الأقل.[8] ومن المرجح أن يكون ذلك الاهتمام بالقبطية قد استمر، أو ربما توسع، حيث كان يُنظر إلى الكهنة الأقباط على أنهم حفظة حكمة ومعرفة الكهنة القدماء.

ومما لاشك فيه أن أعمال السحر الفرعوني والقبطي قد انتقلت إلى قاعدة عريضة من جمهور العرب.[9] بالإضافة إلى ذلك، دخل العديد من الأقباط في دين الإسلام مما مكنهم من الحفاظ على كل من القبطية والعربية،[10] كذلك كتب بعض الأقباط النصوص العربية بحروف قبطية،[11] مما جذب الناس الذين لديهم هذه الميول. (شكلا 1، 2)

ومن المؤكد أن الخط الديموطيقي كان ميسرًا لعرب العصور الوسطى، فقد كانت الوثائق تدون بأكثر من خط واحد ولغة واحدة، حيث كانت القبطية، واليونانية، والديموطيقية لاتزال قيد الاستعمال والتسجيل. ومن الأمور المثيرة للاهتمام أن كل المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع كانت كيميائية، كذلك كان الكثير منها مصادر صوفية، وربما يكون ذلك بسبب شهرة مصر كأرض العلم والحكمة والتصوف.



(شكل 1) أسماء رؤساء الملائكة ميخائيل وجبرائيل مكتوبة بالقبطية الصحيحة في كتاب الأقاليم السبعة لأبي القاسم العراقي (Ms Add 25724, fol. 21b)، المكتبة البريطانية.

الأسماء العربية للخطوط المصرية القديمة

من خلال الكثير من المصادر العربية التي تمت دراستها، تم تحديد العديد من الأسماء المختلفة التي تشير إلى خطوط اللغة المصرية القديمة، والتي بلغت نحو 15 اسمًا، منها على سبيل المثال: القلم البرباوي– قلم المعابد، القلم الكاهني (الهيراطيقي)، اللسان المصري.



(شكل 2) نموذج للنصوص العربية على النسيج الفاطمي التي تقلد الكتابة الهيروغليفية المصرية. والنص هو تكرار لكلمتي 'اليمن والإقبال'. القاهرة، متحف الفن الإسلامي، رقم 596 (أتوجه بالشكر للمتحف الإسلامي بالقاهرة، والسيد محمد عباس سليم).

جهود العرب لفك رموز اللغة المصرية القديمة

ذكرت لنا المصادر العربية أن العلامات الهيروغليفية المصرية كانت تنطوي على صفتين: الأولى أنها كانت

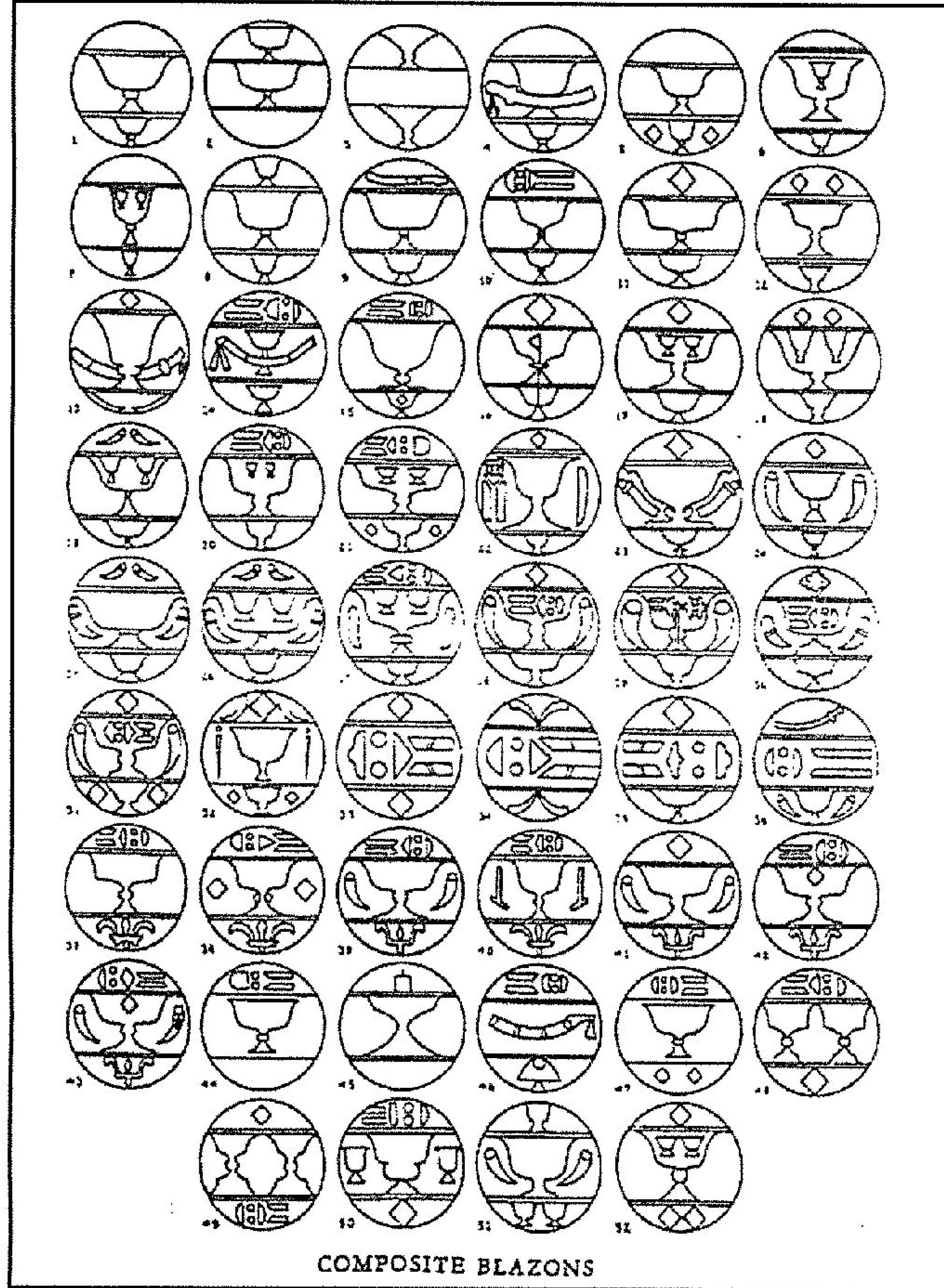
حروفًا ذات قيم صوتية، أيضًا استخدموا تلك الحروف كرموز تعبر عن أفكار. ومن المرجح أن المصادر العربية قد تأثرت في هذا بفكر أفلاطون الذي اقترحه في مؤلفه *Enneads*.

لقد أدرك كل من الإدريسي[12] (المتوفى عام 1251م) والقلقشندي[13] (المتوفى عام 1418م) أن قدماء المصريين، واللذين أطلقا عليهم الأقباط الأوائل، قد استخدموا أبجدية مكونة من 32 إلى 36 حرفًا. وقام الاثنان بالإشارة إلى حقيقة الصلة بين القبطية واللغة المصرية القديمة، عن طريق تسمية الأخيرة 'القبطية الأولى'. وهذه الصلة هي نتاج ملاحظة أن الكهنة الأقباط كانوا قادرين على قراءة النصوص القديمة أو على الأقل قد كانوا على دراية بها. لذلك على أقل تقدير كان بعض العرب في العصور الوسطى على دراية بالعلاقة بين اللغة القبطية واللغة المصرية القديمة التي سبقتها، وكانوا قادرين على تمرير هذه المعرفة من جيل إلى آخر.

لقد شاع بين بعض الكتاب العرب في العصور الوسطى عند وصفهم لموضوعات مصرية قديمة إدراج بعضة سطور من الخط المصري القديم، أو مما يفترض



(شكل 3) تصميمات أدوات استلهمت الرموز الهيوغليفية المصرية، والتي شاعت في الكيمياء العربية بالعصور الوسطى. أبو القاسم العراقي، كتاب الأقاليم السبعة.



(شكل 4) استعمال الهيروغليفية لكتابة كلمات نب ماعت رع (وربما أيضًا كلمة تاوي) في الفن الإسلامي لزخرفة الرنوك المملوكية، وهي تعني: سيد العدل، الشمس، ورب الأرضين.

أنها من رموز الأبجدية المصرية القديمة، مصحوبة بقيمتها الصوتية مكتوبة باللغة العربية. ونرى ذلك بوضوح في كتاب 'الاستبصار' لمؤلف مجهول من القرن الثالث عشر، حيث نجد العديد من الحروف التي تشبه الهيراطيقية والديموطيقية.

امتد استخدام عرب العصور الوسطى للرموز الهيروغليفية إلى مناطق أخرى، فقد وجدوها مصدر إلهام لتصميم المعدات والأدوات الكميائية (شكل 3)، أو كأداة مفيدة في رسم الأجهزة الميكانيكية، مثل الأجهزة الأوتوماتيكية التي قام بتصميمها 'الجزري' (القرن الثاني عشر / الثالث عشر). و استخدمت الرموز الهيروغليفية في الفن الإسلامي أيضًا نظرًا لرمزيتها ولقيمتها الجمالية، مع المعرفة الكاملة بمعناها الأصلي، وذلك بحسب 'بلوشيه Blochet'،[14] وقد أكد الدارسون بعد ذلك نفس الرأي.[15] فنجد (شكل 4) يوضح تشابه الرموز المصرية القديمة (*Nb mꜣꜥt Rꜥ*) وربما *tꜣwy*، والتي تعطي العديد من المعاني مثل: العدالة، وسيد الأرضين. حيث تتناسب مع رؤية المماليك لأنفسهم كحكام مثل رنك السلطان بيبرس، وربما كانت تلك الرنوك مستوحاة من الرموز القبطية. [16]

الخطوط المصرية التي فكت رموزها بطريقة صحيحة

لقد بدأت دراسة العرب للخطوط القديمة منذ القرن الأول للإسلام (السابع ميلادي)،[17] واستطاع بعض الكتاب العرب في بعض الحالات الوصول لفك مجموعة من العلامات المصرية بطريقة صحيحة. وهناك العديد من الأمثلة التي تؤكد صحة فك عرب العصور الوسطى لرموز الهيروغليفية، مثل:

وهذا خطه وقلمه كما تراه

(شكل 5) الأبجدية القبطية بقيمها الصوتية وترتيبها المعروف مكتوبة بطريقة صحيحة في مخطوط ذي النون المصري 'حل الرموز، وبرء الأسقام في كشف علوم أصول اللغات والأقلام'.



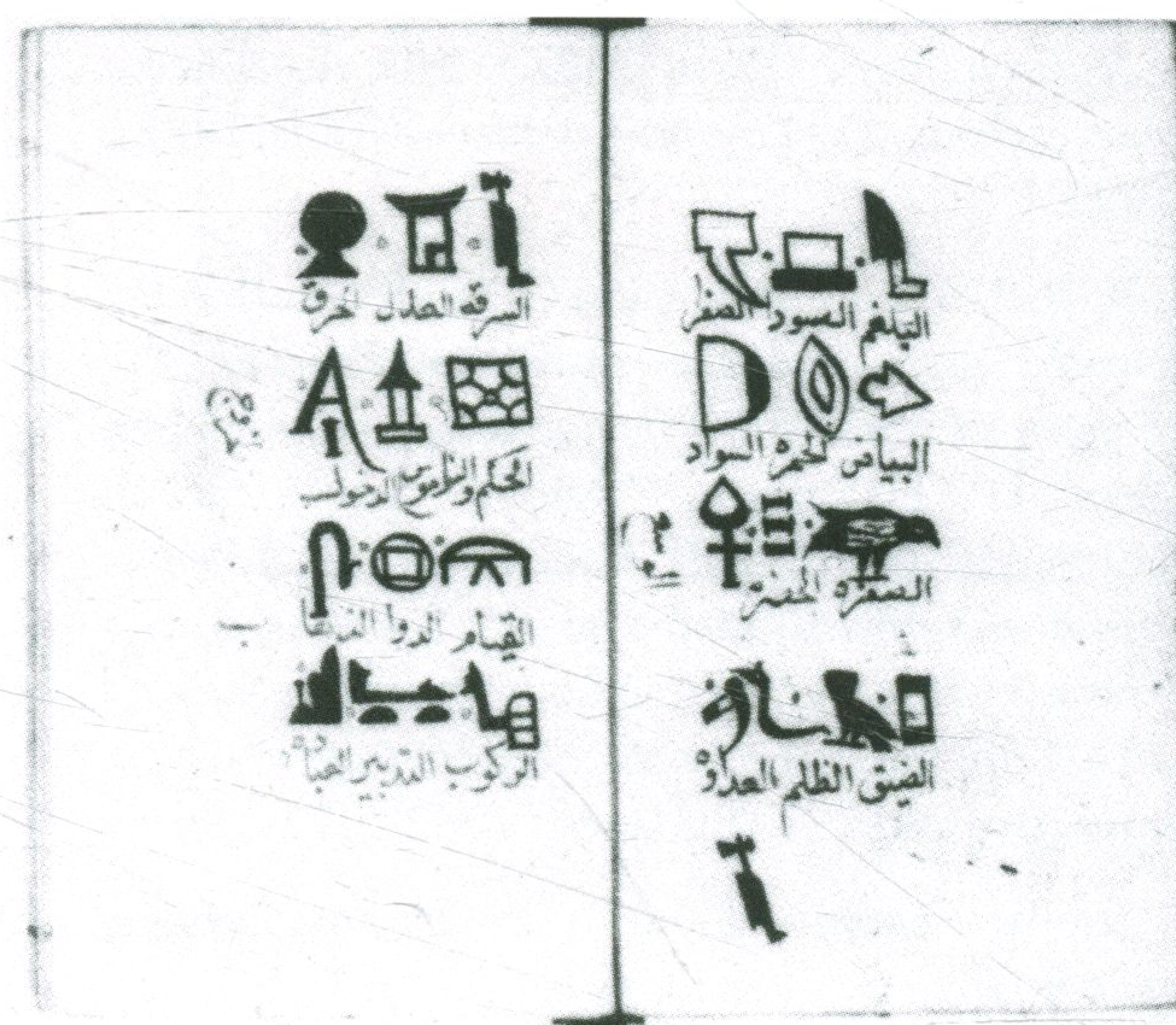
(شكل 6) جزء من الأبجدية المصرية طبقًا لابن وحشية (شوق المستهام)

1 - قام ذو النون المصري بذكر اللغة القبطية وقيمها الصوتية الصحيحة. [18] (شكل 5)

2 - استطاع ابن وحشية أن يميز بعض العلامات الهيروغليفية كعلامات صوتية، مع الإشارة لعدة حروف بطريقة صحيحة في مخطوطاته 92 ب و93 أ (شكل6)،[19] حيث قام بنسخ العلامات الثمانية



(شكل7) ابن وحشية، شوق المستهام.



(شكل 8) ابن وحشية، شوق المستهام.

والثلاثين بطريقة صحيحة، واثنتا عشرة علامة منها تم استخدامها في الأبجدية المصرية بصورة أكيدة. ويمثل كل من شكل 7 وشكل 8 أمثلة على معرفة المخصصات اللغوية، وبمقارنة هذه القائمة بقائمة آلان جاردنر، ويتضح أن ابن وحشية كانت له مصادر



(شكل 9) لوحة للملك أمنمحات الثاني (تقريبًا 1895-1928 قبل الميلاد)، الأسرة الثانية عشرة، كما نسخها أبو القاسم العراقي في كتاب الأقاليم السبعة.

مصرية أصلية (شكل 7 - الجانب الأيسر)، حيث تم التعرف على علامة العدل في منتصف السطر العلوي وهذا صحيح من وجهة نظر جاردنر O9، O20 حيث إن العلامتين مرتبطتان كلتاهما بالمعابد أو المقاصير حيث كانت تعقد إجراءات تطبيق العدالة في المجتمعات المحلية.[20]

3 - توضح لنا أعمال أبو القاسم العراقي (المتوفى عام 1341م) أنه قام بنقل العديد من العلامات الهيروغليفية بطريقة صحيحة. وقام بعمل قائمة بالعلامات الهيروغليفية بقيمتها الصوتية بلون مختلف. كذلك قام بنسخ لوحة كاملة يمكن التعرف منها على أسماء وألقاب أمنمحات الثاني من الأسرة الثانية عشرة.[21] (شكل 8).

ومن خلال ما تم ذكره فإنه مازال يوجد جهد كبير من البحث قبل أن تدرج جهود عرب العصور الوسطى في فك رموز الهيروغليفية كمصدر يمكن الرجوع إليه، وأيضًا يجب معرفة دافع ومدى الدراسة لهؤلاء العرب. وينبغي ملاحظة أنه ربما تكون بعض القيم الصوتية لبعض الرموز الهيروغليفية في المخطوطات المذكورة سابقًا موضع تساؤل، إلا أنه ربما اعتمد العرب في فكها على إدراكهم لقيمتها الصوتية المعماة، وهو ما يتفق فعلاً مع نتائج البحوث في اللغة المصرية القديمةوآخرها كتاب دارنيل.[22]

الهوامش

* أتوجه بالشكر إلى كل من الأستاذ أحمد منصور والأستاذة شيرين رمضان لتحرير هذا المقال وإخراجه بهذه الصورة الطيبة.

1 الجاحظ كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة، 1969)، الجزء الأول، 42.

2 O. Abou Baker, 'The Symbolic Function of Metaphor in Medieval Suffi Poetry: The Case of Shushatri', *Alif: Journal of Comparative Poetics* 12 (Cairo, 1992), 40-57.

3 O. Goldwasser, *From Icon to Metaphor. Studies in the Semiotics of the Hieroglyphs, OBO 142* (Göttingen, 1995), 142.

4 H. Fouad, '*The Symbolism of the Letter Alif in Ibn 'Arabi*', *Alif* 12, 145-77.

5 ابن أميل، شرح الصور والأشكال، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس.

6 A. Roccati, *Writing Egyptian Scripts and speeches at the End of Pharaonic Civilization* (Rome, 1992), 292.

7 المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (لندن، 2004) الجزء الرابع، قسم 4، 1045.

8 É. Amélineau, *Étude sur le Christianisme en Égypte au Septième Siècle* (Paris, 1887,) 140; Amélineau, *Contes et Romans de l'Égypte Chrétienne* (Paris, 1888), XXXIX.

9 M. Bilabel, A .Grohmann and G. Graf, Griechische, *Koptische und Arabische Texte zur Religion und Religiösen Literatur in Ägypten Spätzeit* (Heidelberg, 1943); U. Haarmann, 'Rgional Sentiment in Medieval Islamic Egypt', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 43, 65; S. Fodor, 'Traces of the Isis Cult in an Arabic Love Spell from Egypt', in: U. Luft (ed.) *The intellectual Heritafe of Egypt, Studia Aegyptiaca 14* (Budapest, 1992), 171-186.

10 G. Sobhy, *Common Words in the Spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin* (Cairo, 1950), 3.

11 J. Blau, *Some Observations on a Middle Arabic Egyptian Text in Coptic Characters, Studies in Arabic and Islam* (Jerusalem, 1979), 216.

12 الإدريسي، أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، 'نشرة ألريش هارمان، بيروت & شتوتجارت'، 1991، f 100.

13 القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تعليق محمد حسين شمس الدين (بيروت)، جزء 20:3.

14 E. Blochet, 'Études sur le Gnosticisme Muslman', *Rivista degli Studi Orientali* (1907), 222.

15 L. Mayer, *Saracenic Heraldry* (Oxford, 1933), 13.

16 O. Kurz, 'Mamluk Heraldry and Interpertatio Christiana', in M. Rosen- Ayalon (ed) *Studies in memory of Gaston Wiet* (Jerusalem,1977), 297-307.

17 F. Sezgin, *Geschitche des Arabischen Schrifttums* 1, (Leiden, 1967), 934.

18 For comparison with the arrangement of Coptic letters and phonetic values see: B. Layton, *A Coptic Grammar* (Wiesbaden, 2000),13.

19 ابن وحشية، كتاب الأقاليم السبعة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس MS 6805 Bibliothèque Nationale, (Paris).

20 A. Gardiner, *Egyptian Grammar: Being an Introduction to the Study of Hieroglyphs* (London, 1957), 438-548.

21 أبو القاسم العراقي، كتاب الأقاليم السبعة، مخطوط بالمكتبة البريطانية، Ms Add. 25724 British Library (London), fol 50a.

22 J. Darnell, *The Enigmatic Netherworld Books of the Solar- Osirian Unity, Cryptographic Compositions in the Tombs of Tutankhamun, Ramsses VI and Ramesses IX, OBO* 198 (Göttingen, 2004).

اكتشاف ونشر حجر رشيد*

شيرين رمضان

تم اكتشاف حجر رشيد في عام 1799م أثناء الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801م)، حيث اعتبر أكثر القطع الأثرية قيمة وأهمية فهو بمثابة الصلة الوحيدة بين اللغة المصرية القديمة واللغات الحديثة. بل من المحتمل أن يكون حجر رشيد هو أشهر القطع الحجرية في العالم بأسره.

حجر رشيد هو قطعة حجرية غير منتظمة الشكل من الصخر الصلب ذي اللون الداكن، طولها 112.3 سم وعرضها 75.7 سم، وسمكها 28.4 سم، ويقدر وزنها بـ 762 كجم. عثر على حجر رشيد أثناء القيام بالتحصينات الدفاعية في قلعة سانت چوليان التي تقع على الضفة الغربية لنهر النيل بالقرب من ميناء رشيد الصغير، تحديدًا عندما تم هدم حائط قديم لبناء أساسات مزيد من التحصينات.

عثر 'بيير فرانسوا بوشارد'- وهو أحد المهندسين الضباط- على الحجر، وقد أدرك على الفور أنه جزء من لوحة أثرية مكتوبة بثلاثة خطوط، حيث تم التعرف مباشرًا على 40 سطرًا غير مكتملة من الجزء الهيروغليفي، و35 سطرًا من الجزء اليوناني، ولكن الـ 32 سطرًا الموجودة في الجزء الأوسط قد كُتبت بخط قيل في بادئ الأمر أنه خط سرياني لكن اتضح فيما بعد أنه 'خط ديموطيقي'. وقام بوشارد بإبلاغ الجنرال الفرنسي 'عبد الله چاك منو' بالاكتشاف والذي قام بدوره وأخذ الحجر إلى الخيمة حيث قام بتنظيفه وترتيب ترجمة الجزء اليوناني، الشيء الذي أكد أن النقوش تسجل النص ذاته بثلاثة خطوط مختلفة.

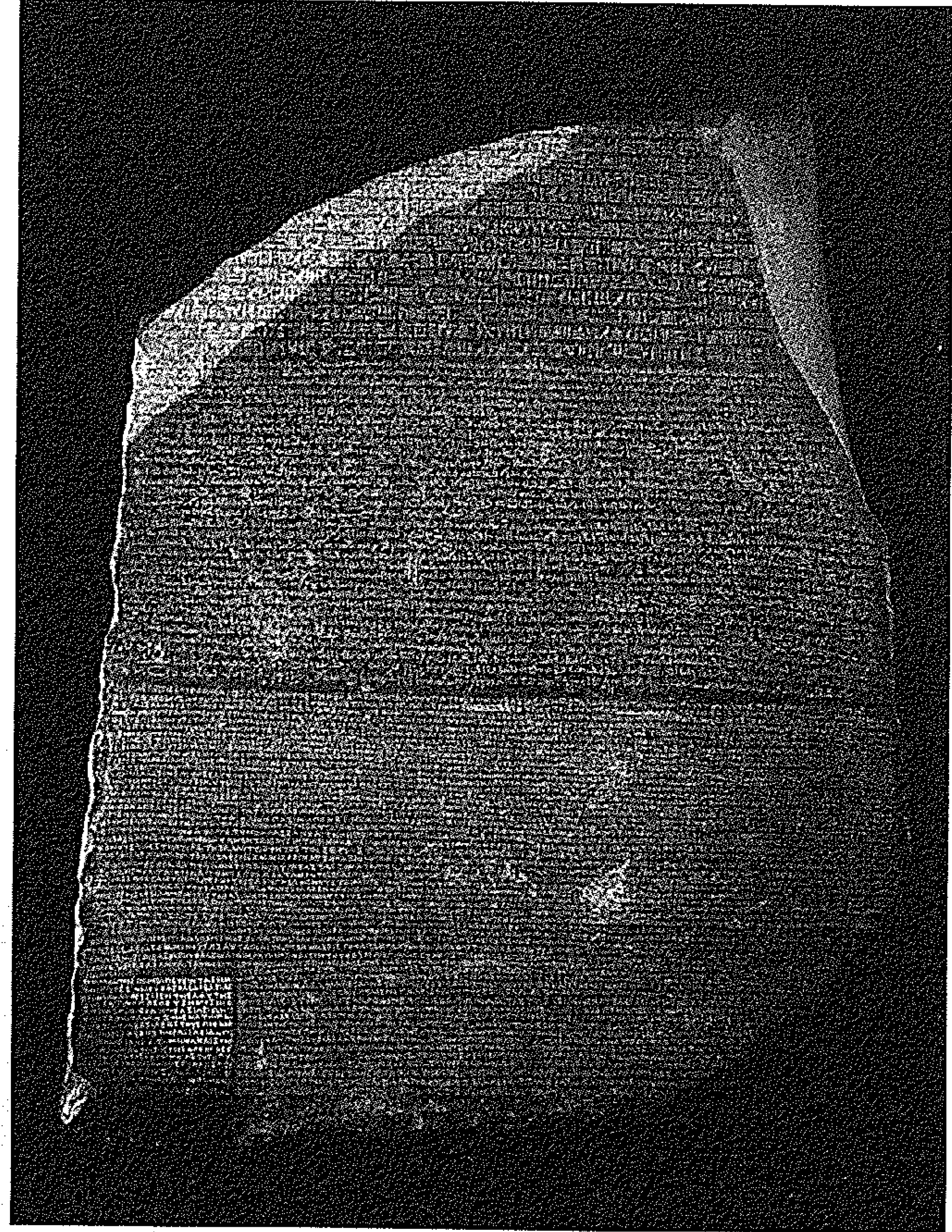
فك رموز حجر رشيد

لقد تم تداول قصة فك حجر رشيد والمولد الإعجازي لعلم المصريات كثيرًا. ولكن سردها كان مبهمًا بسبب المنافسة بين المشتركين الاثنين الأساسيين، وقد تفاقم هذا الغموض بسبب التعاطف الوطني، كما تم تهميش الدور المهم والأساسي للباحثين الآخرين مرارًا وتكرارًا، فعلى سبيل المثال تم إهمال المساهمات المهمة لكل من الدبلوماسي والمستشرق 'أكربلاد'، والمستشرق 'سلفيستر دي ساسي'. ونلاحظ أن قصة فك حجر رشيد قد انصبت على الاهتمام بالخط الهيروغليفي، ولكن الديموطيقي قد لعب دورًا هائلاً، حيث إن الباحثين الذين حاولوا فك شفرته قد انساقوا وراء افتراض خاطئ وهو إنه لا يقوم على نظام الكتابة التصويرية. ونلاحظ أن النقش الديموطيقي الموجود على الحجر هو أكثر حفظًا من الجزء الهيروغليفي، ولذلك فهو يمدنا بنسخة من الأسماء الشخصية التي وردت في بداية النص اليوناني.

في الحقيقة يعتبر سلفستر دي ساسى هو أول من تصدى لفك رموز الخط الديموطيقي، حيث تعرف على

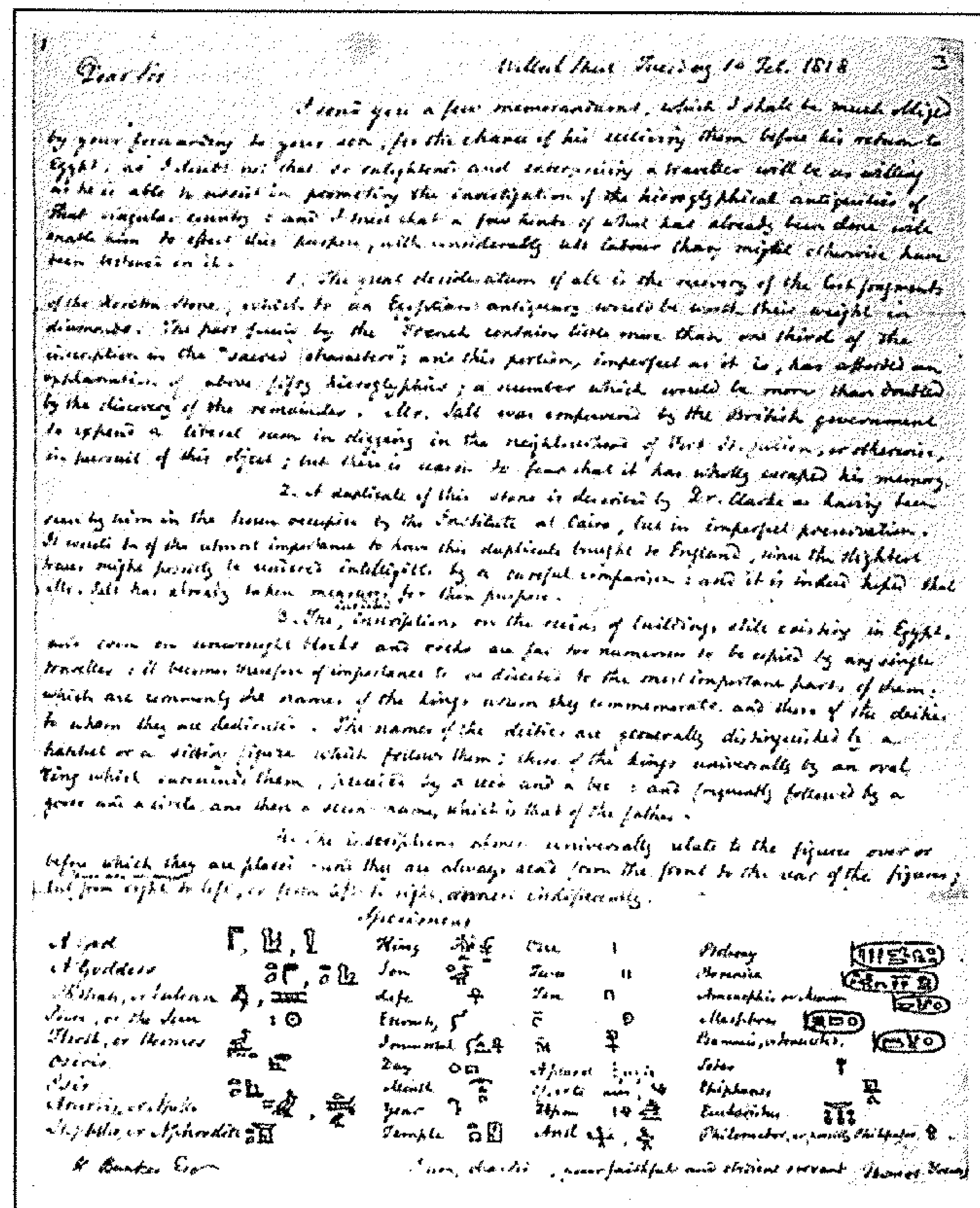
الأسماء الشخصية متضمنًا بطلميوس، بالرغم من أنه لم يكن صائبًا في تحليل العلامات الفردية. في عام 1802م قام 'أكربلاد' بنشر *Lettre sur l'inscription égyptienne de Rosette, addressée au citoyen Silvestre de Sacy*، حيث قام بتوضيح أهم سمات الخط الديموطيقي، مشتملة على ضمير الشخص الثالث، وربطها نظيرها في القبطية مثل 'مصر'، و'المعبد'، و'كثير'، و'الملك'، و'يوناني'. ومع ذلك فقد افترض 'أكربلاد' خطأ أن هذا الخط كان أبجديًّا، واكتشافاته عن الديموطيقي لم تتعدَّ الفذلكة الخاطئة لفك رموز الخط الهيروغليفي.

يعتبر كل من توماس يونج (1773-1829م) وچان فرانسوا شامبليون (1790-1832م) هما أهم بطلين لهذه



القصة حيث تكرر ذكر اسميهما طوال فترة فك رموز الخط الهيروغليفي. وقد اشتهر توماس يونج وعُرف عنه دوليًّا أنه عبقري متعدد الثقافات. وقد أبدى اهتمامًا بحجر رشيد من خلال إحدى البرديات التي يمتلكها صديقه. وفي عام 1816 استطاع يونج أن يميز اسم بطلميوس كخرطوش في الجزء الهيروغليفي، وبمساعدة النسخة الديموطيقية استطاع تحديد القيمة الصحيحة لخمس علامات وهي: *p, t, mꜥ, l* *m, i, s*، وأيضا القيمة الصحيحة لثمانية علامات أخرى. وتم أخذ هذا الإنجاز في عين الاعتبار حيث إن معظم الخراطيش تحتوي على علامات وألقاب بالإضافة إلى الاسم المكتوب بالأبجدية. وقد اقترح أن الأسماء الأجنبية فقط مثل بطلميوس قد تم كتابتهما أبجديًّا فقط، والكلمات الأخرى مثل الألقاب في الخراطيش تمت كتابتهما رمزيًّا. واقترح يونج أن الخط الديموطيقي والخط الهيروغليفي كانا مرتبطين من ناحية الشكل. ومن خلال مقارنة الخطوط الثلاثة استطاع أن يربط بعض الكلمات مثل 'الملك' و'مصر'، وعلى الرغم من أنه قام بتحديد العديد من الكلمات الديموطيقية بنجاح فإنه عجز عن تقديم إنتاج تحليل موثوق به لهذه الكلمات، إلا إنه استطاع تحديد مجموعة من الكلمات الهيروغليفية بشكل ملحوظ، واقترح معناها بطريقة صحيحة، كما ورد في رسالة لوليام چون بانكس في 1818م (شكل 1).

كان شامبليون باحثًا حذرًا جدًا، يتكلم لغات متعددة، واسع الخيال لامعًا. قد بدأ ولعه بمصر منذ صغر سنه. درس العربية في عام 1807م على يد 'سلفستر دي ساسي'، واكتسب معرفة باللغات التي تعتبر وثيقة الصلة بمصر. بالإضافة إلى ذلك قد تعلم اللغة القبطية على يد كاهن. وفي عام 1821م قارن مجموعة من العلامات على حجر رشيد ببعض الكلمات اليونانية، وقد استنتج أن الخط لا يمكن أن يكون تصويريًّا



Dear Sir   Welbeck Street Tuesday 10 Feb. 1818

I send you a few memorandums, which I shall be much obliged by your forwarding to your son, for the chance of his receiving them before his return to Egypt; as I doubt not that so enlightened and enterprising a traveller will be as willing as he is able to assist in promoting the investigation of the hieroglyphical antiquities of that singular country: and I trust that a few hints of what has already been done will enable him to effect this purpose, with considerably less labour than might otherwise have been bestowed on it.

1. The great desideratum of all is the recovery of the lost fragments of the Rosetta stone, which to an Egyptian antiquary would be worth their weight in diamonds. The part found by the French contains little more than one third of the inscription in the "sacred characters"; and this portion, imperfect as it is, has afforded an explanation of above fifty hieroglyphics; a number which would be more than doubled by the discovery of the remainder. Mr. Salt was empowered by the British government to expend a liberal sum in digging in the neighbourhood of Fort St. Julien, or otherwise, in pursuit of this object; but there is reason to fear that it has wholly escaped his memory.

2. A duplicate of this stone is described by Dr. Clarke as having been seen by him in the house occupied by the Institute at Cairo, but in imperfect preservation. It would be of the utmost importance to have this duplicate brought to England, since the slightest traces might possibly be rendered intelligible by a careful comparison: and it is indeed hoped that Mr. Salt has already taken measures for this purpose.

3. The inscriptions on the ruins of buildings still existing in Egypt, and even on unwrought blocks and rocks are far too numerous to be copied by any single traveller: it becomes therefore of importance to us to direct to the most important parts of them; which are commonly the names of the kings whom they commemorate, and those of the deities to whom they are dedicated. The names of the deities are generally distinguished by a hatchet or a sitting figure which follows them; those of the kings universally by an oval ring which surrounds them, preceded by a reed and a bee; and frequently followed by a goose and a circle and then a second name, which is that of the father.

4. The inscriptions almost universally relate to the figures over or before which they are placed: and they are always read from the front to the rear of the figures; but from right to left, or from left to right, almost indifferently.

Specimens

A god		King		One		Ptolemy	
A Goddess		Son		Two		Berenice	
Hathor, or Vulcan		Life		Ten		Amenophis or Memnon	
Phre, or the Sun		Eternity				Mesphres	
Thoth, or Hermes		Immortal				Ramesses	
Osiris		Day				Soter	
Isis		Month				Epiphanes	
Arueris, or Apollo		Year				Euergetes	
Athyr, or Aphrodite		Temple				Philometor	

W. Bankes Esq.   I am, dear Sir, your faithful and obedient servant Thomas Young

(شكل 1) خطاب توماس يونج إلى ويليام چون بانكس في عام 1818، المتحف البريطاني.

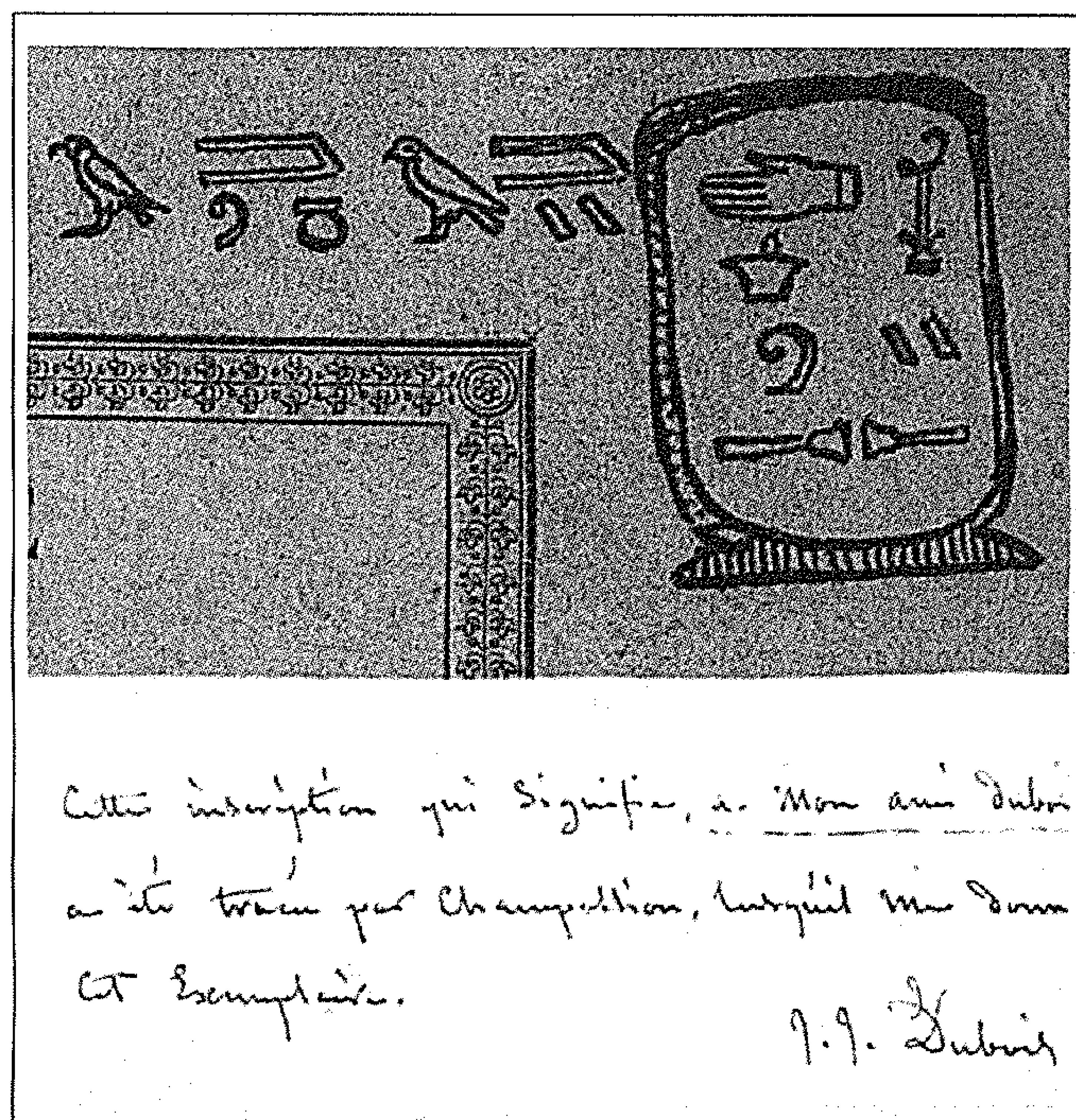
بحتًا، وأن ليس كل صورة مفردة تمثل كلمة بالضرورة.

وفي تلك الأثناء قدم يونج مجموعة من الرموز الأبجدية التي استخدمت لكتابة أسماء بطلميوس وكليوباترا، وقام بنشرها في عام 1819 في Supplement to the Encyclopedia Britanica (4th edition). في عام 1822 حصل شامبليون على نسخة من نقوش مسلة 'بانكس'، واستطاع الوصول لنفس نتائج 'يونج' عن رموز الأبجدية من أسماء بطلميوس وكليوباترا، ومن بين تلك الأسماء حصل على 14 حرفًا أبجديًا، حيث كانت كافية له لفك خراطيش أفراد أسرة البطالمة الآخرين، والأباطرة الرومان، وتوسع في الأبجدية كلما تقدم.

وصف شامبليون في تقريره الشهير Lettre à M. Dacier الأبجدية التي استخدمت في كتابة أسماء الغير مصرية، كما أعلن في الصفحات الختامية أنه متأكد من أن العلامات الصوتية هي جزء تكميلي لـ 'الكتابة الهيروغليفية الخالصة' (شكلا 2، 3).

في عام 1824 تم نشر خصائص الخط الهيروغليفي التي وردت في رسالة شامبليون كاملة في Précis système hiéroglyphique des anciens égyptiens par M. Champollion le Jeune، وهي تحدد الخطوة الفاصلة في فك الرموز، كما تم تقديم هذا النشر شخصيًا إلى لويس الثامن عشر في 29 مارس من نفس العام.

نشرت نسخة لاحقة في عام 1828 تضمنت علامات 'المخصصات'، حيث قام شامبليون بدراسة دائرة البروج في معبد دندرة، وتم عرض هذه النسخة في متحف اللوفر منذ عام



(شكل 2) نسخة من خطاب شامبليون إلى السيد داسييه، المتحف البريطاني.

1822، توضح بعض العلامات التي استخدمت كمخصصات تشير إلى فئة الكلمات السابقة، ولا يزال علماء المصريات يستخدمون مصطلح 'مخصصات' الذي ابتكره شامبليون.

الهوامش

* اعتمد هذا المقال بصفة أساسية على كتاب: Richard Parkinson, *Cracking codes: Rosetta stone and decipherment* (Berkeley, 1999).

Tableau des Signes Phonétiques
des écritures hiéroglyphique et Démotique des anciens Égyptiens

Lettres Grecques	Signes Démotiques	Signes hiéroglyphiques
Α		
Β		
Γ		
Δ		
Ε		
Ζ		
Η		
Θ		
Ι		
Κ		
Λ		
Μ		
Ν		
Ξ		
Ο		
Π		
Ρ		
Σ		
Τ		
Υ		
Φ		
Ψ		
Χ		
Ω		
ΤΟ.		

(شكل 3) جدول الحروف الأبجدية، والعلامات الهيروغليفية والديموطيقية، وما يقابلها من الحروف اليونانية.

المخربشات المصرية القديمة

محمد شريف علي

يرجع المصطلح Graffito (وجمعها Graffiti) إلى كلمة إيطالية الأصل حديثة تعني 'الكتابة المحزوزة على الجدران وكذلك بلاطة المرمر المزينة بالزخارف'[1] وتتسع في المجمل لتشمل كل الكتابات العامة المكتوبة بأية وسيلة على أي سطح مناسب. أما في علم المصريات فتستخدم الكلمة للدلالة على النقوش الأثرية العشوائية أو العامة التي تحتوي على كتابات أو أشكال تصويرية والتي نفذت بأي من الوسائل المتعددة (بالنقش، أو بالحز، أو بالكتابة بالحبر، أو بالألوان المختلفة) على أية من أسطح الجدران القديمة كجدران المعابد، أو المقابر، أو الأسطح الصخرية في المناطق الصحراوية، أو الجبلية، أو أحيانًا على جوانب التماثيل سواء الضخمة منها أو حتى الصغيرة، ويقصد بالعشوائية أنها لا تنتمي إلى الكتابة الأصلية للمعبد أو للمقبرة وإنما كتبت لاحقًا في وقت متأخر في الغالب من قبل زوار للمنطقة أو ما إلى ذلك. كما كانت بعثات جلب الأحجار تترك خلفها أيضًا مثل هذه الكتابات على صخور مناطق المحاجر المختلفة مسجلة في بعض الأحيان بيانات ومعلومات هامة عن البعثات نفسها ومرسليها ورؤسائها وأحوالها العامة تكون ذات فائدة كبيرة للباحثين في معظم الأحوال. وتستخدم في العربية كلمة مخربشات للتعبير عن هذا المدلول، وإن كانت الكتابات ليست بالضرورة منفذة بالنقش أو بالحز. كتبت نصوص الجرافيتي المصرية القديمة بالخط الهيروغليفي، أو بالخط الهيراطيقي، أو بمستويات التنفيذ المختلفة المنحسرة بينهما



(شكل 1) آخر النقوش المدونة بالهيروغليفية، ويعود إلى عام 394 ميلاديًا.



(شكل 2) آخر النقوش المدونة بالديموطيقية، ويعود إلى عام 452 ميلاديًا.



(شكل 3) أحد المخربشات باللغة الإنجليزية، معبد دندرة.

وكذلك بالخط الديموطيقي في الفترة المتأخرة وأيضًا بالخط القبطي. وجدير بالذكر أن آخر النصوص المصرية المعروفة حتى الآن في التاريخ المصري القديم سواءً الهيروغليفية أو الديموطيقية كانت تنتمي لهذه النوعية من الكتابات وهي نصوص موجودة في معبد فيلة: نص بالهيروغليفية يرجع إلى سنة 394م،[2] (شكل 1)ونصان بالديموطيقية يرجعان لسنة 452م.[3] (شكل 2) لم تكن المصرية وحدها هي المستخدمة في نصوص الجرافيتي، بل إن هناك نصوص جرافيتي كتبت من قبل الأجانب الذين كانوا مقيمين في مصر أو زائرين لها بلغات مختلفة كاليونانية، واللاتينية، والقبرصية، والكارية، والفينيقية، والآرامية، وكذلك بلغات سامية مختلفة.[4] كما أن هناك نصوصًا حديثة بالطبع كتبت بالإنجليزية والفرنسية.[5] (أشكال 3، 4، 5).

وقد وُصفت مصر لذلك بأنها 'البلد الكلاسيكي للجرافيتي'[6] دلالة على كثرة وشيوع هذا العنصر الهام في أرض مصر، حيث إنه منذ عصر ما قبل التاريخ تنتشر ظاهرة وجود المخربشات في مناطق مختلفة على امتداد أرض مصر شمالاً، وجنوبًا، شرقًا، وغربًا، وكانت تحتوي في هذه الفترة



(شكل 4) أحد المخربشات باللغة الفرنسية، معبد دندرة.

المبكرة على تصوير أشكال فقط[7] ثم بدأت علامات الكتابة في الظهور (انظر بدايات الكتابة).

وكما سبق تعد مناطق المحاجر عمومًا أغنى المناطق المصرية بهذه النوعية من الكتابات على الإطلاق فمناطق كالنوبة السفلى، ووادي العلاقي، ووادي الهودي، ووادي حمامات، وحتنوب، وسيناء كلها تزخر بنصوص الجرافيتي. إلا أن هناك مناطق أخرى غير المحاجر امتلأت بنصوص الجرافيتي كجبل طيبة الغربي، ومنطقة أسوان، وأبو سمبل.

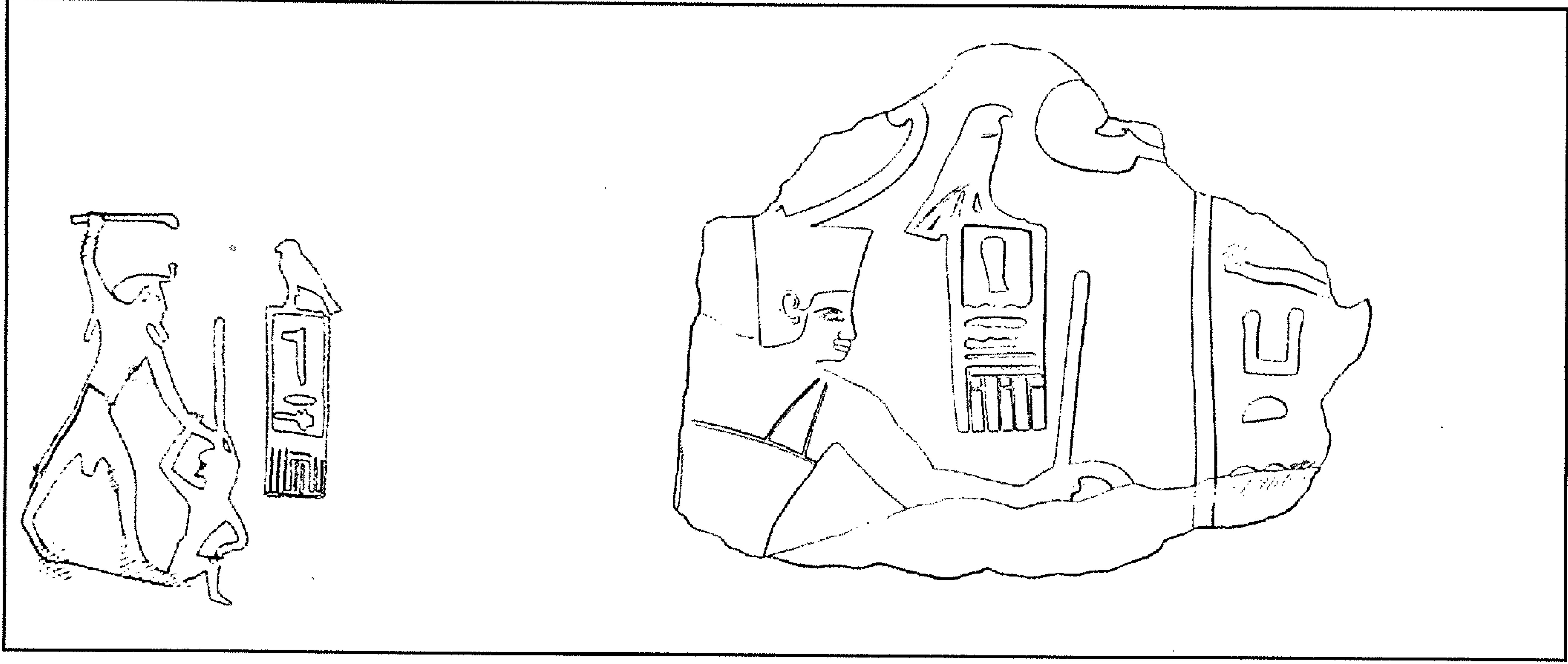
وإذا بدأنا في التعرف على النماذج الممثلة لهذه الكتابات بترتيب تاريخي اعتبارًا من الأسرة الأولى[8] تقابلنا أول



(شكل 5) أحد المخربشات باللغة الفرنسية، معبد مدينة هابو.

النصوص المعروفة حتى الآن والتي تحتوي على واجهة القصر تحمل اسم الملك نعرمر في وادي القش بمنطقة وادي حمامات،[9] ونجد نفس الأمر أيضًا في نقش عثر عليه حديثًا في المنطقة الواقعة غربي الأقصر على الطريق الصحراوي ما بين الأقصر فرشوط.[10] وقد عثر على جرافيتي يحمل اسم الملك الثعبان 'جت' من الأسرة الأولى أيضًا في منطقة وادي عباد 25 كم إلى الشرق من إدفو.[11] أما من الأسرة الثانية فيوجد في المنطقة الصحراوية إلى الغرب من أرمنت نص جرافيتي يحمل اسم الملك نب رع،[12] كما عثر في النوبة في جبل الجرجاوي على نقشين يحملان اسم الملك 'ني نتر'.[13]

وتضم سيناء أول مخربشات الدولة القديمة؛ إذ يوجد بمنطقة مغارة نقش يظهر فيه الاسم الحوري للملك زوسر (نثر خت) من الأسرة الثالثة.[14] (شكل 6). كما احتوت منطقة مغارة على عدد من النقوش التي تذكر اسم الملك سنفرو.[15] ورغم أن بعض الآراء لا تعد نقوش سيناء هذه ضمن نقوش المخربشات،[16] إلا إنه عند تناولها من حيث الشكل وطريقة التنفيذ والمضمون لا يمكن اعتبارها إلا مخربشات كتبها أفراد البعثات الذين أرسلوا إلى هذه المنطقة من قبل ملوكهم.



(شكل 6) مخربشات للملك زوسر (نثر خت) من منطقة مغارة بسيناء.

وفي منطقة حتنوب في مصر الوسطى (18 كم جنوب شرق العمارنة وهي تنتمي للمقاطعة الخامسة عشرة من أقاليم مصر العليا) والتي كان يستجلب منها الألبستر يوجد نص منقوش من الأسرة الرابعة يذكر اسم الملك خوفو.[17] وفي وادي حمامات توجد مجموعة من نصوص الجرافيتي ترجع للدولة القديمة من بينها نص لأحد الموظفين يذكر اسم هرم الملك جدف رع وربما يرجع هذا النص إلى عصر جدف رع، نفسه أو إلى عصر الملك خفرع.[18] كما عثر في منطقة وادي الشيخ علي في الصحراء الشرقية بالقرب من بلدة القصر عند نجع حمادي على جرافيتي يحتوي على اسم الملك منكاورع.[19]

وتكثر نصوص الجرافيتي في المناطق المختلفة اعتبارًا من الأسرتين الخامسة والسادسة، فمنطقة مغارة بسيناء، ومنطقة حتنوب، ومنطقة وادي حمامات، ومنطقة الطريق بين إدفو ومرسى علم عبر الصحراء الشرقية مرورًا بوادي برامية وبير الفواخير، ومنطقة جبل السلسلة ومنطقة أسوان تحتوي جميعها على نقوش جرافيتي ترجع لهذه الفترة. بل إنه يجدر بالذكر أن منطقة طيبة والتي تحتوي على أكبر عدد من المخربشات في مصر والتي كان يعتقد حتى وقت قصير أنه لا يوجد بها مخربشات قبل الأسرة 11 عثرت فيها بعثة الآثار البولندية في موسم حفائر الخريف من عام 2000 على نصوص تذكر اسم الملك مرنرع من الأسرة السادسة.[20]

وتزخر منطقة حتنوب بنقوش الجرافيتي من عصر الانتقال الأول والدولة الوسطى الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة. وقد ذكر في نصوصها أسماء أسر حكام الإقليم الخامس عشر في هاتين الأسرتين والذين دفنوا في منطقة البرشا. وتحتوي نصوص هذه المنطقة من تلك الفترات على موضوعات متباينة فمن النصوص من يتمنى صاحبها لكل مار سوف يرفع يده ابتهالاً وصلاةً للصورة التي تمثل صاحب هذا النص أن يصل بيته سالمًا بعد إنجاز

ما جاء من أجله،[21] ومنها من يستنزل صاحبها اللعنات على من لا يقدم التبجيل الكافي لصورة صاحب هذا النص أو يشوهها بأن آلهة الإقليم سوف تدمره.[22] كما يذكر بعضها أحداث الثورة الاجتماعية في نهاية الدولة القديمة،[23] بما يشير إلى التقارب الزمني بين تلك النصوص ونهاية الدولة القديمة. ويجدر بالذكر أن منطقة حتنوب لم تذكر ولم تحتوي على نصوص بعد الدولة الوسطى إذ ربما أن محاجر المنطقة استنفدت تمامًا حتى هذه الفترة.

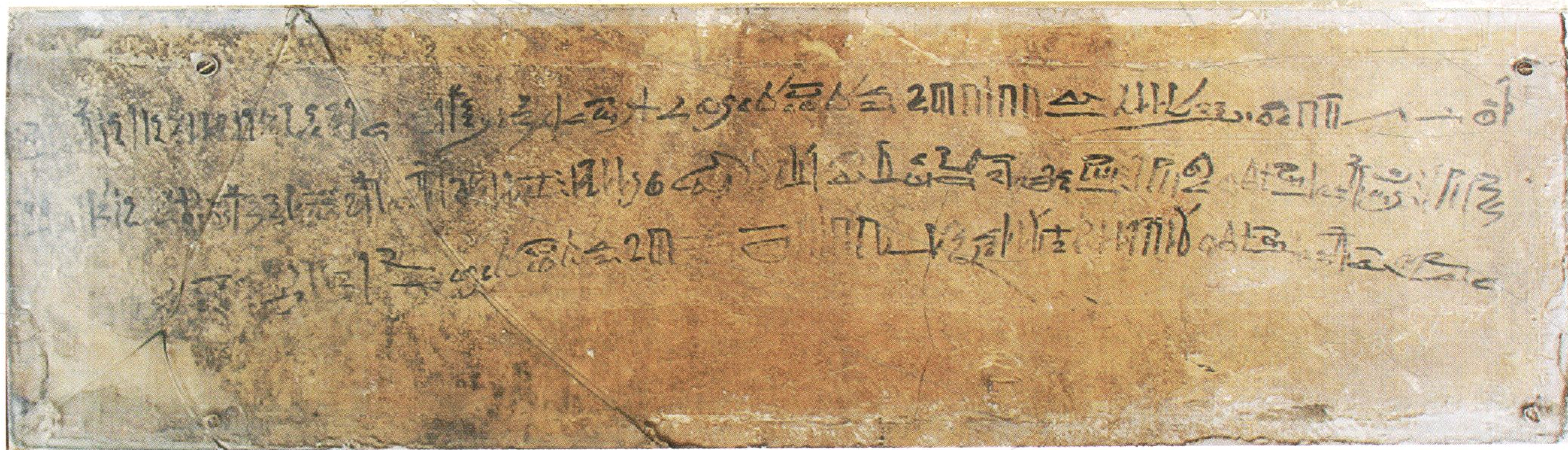
تحتوي مناطق سرابيط الخادم ومغارة بسيناء وكذلك وادي حمامات، والصحراء الغربية لطيبة، ووادي شط الرجالة شمالي أسوان، وأسوان نفسها، ووادي الهودي 35 كم جنوب شرق أسوان على مخربشات من الأسرة الحادية عشرة، بينما تحتوي نفس هذه المناطق بالإضافة إلى ميدوم، والمداموء، والواحة البحرية، ووادي العلاقي بالنوبة على مخربشات من الأسرة الثانية عشرة[24] (وتوجد في بني حسن، والكاب مخربشات من الأسرة الثالثة عشرة).

ازدادت في الدولة الحديثة أعداد المخربشات وتعددت وانتشرت مع اتساع رقعة الإمبراطورية وقد احتوت صخور الجبل الغربي في طيبة على آلاف من نصوص المخربشات القصيرة[25] غير ما تضمنته المقابر الملكية وغير الملكية من مثل هذه النوعية من النصوص.[26] ولم تتضمن مخربشات الجبل الغربي في طيبة في المعتاد[27] أكثر من اسم صاحب النقش ولقبه وأحياناً اسم الملك الذي كان يعيش في عصره أو أحيانًا اسم الملك فقط، إلا أن هناك مخربشات لها طبيعة دينية كصلاة أو دعاء للإله[28] أو مخربشات ذات أهمية تاريخية تذكر حدثًا معينًا وتاريخه.[29]

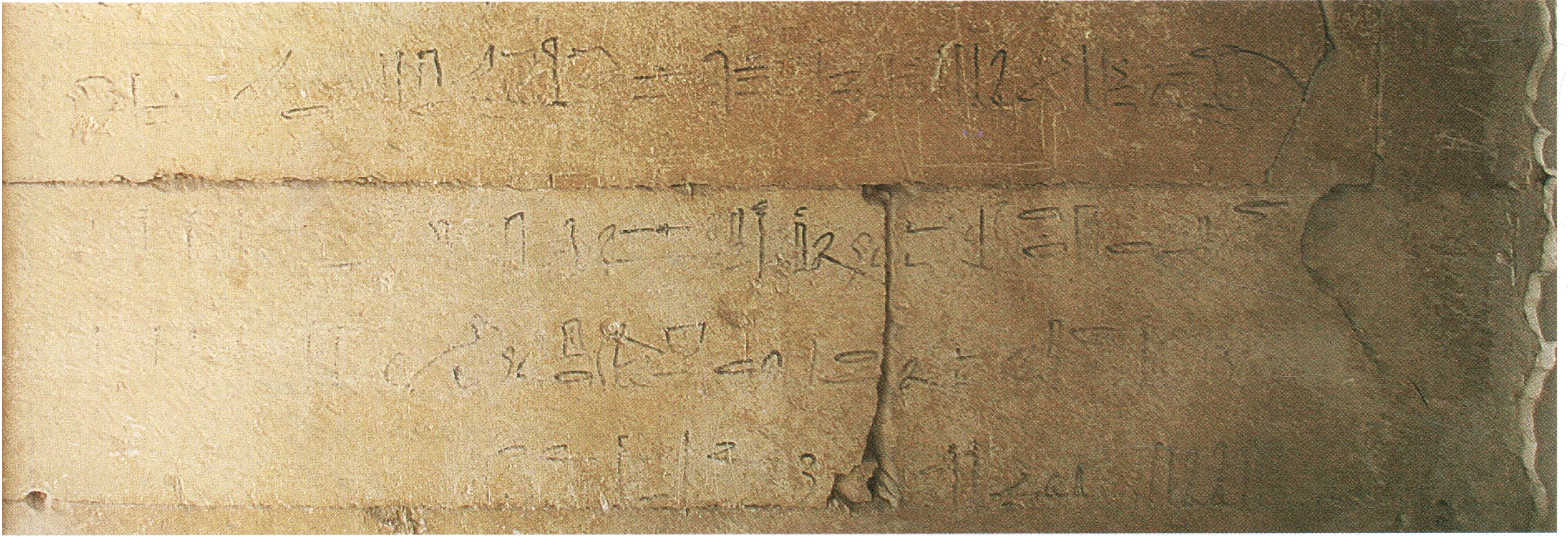
وقد امتلأت منشآت الدولة القديمة بنصوص مخربشات الزوار من فترة الدولة الحديثة، فمجموعة الملك زوسر الهرمية في سقارة أصابها حظ وفير من كتابات الزوار من الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة.[30] ومثال لذلك النص الذي كتبه



(شكل 7ب) أحد مخربشات بيت الشمال في المجمع الجنائزي للملك زوسر، سقارة.



(شكل 7أ) أحد مخربشات بيت الجنوب في المجمع الجنائزي للملك زوسر، سقارة.

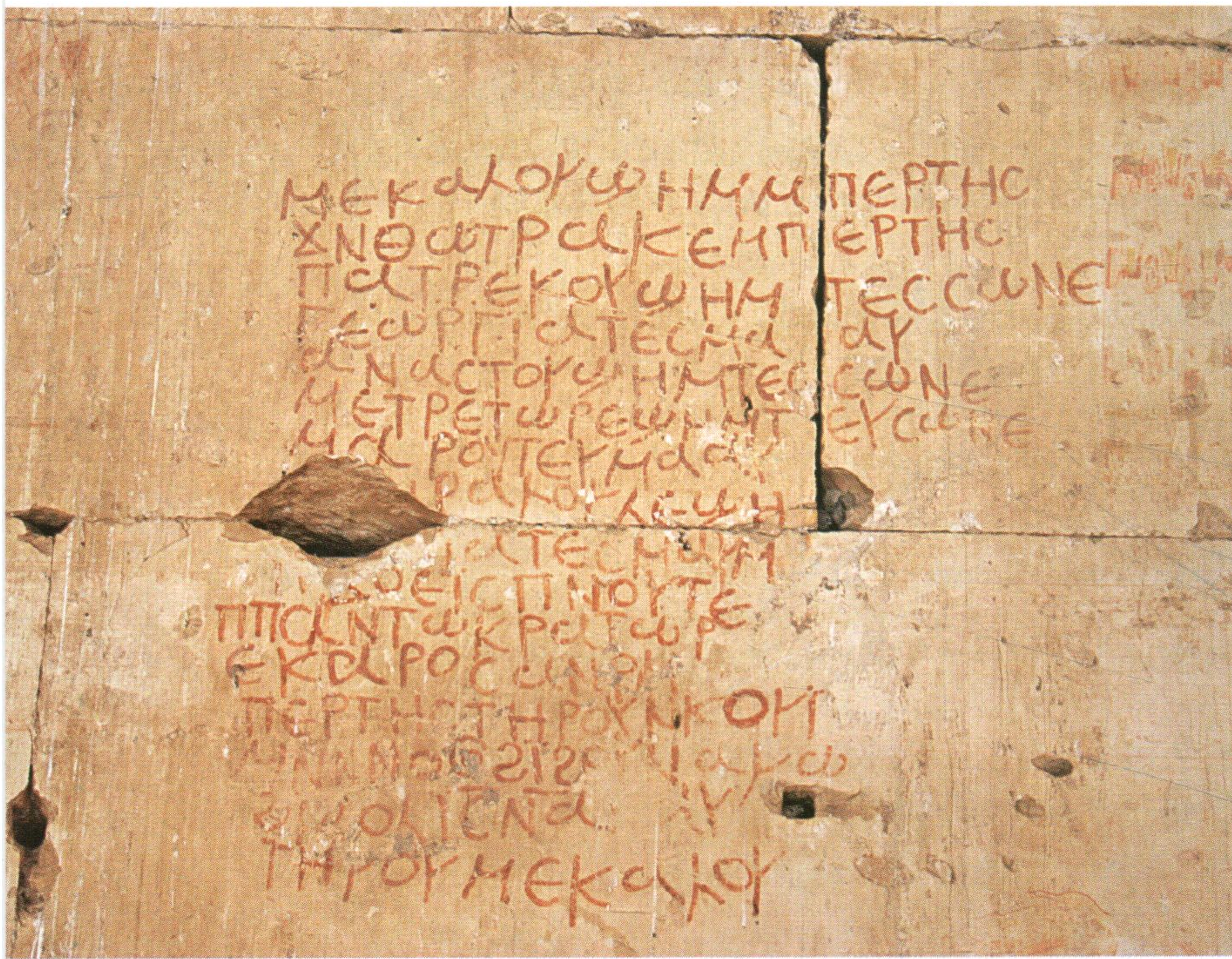


(شكل 7ج) أحد مخربشات بيت الجنوب في المجمع الجنائزي للملك زوسر، سقارة.

أحد زوار المجموعة الهرمية على جدران بيت الشمال والذي يذكر فيه أنه وجدها كما لو أن السماء مستقرة فيها ورع يشرق منها، ثم يدعو الزائر لروح الملك زوسر بالقرابين.[31] (شكل 7أ، ب، ج). ولم تكن منطقة سقارة هي الوحيدة بل أصاب مناطق أبوصير، ودهشور، وميدوم أيضًا ما أصاب سقارة من مخربشات الدولة الحديثة.[32]

ولم تنقطع في هذه الفترة كتابات الجرافيتي عن المناطق المعتادة كسيناء، ووادي حمامات، وجبل السلسلة، وأسوان، والكاب، ومناطق النوبة، وغيرها من مناطق المحاجر أو الزيارة.[33]

ولم تخلُ مصر في العصر المتأخر من هذه الظاهرة بل على العكس ورد العديد من نصوص المخربشات من الفترة ما بين الأسرات الحادية والعشرين إلى الثلاثين في العديد من المناطق كالضفة الغربية من طيبة وكذلك معبدي الكرنك والأقصر في شرق طيبة، ومنطقة أبيدوس (شكل 8) ومنطقة



(شكل 8) مخربشات قبطية، معبد ستي الأول، أبيدوس.

وادي حمامات، ومنطقة أسوان، ومنطقة الجيزة، ومنطقة أبو صير، ومنطقة دهشور.[34]

وفيما أعقب العصور المصرية القديمة استمرت هذه الظاهرة في الوجود بلغات غير مصرية حيث توجد كما سبق مخربشات عديدة بلغات أخرى في مناطق مختلفة من أرض مصر.[35]

الهوامش

1 Karl-Heinz Ahlheim, *Duden Fremdwörterbuch* (Mannheim, 1966), 254.

2 F. L. Griffith, *Catalogue of the Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus*, vol. 1 (Oxford, 1937), 126-127 (no. 436), vol. 2 (1939), pl. LXIX.

3 Griffith, *Catalogue of the Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus*, vol. 1, 102-103 (no. 365), 106 (no. 377); vol. 2, pls. LIV, LVII.

4 H. Winkckler, *Rock Drawings of southern Upper Egypt* I (London 1938), 10; H. J. Thissen, 'Graffiti', *LÄ* II, 881.

5 D. Franke, 'Graffiti', in: D. Redford (ed), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, vol. 2 (Oxford 2001), 40.

6 A. Rehm & G. Klaffenbach, 'Die griechischen und italischen Inschriften', in: U. Hausmann (ed.), *Allgemeine Grundlagen der Archäologie, Handbuch der Archäologie* (München, 1969), 367 n. 2.

7 H. Winkckler, *Rock Drawings of southern Upper Egypt*, 2 vols. (London, 1938), 1939.

8 هناك نص يسبق نص نعرمر يرجع إلى الأسرة 'صفر' يخص الملك العقرب يوجد غربي الأقصر على طريق القوافل بين الأقصر - فرشوط (علامات تل)، انظر: A. Peden, *The Graffiti of Pharaonic Egypt* (Leiden, 2001), 1-2.

9 Winkckler, *Rock Drawings* I, pl. 11, 1.

10 Peden, *The Graffiti*, 1.

11 J. Clère, 'Un Graffito du roi Djet dans le Désert Arabique', *ASAE* 38 (1938), 85-93.

12 Winkckler, *Rock Drawings* I, pl. 11, 4.

13 Žaba, *The Rock Inscriptions of Lower Nubia* (Prague, 1974), nos. 2-3.

14 A. Gardiner, E. Peet, J. Černý, *The Inscription of Sinai*, vol. 1 (London, 1952), no. 2, pl. 1.

15 Gardiner, Peet, Černý, *The Inscription of Sinai*, vol. 1, no 5-6, pl. 2; 4.

16 Peden, *The Graffiti*, 6.

17 R. Anthes, *Felsinschriften von Hatnub* (Leipzig, 1928), inschrift no. 1-2, Taf. 4.

18 G. Goyon, *Nouvelles inscriptions rupestres du Wadi Hammamat* (Paris, 1957), 57 (no. 23); R. Gundlach, 'Wadi Hammamat', *LÄ* VI, 1130.

19 M. Meyer, '*Archaeological Survey of the Wadi Sheikh Ali December 1980*', *GM* 64, (1983), 77-82.

20 Andrzej Ninwiński *et al.*, Deir El-Bahari Cliff Mission 2000, *Polish Archaeology in the Mediterranean* XII (2001), 231-232.

21 Anthes, *Hatnub*, 48-49, no. 22 & passim.

22 Anthes, *Hatnub*, 41, no. 19 & Passim.

23 Anthes, *Hatnub*, 52-53, no. 23.

24 Peden, *The Graffiti*, 16-51.

25 M.S. Ali, *Hieratische Ritzinschriften aus Theben* (Wiesbaden, 2002).

26 Peden, *The Graffiti*, 58 ff.

27 M.S. Ali, *Hieratische Ritzinschriften*, 55.

28 J. Černý, *Graffiti hiéroglyphiques et hiératique de la Nécropole Thébaine* (Cairo, 1956), pl. 4, (Graff. no. 1082).

29 W. Spiegelberg, *Ägyptische und andere Graffiti Inschriften und Zeichnungen aus der thebani-schen Nekropolis* (Heidelberg, 1921), 57, (Graff. no. 714).

30 C.M. Firth & J. E. Quibell, *The Step Pyramid*, vol. 1 (Cairo, 1935), 78-80.

31 Firth & Quibell, *The Step Pyramid*, vol. 1, 78.

32 Peden, *The Graffiti* 58-67.

33 Peden, *The Graffiti*, 75 ff.

34 Peden, *The Graffiti*, 266 ff.

35 انظر على سبيل المثال: André et Étienne Bernand, *Les inscriptions grecques et latines du Colosse de Memnon*, (Cairo, 1960).

الكتابات السينائية المبكرة

محمد شريف علي

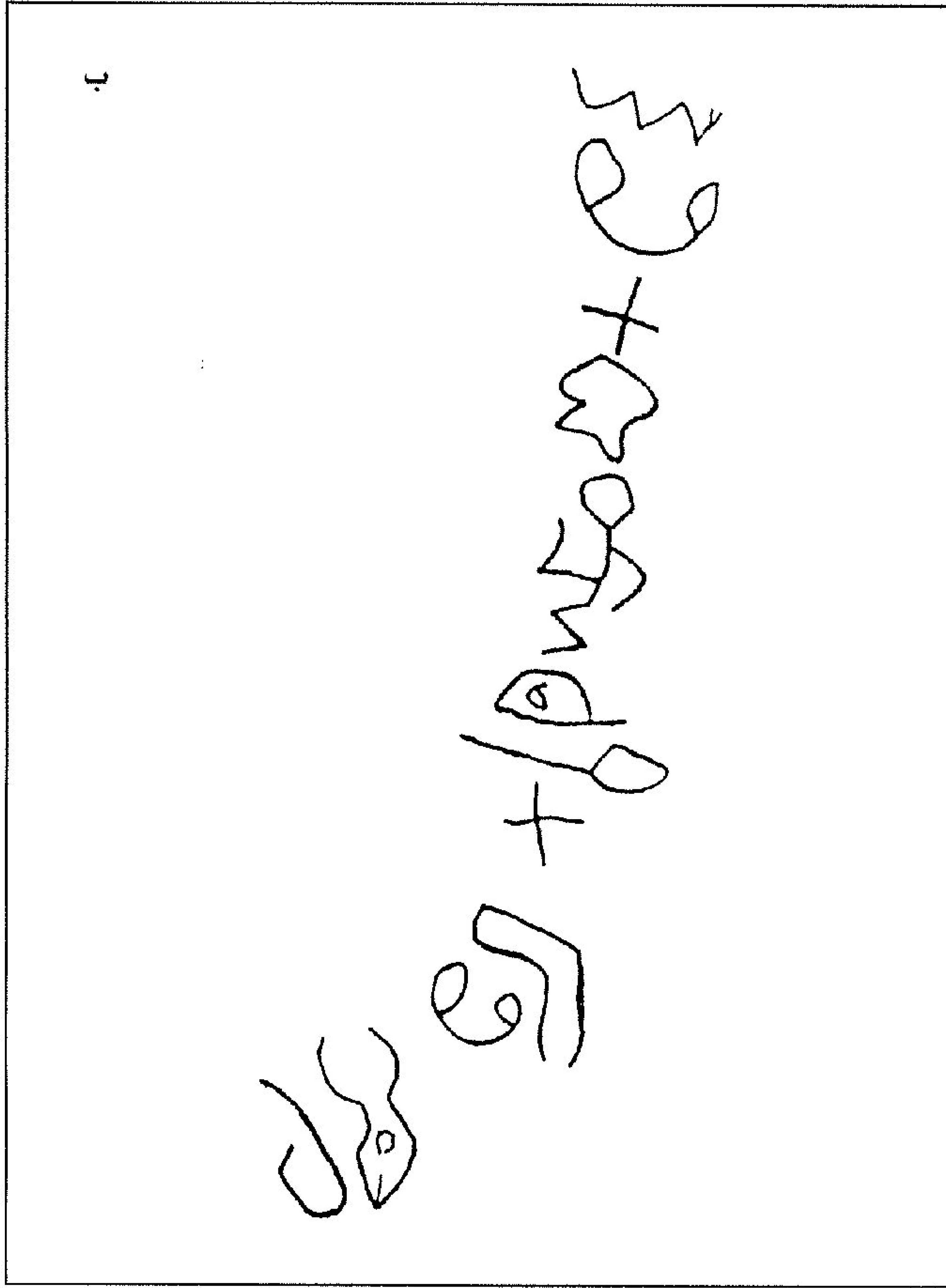
اكتسبت مجموعة النقوش والكتابات التي عثر عليها بشكل رئيسي في شبه جزيرة سيناء -وعُرفت بالتالي باسم الكتابات السينائية- أهميةً كبرى نظرًا للدور الذي رأى الباحثون أنها يمكن أن تلعبه في رسم العلاقة بين الأبجديات القديمة ومحاولة تحديد أصل الأبجديات الأحدث، بل وبالأحرى أصل أبجديات العالم أجمع قديمها وحديثها، وذلك باعتبارها واحدةً من أقدم أبجديات العالم إن لم تكن بالفعل أقدمها على الإطلاق.[1]

وقد بدأ التعرف على هذه النقوش اعتبارًا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كما تم التعرف على أنها نصوص ذات طبيعة مختلفة عن النصوص المصرية القديمة اعتبارًا من الربع الأول من القرن العشرين. وقد كان الباحث E.H. Palmer هو أول من عثر على نقوش من هذه النوعية في منطقة سيناء عام 1869/68[2] ثم تبعه في ذلك W.F. Petrie عام 1905.[3] وقد عثر على معظم هذه النقوش في منطقة سرابيط الخادم، (شكل 1) إلا أن هناك نقشين في منطقة



(شكل 1) معبد حتحور، سرابيط الخادم، سيناء.





(شكل 4) نقشا وادي الهول، عثر عليهما الأمريكي دارنيل Darnell على الطريق ما بين الأقصر وفرشوط عام 1998.

فيها هي لغة سامية. فمن المعتقد أن تلك النصوص استخدمت أبجدية كانت هي المصدر لكل من الأبجدية الكنعانية المبكرة (القرن الخامس عشر/ الرابع عشر قبل الميلاد) والأبجدية الفينيقية (القرن الحادي عشر/العاشر قبل الميلاد)، والفينيقية هي تلك الأبجدية التي يعدها الباحثون الأصل الذي اشتُقت منه الأبجدية اليونانية،[8] وبالتالي أصل الأبجديات الأوروبية الحديثة. كما أنه قد لوحظ التشابه الكبير بين هذه الأبجدية وبين الأبجدية الكنعانية المبكرة في مفردات مثل رسائل النجف وغيرها من الكتابات الكنعانية.[9] ولم يكن المتخصصون في اللغة المصرية القديمة بطبيعة الحال بأقل اهتمامًا بهذه النصوص من غيرهم من باحثي اللغات الأخرى. فقد كان العالم الإنجليزي الأشهر السير ألن جاردنر A. Gardiner هو أول من أرسى مجموعة من الحقائق الهامة الثابتة حتى الوقت الحالي عن الأبجدية المستخدمة في تلك النصوص بعد دراسته للمجموعة التي كانت متاحة حتى عام 1905. وكان آخر من تناول هذه الكتابات بالدراسة هو ب. ساس B. Sass الذى ألّف في عامي 1988 و1991[10] مؤلفين عن أصل وتطور الأبجديات السامية واليونانية في الألف الثاني قبل الميلاد، ثم كامرتسيل F. Kammerzell الذى تعرض عام 2001[11] لنشأة الأبجدية بصفة عامة وعلاقتها بالمصرية القديمة.

وبدايةً ينبغي تحديد طبيعة شكل هذه النصوص تمهيدًا لفهم المعلومات التي تقدمها نحو الأبجدية التي كتبت بها.

فعندما بدأ العثور على هذه الكتابات فسرها البعض على أنها كتابات مصرية هيروغليفية رديئة التنفيذ تنتمي إلى نوعية كتابات المحاجر التي كان يتم تنفيذها في المعتاد بمستوى أقل من النقوش المصرية الهيروغليفية الأخرى ذات النِسب، والأشكال الدقيقة والمتناسبة، والتي كانت تكتب على جدران المعابد والمقابر،[12] إلا أنه سرعان ما تم التأكد من أن علامات هذه النقوش لا تمثل نظامًا تصويريًّا صوتيًّا كما هو الحال في الكتابة الهيروغليفية، وكان ذلك في عام 1916 على يد العالم الإنجليزي السير ألن جاردنر،[13] الذي كان أول من تناول هذه النقوش بالتحليل والدراسة. وقد خرج جاردنر من دراسته بالحقائق التالية:[14]

1 - أن هذه النقوش مكتوبة بنظام أبجدي صِرْف، وليس تصويريًّا صوتيًّا كما هو الحال في النصوص المصرية الهيروغليفية.

2 - أن هذه الكتابات رغم ذلك قد استعارت أشكال علاماتها من الكتابة المصرية الهيروغليفية.

3 - أن مبدأ الأكروفونية Acrophone هو المبدأ المطبق لاختيار علامات هذه الكتابات المستخدمة كحروف أبجدية.

4 - أن اللغة التي استخدمت في هذه الكتابات هي لغة سامية وليست مصرية.

وتعليقًا على بعض هذه الحقائق ينبغي:

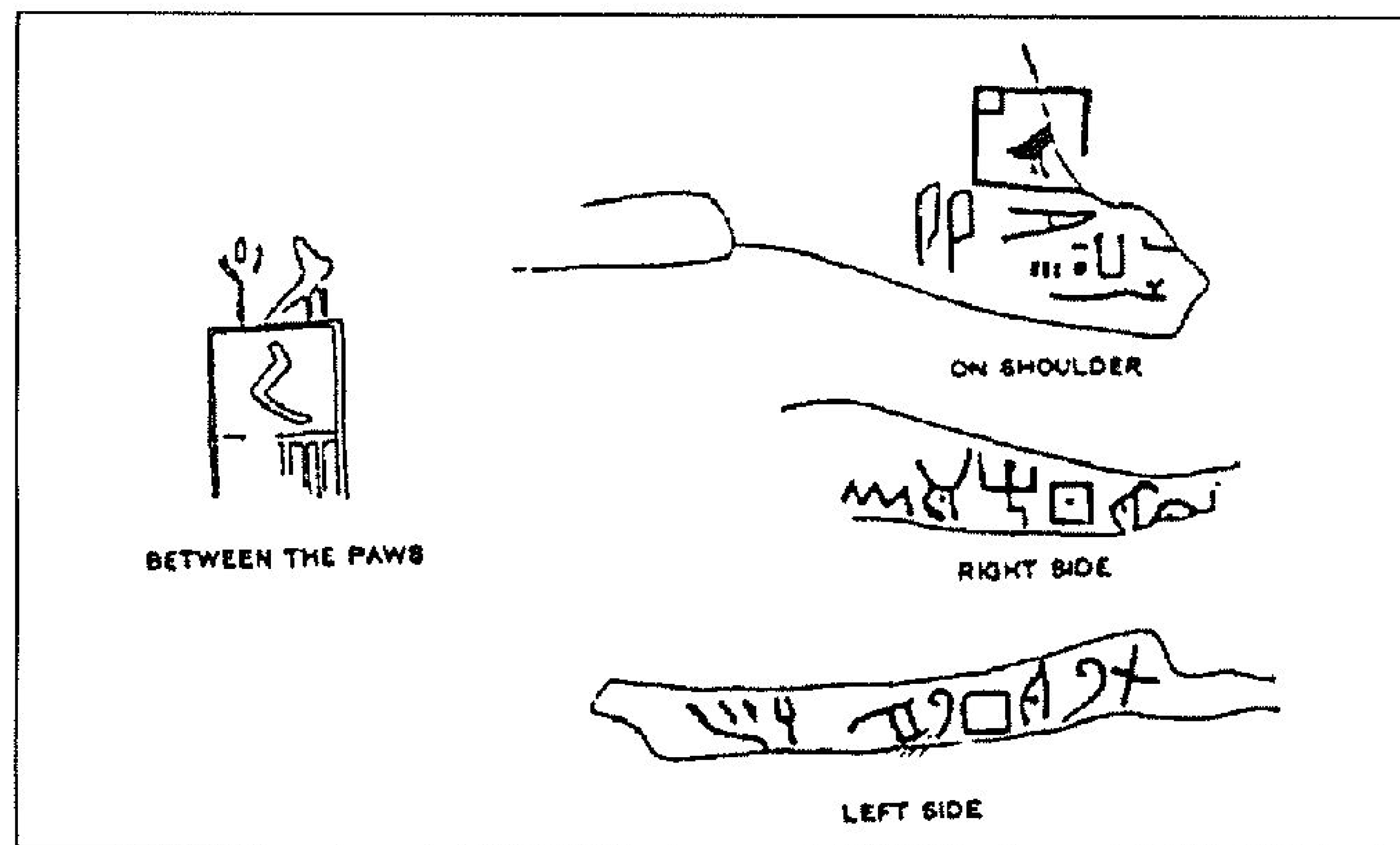
أولاً: توضيح الفارق بين النظامين: النظام الأبجدي والنظام التصويري الصوتي، فالكتابة المصرية القديمة اعتمدت أساسًا على تصوير المعنى المراد الإشارة إليه، فإذا ما استحال تصويره لسبب أو لآخر -كأن يكون المعنى الذى يراد التعبير عنه رمزيًّا أو عند احتمال اختلاط المعنى بغيره من معانٍ- استخدمت اللغة المصرية القديمة في هذه الحالة علامات صوتية. وهذه العلامات الصوتية هى أيضًا في الواقع أشكال تصويرية تشير إلى أصوات ساكنة سواء أحادية (ذات صوت واحد)، أو ثنائية (ذات صوتين)، أو ثلاثية (ذات ثلاثة أصوات).[15] وتمثل العلامات ذات الأصوات الأحادية نظامًا أبجديًّا غير أنه لا يعد نظاماً أبجديًّا متكاملاً، وذلك حيث إنه قلمًّا استُخدمت هذه العلامات الصوتية في كلمة بدون أن يتبعها إضافة علامة تصويرية واحدة أو أكثر في نهاية الكلمة تكون ذات صلة بالمعنى ويكون الغرض منها تحديد معنى الكلمة (وهو ما يعرف بالمخصصات[16]). ومن ناحية أخرى فإن هذه العلامات هى في الأصل عبارة عن صور وبالتالي فهي تبعد إلى حد ما عن فكرة الأبجدية التي تستخدم أساسًا طريقةً خطيةً أو تخطيطيةً مختزلةً سريعة للتعبير عن الأصوات المختلفة بشكل يسهل تنفيذه بسرعة وبدون احتياج لمهارة عالية، وهو ما نجده محققًا في طريقة تنفيذ الكتابات السينائية، وكذلك في الأبجديات القديمة الأحدث كالكنعانية والفينيقية، وما يلي ذلك من أبجديات بطبيعة الحال. ويضاف إلى ذلك أن الكلمات المصرية القديمة حينما كان يراد التعبير فيها عن الأصوات كانت تستخدم في كثير من الأحوال -بخلاف حالات استخدام العلامات الأحادية- العلامات الثنائية أوالثلاثية مضافًا إليها متممات صوتية[17] من العلامات الأحادية بطريقة مختلفة إلى حد ما عن الاستخدام الأبجدي الصرف. وعلى الرغم من ذلك كله فإنه لا يمكن للمرء أن ينكر أن الكتابة المصرية القديمة تضمنت في أحد شقيها النظام الأبجدي بشكل أو بآخر، واحتوت بذلك على الفكرة الأولى للأبجدية. كما أن اللغة المصرية القديمة عرفت ذلك الشكل من الكتابة الخطية أو التخطيطية السهلة سريعة التنفيذ، وذلك في الخط اليدوي المعروف بالهيراطيقي. وإضافةً إلى رأي جاردنر -بأن هذه

النصوص قد استعارت أشكالها من العلامات الهيروغليفية- فربما أنها قد استعارتها بشكل خاص من تلك النصوص الخاصة بالمحاجر ذات المستوى الأقل في التنفيذ أو حتى من الخط اليدوي المصري (الهيراطيقي). ويعني هذا كله أن اللغة المصرية القديمة بكتاباتها المختلفة لابد أن تكون هي المصدر الذي استمد منه البعض النظام الأبجدي المتكامل أو شبه المتكامل في هذه النصوص.

ثانيًا: إن مبدأ الأكروفونية[18] Acrophone المستخدم في اختيار علامات هذه الكتابات للدلالة على الصوت أو الحرف الساكن هو نفسه في الغالب المبدأ الذي استخدمه المصريون لاختيار علاماتهم الأحادية. وهذا المبدأ يعني استخدام علامة ما للدلالة على القيمة الصوتية للحرف الأول من التسمية أو المقطع الذي تشير إليه هذه العلامة. أي أن الصوت الساكن الأول من حروف الاسم الذي تمثله علامة ما يُشار إليه بهذه العلامة. فالعلامة الدالة على حرف (غ) (F 32) في المصرية القديمة مثلاً (وهي صورة تمثل بطن حيوان) تشير إلى كلمة تعني 'بطن' أو 'جسد' وتنطق (غِت)، وقد اكتسبت العلامة طبقًا لمبدأ الأكروفونية القيمة الصوتية للحرف الأول الساكن من التسمية (غِت) وهو حرف (غ). وبالتالي فلا يعد استخدام هذا المبدأ غريبًا بل هو ذو صلة وثيقة بنظام الكتابة المصرية القديمة.



وقبل تناول أشكال هذه الكتابات وطبيعتها ينبغي التعرض لأحد الأمور الهامة والفاصلة فيما يخص هذه النقوش والواجب ذكره في هذا الموضع ألا وهو تأريخها، والذي يعتبر أيضًا أمرًا من أمور الخلاف الكبير بين الباحثين. ففي حين أن هناك مجموعة من الباحثين منهم بيتري Petrie، وأولبرايت Albright، وكروس Kruss، وليبوفيتش[19] Leibovitsch تعتقد في نسبة هذه النقوش إلى الأسرة الثامنة عشرة المصرية التي تبدأ حوالي 1550 ق.م. هناك مجموعة أخرى من الباحثين منهم جاردنر Gardiner، وبوتين Butin، وساس[20] Sass يعتقدون في نسبة هذه النقوش إلى فترة الأسرة الثانية عشرة أو بشكل أدق إلى الفترة المتأخرة من الأسرة الثانية عشرة. ويعتمد أصحاب الرأي الأول على نسبة تمثال أبي الهول ذي النقوش السينائية (Sinai 345) إلى عصر الملكة حتشبسوت (1479-1458 قبل الميلاد)، (شكل 5) كما يربط البعض من أصحاب هذا الرأي ظهور الكتابات الكنعانية المبكرة في منطقة فلسطين والمؤكد تأريخها بعصر البرونز المتأخر الذي يقابل تقريبًا فترة الأسرة الثامنة عشرة في مصر بالنقوش السينائية وخصوصًا أنها وثيقة الصلة بالسينائية من الناحية الشكلية. أما أصحاب الرأي الثاني والذي ربما يكون الأقرب للصحة فيعتقدون:



(شكل 5) النقوش الموجودة على تمثال أبي الهول.

1 - أن تمثال أبي الهول السالف مع تمثال آخر على هيئة الكتلة يحمل أيضًا نقوشًا سينائيةً (Sinai 346 شكل 6) هما نماذج متكررة ولهما أمثلة مشابهة عديدة في الفترة المتأخرة من الدولة الوسطى.[21]

2 - كما أن هناك عددًا من الشواهد تشير إلى وجود أسيويين يعملون في بعثات التعدين المصرية في سيناء في تلك الفترة المتأخرة من الدولة الوسطى يمكن أن ينسب إليهم أو إلى بعضهم كتابة مثل هذه النصوص،

3 - أن أحد نقشي وادي نصب يقع مكانيًا بالقرب من مقصورة للإله سوبدو، ربما يرجع بناؤها للدولة الوسطى وكذلك بالقرب من لوحة للملك أمنمحات الثالث نقشت في العام العشرين من حكمه الذي بدأ حوالي 1853 ق.م وهو الملك الذي ورد على لوحاته في المنطقة ذكر العديد من الأسيويين (العامو) المنخرطين في بعثات التعدين المصرية في تلك الفترة.[22]

4 - تتبع طريقة كتابة الأسماء الشخصية الأسيوية في الكتابات المصرية للدولة الوسطى نظامًا أبجديًا شبه كامل،[23] وربما كان هو المصدر الذي استُقيَ منه النظام الأبجدي للكتابات السينائية.

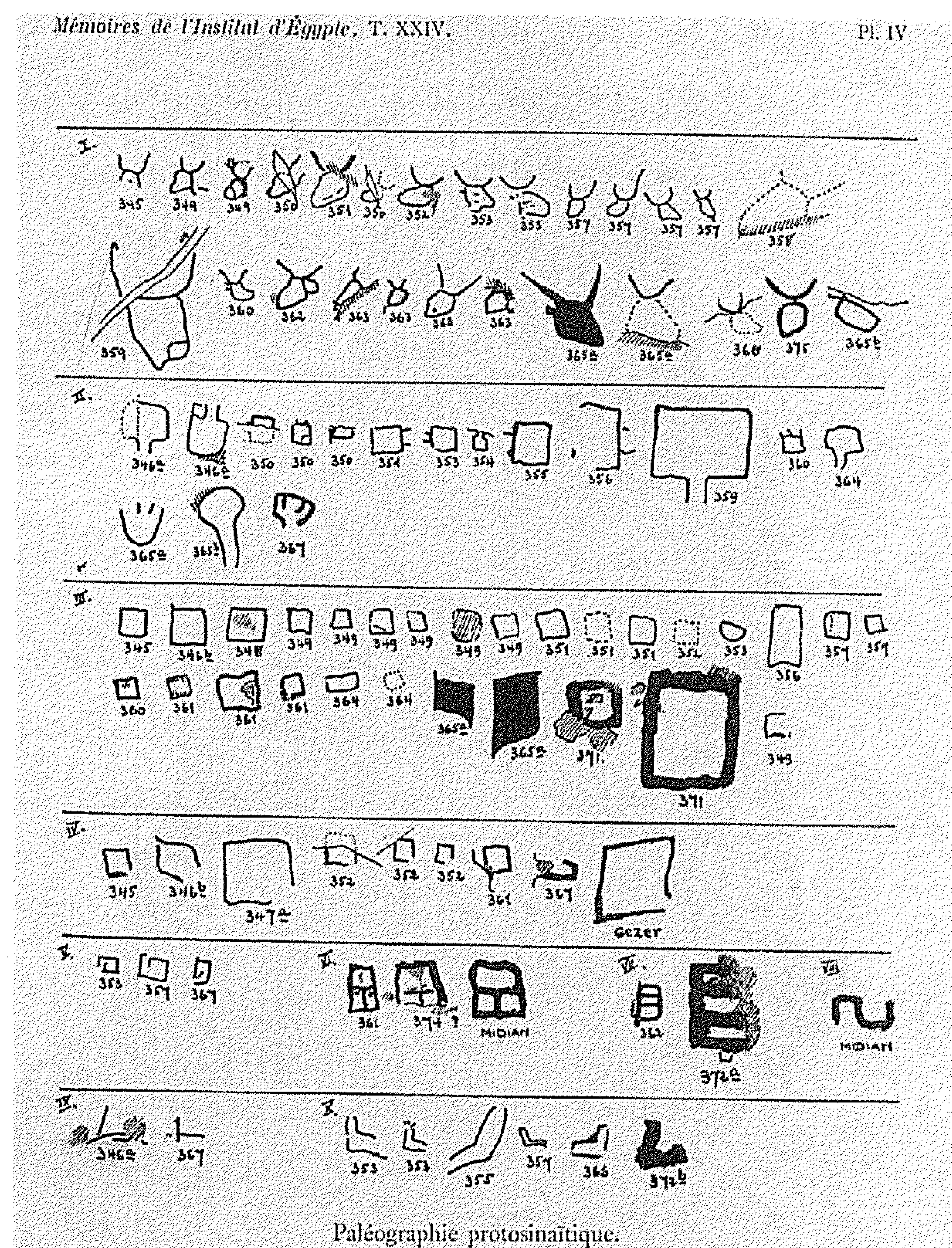
5 - أن النقشين اللذين تم العثور عليهما حديثًا في وادي الهول في مصر العليا تم تأريخهما بشكل مبدئي ببداية الألف الثاني قبل الميلاد،[24] أي ما يقابل بدايات الدولة الوسطى في مصر (حوالي 2046 قبل الميلاد) أو الفترة المبكرة من العصر البرونزي المتوسط في فلسطين وبلاد الشام، وهما بهذا التأريخ -إن صح- يعدان أقدم أمثلة هذه الكتابات حتى الآن، بل قد يرجعان ببداية ظهور مثل هذه الكتابات إلى فترة بدايات الدولة الوسطى. وهكذا ربما تكون حقيقة أن الأبجدية في العالم قد ولدت في شبه جزيرة سيناء في فترةٍ ما من الأسرة الثانية عشرة.[25]

وهنا ليس للمرء أن يتساءل عن ظهور مفاجئ لنظام أبجدي في شبه جزيرة سيناء في وقت الدولة الوسطى ما دامت اللغة المصرية القديمة هي المصدر لمثل هذا النظام، كما أنها قد وصلت في الدولة الوسطى إلى مرحلة من



(شكل 6) تمثال كتلة يحمل نقوشًا سينائية، JE 38268، © المتحف المصري.

الاكتمال والنضج بما يسمح بالاستعارة والانتقاء منها. إلا أنّ للمرء أن يلاحظ ظهور مثل هذا النظام الأبجدي في شبه جزيرة سيناء كما أنه يُستخدم للغة ليست بالمصرية. والشائع أن مجموعات من العمال الأسيويين الذين كانوا يعملون في بعثات التعدين المصرية في تلك المنطقة أو بعض الموهوبين منهم بعد تعرفهم على اللغة المصرية القديمة وعدم استطاعتهم استيعابها بشكل كامل أوجدوا لأنفسهم طريقة سهلة للكتابة أو للتعبير عن بعض أفكارهم البسيطة والتي لا يحتاجون فيها إلى تدوين الكثير من الأمور المتشابكة أو عميقة الفكرة إذ تحتوي معظم هذه الكتابات والنقوش على نصوص قصيرة أو أدعية دينية بسيطة. ولم يدركوا حينئذٍ أنهم يضعون بذلك اللبنة الأولى في النظم الأبجدية العالمية التي انتشرت فيما بعد شمالاً وجنوبًا، (شكلا 7، 8) إلا أنه من المجحف اعتبار أنّ هؤلاء الموهوبين لم يستطيعوا استيعاب اللغة المصرية بشكل كامل وهم قد استخدموا بعض المبادئ الخاصة جدًّا في اللغة المصرية كالطريقة الأبجدية ومبدأ الأكروفونية، كما



(شكل 7) تطور شكل بعض العلامات السينائية.

Letter Name	Proto-Sinaitic	Early Phoenician	Greek	Phonetic Value	Letter Meaning
ʾaleph			A	[ʾ]	ox
beth			B	[b]	house
gimmel			Γ	[g]	throwstick
daleth			Δ	[d]	door
he			E	[h]	
waw		Y	Ϝ[1] Y	[w]	hook/peg
zayin	=		Z	[z]	
heth			H	[ḥ]	fence
teth		⊗	Θ	[ṭ]	
yodh			I	[y]	arm/hand
kaph			K	[k]	palm of hanc
lamedh			Λ	[l]	goad/crook
mem			M	[m]	water
nun			N	[n]	snake
samekh			Ξ	[s]	
ʿayin		O	O	[ʿ]	eye
pe			Π	[p]	
tsade			M[2]	[ṣ]	
qoph	8		Ϙ[3]	[q]	
reš			P	[r]	head
šin	ω	W	Σ	[š]	
taw	†	X	T	[t]	mark (?)

Phon. Value	Schematic Forms	Early Letter Names
ʾ		ʿalp-
b		bêt-
g		gaml-
d		digg-
ḏ	=	?
h		hô(?)
w		wo(waw)
z		ze(n-)
ḥ		ḥê(t-)
ḫ		ha()
ṭ		tê(t-)
y		yad-
k		kapp-
l		lamd-
m		mêm-
n		naḥš-
s	?	(samk-?)
ʿ		ʿên-
ḡ		ḡa()
p		piʾt-(?)
sz		ṣa(d-)
ḍ	?	?
q		qu(p-)
r		raʾš-
śṯ		ṯann-
š		?
t	†	tô (taw)

(شكل 8) مقارنة بين بعض أشكال الأبجدية السينائية بالهيروغليفية بالفينيقية واليونانية.

عرفوا استخدام الطريقة الخطية، بما يجعلهم من ذوي المعرفة الخاصة جدًا فيما يخص اللغة.

وقد قام العديد من الباحثين بدراسة أشكال الأبجدية السينائية في محاولة للتعرف على الأصل المصري الذي استقيت منه أشكال الحروف السينائية.[26] وعلى الرغم من عدم اكتمال تفسير كل أشكال العلامات بعد فإن هناك الكثير من المحاولات الناجحة وما تزال المحاولات جارية.[27]

الهوامش

1 R. Giveon, 'Protosinaitische Inschriften', *LÄ* IV, 1156-1159; A. Gardiner, 'The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet', *JEA* 3 (1916), 1-16.

2 R. Weill, *Recueil des Inscriptions égyptiennes du Sinai* (Paris, 1904), 154, no. 44.

3 F. Petrie, *Researches in Sinai* (London, 1906), 129-132.

4 A. Gardiner, E. Peet, J. Černy, *The Inscriptions of Sinai*, vol. 2 (London, 1952), no. 345 & 346.

5 Butin, *Excavations and Protosinaitic Inscriptions at Serabit el-Khadim, Studies and Documents* VI (London, 1936).

6 J. Leibovitch, 'Recent Discoveries and Developments in Protosinaitic', *ASAE* 40 (1940), 119-120.

7 S. Wimmer & Samaher Wimmer-Dweikat, '*The Alphabet from Wadi el Hôl – A first Try*', *GM* 180 (2001), 107-112.

8 Gardiner, *JEA* 3, 1916, 1-6.

9 http://www.viewzone.com/alphabet.html.

10 B. Sass, *The Genesis of the Alphabet and its Development in the Second Millennium B.C.*, *Ägypten and Altes Testament* 13 (Wiesbaden 1988); ders, *Studia Alphabetica, On the Origin and Early History of the Northwest Semitic, South Semitic and Greek Alphabet*, *OBO* 102 (Göttingen, 1991).

11 F. Kammerzell, 'Die Entstehung der Alphabetreihe: Zum ägyptischen Ursprung der semitischen und westlischen Schriften', in: D. Borchers- F. Kammerzell and S. Weninger, *Hieroglyphen Alphabete Schriftreformen, Ling.Aeg. Studia monographica* 3 (Göttingen, 2001), 117-157.

12 M.S. Ali, *Hieratische Ritzinschriften aus Theben, Göttinger Orientforschungen IV Reihe Ägypten* 34, 12-35.

13 Gardiner, *JEA* 3, 1916, 1-16.

14 Giveon, *LÄ* IV, 1156-1157.

15 Gardiner, *Egyptian Grammar*, (Oxford, 1957), §§ 17-25.

16 Gardiner, *Egyptian Grammar*, § 24.

17 Gardiner, *Egyptian Grammar*, § 32.

18 عن الأكروفونية انظر: محمود عبد القادر عبد الله، الكتابة الأبجدية في مصر القديمة، الرياض 1995، ص191؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد، نشأة الأبجدية وانتشارها في منطقة الشرق الأدنى وأثرها الباقي حتى اليوم، في: خالد عزب (تحرير)، مركز الخطوط مضمونه وأهدافه، ندوة عقدت بمكتبة الإسكندرية من 24-26 إبريل 2003، (الإسكندرية، 2003)، 66-67.

19 Giveon, *LÄ* IV, 1157.

20 Giveon, *LÄ* IV, 1157; Gardiner *JEA* 3, 13; Sass, *Studia Alphabetica, On the Origin and Early History of the Northwest Semitic, South Semitic and Greek Alphabet*, 4; ders, *The Genesis of the Alphabet and its Development in the Second Millennium B.C.*, 135-144.

21 Sass, *Studia Alphabetica*, 4.

22 Gardiner, *JEA* 3, 13-14.

23 Sass, *Studia Alphabetica*, 4-27.

24 S. Wimmer & Samaher Wimmer-Dweikat, *GM* 180, 107.

25 Sass, *The Genesis of the Alphabet*, 135-144.

26 Gardiner, *JEA* 3, 13 and Table; W. F. Albright, *The Protosinaitic Inscriptions and their Decipherment*, (Cambridge, 1966); F. Kammerzell, *Die Entstehung der Alphabetreihe, Hieroglyphen Alphabete Schriftreformen*, 147-151.

27 محمد شريف علي، ملاحظات على الكتابات السينائية، دراسات في آثار الوطن العربي 2، المؤتمر الرابع للأثريين العرب، (القاهرة، 2001)، 437-445.

28 Albright, *The Protosinaitic Inscriptions*.

الكتابات والنقوش المسمارية

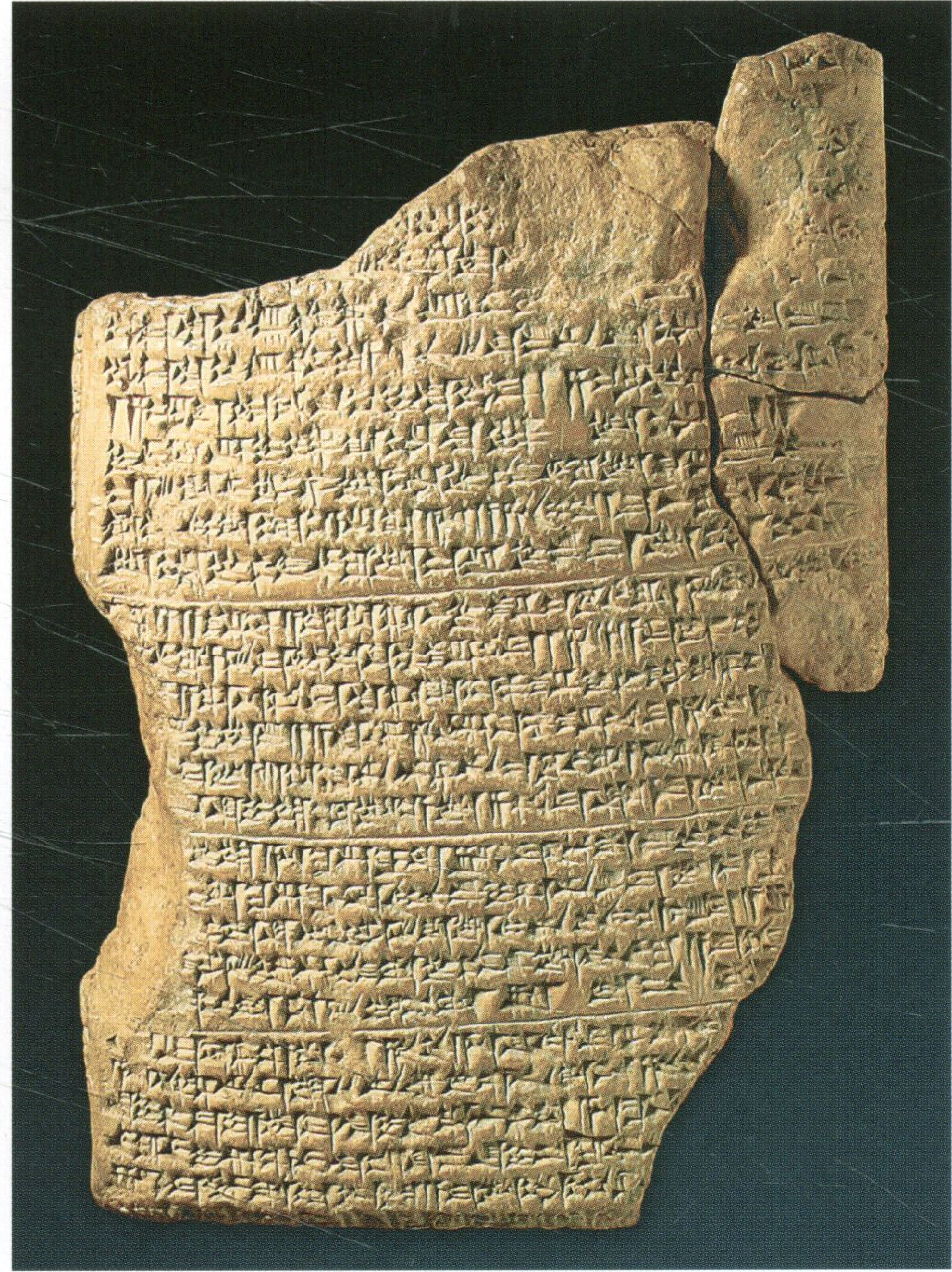
ناصر مكاوي

في البداية فإن كلمة كتابة مسمارية إنما تشير إلى الأداة التي استخدمها الكتبة في منطقة بلاد الرافدين لكتابة لغتهم سواء كانت هذه اللغة هي السومرية أو الأكادية بلهجتيها البابلية والأشورية حيث استخدم الكتبة هناك أداة تشبه المسمار مصنوعة من البوص كتبوا بها على ألواح من الطين اختلفت هذه الألواح في مقاساتها وأحجامها طبقاً لطول أو قصر الموضوع المراد كتابته هذا وقد ابتدعت الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين فيما بين 3400-3300 قبل الميلاد حيث تظهر الطبقة الرابعة الأثرية بمدينة الوركاء Warka/ Uruk كتابات تعود لتلك الفترة الزمنية وكانت مادة الكتابة الغالبة هي الطين هذا وقد امتد استخدام الكتابة المسمارية من بلاد الرافدين موطنها الأصلي لتصبح هي خط الكتابة في كل مناطق الشرق الأدنى القديم فعلى سبيل المثال استخدمت الكتابة المسمارية إلى جانب الحيثية في بلاد الأناضول وذلك منذ عصر الدولة القديمة الحيثية حيث عثر على كثير من النصوص التي كتبت باللغة الأكادية في منطقة بوغاز كوى أو خاتوشا Hattusa عاصمة الحيثيين وفي سوريا وفلسطين وحتى في أوجاريت التي وجد بها أقدم أبجدية في التاريخ استخدمت أيضا الكتابة المسمارية لتدوين العديد من النصوص. أما في مصر فإن رسائل العمارنة (سميت بهذا الاسم لأنه عثر عليها في منطقة العمارنة وبالتحديد في مكتب المراسلات الخاص بالملك أخناتون) تظهر أن المصريين قد تعلموا اللغات الأجنبية وبالأخص الكتابة المسمارية فمن بين رسائل العمارنة وجدت بعض الكسر والتي يمكن أن يطلق عليها قواميس لغوية حيث كتبت الكلمة بالمصرية القديمة وفي الخانة الأخرى بالأكادية وفي الخانة الثالثة بالسومرية وقد ساعدت هذه القواميس الكتبة الموجدين في الأرشيف الملكي في تل العمارنة على تعلم الكتابة المسمارية واللغة الأكادية بصفة خاصة، والى جانب تلك القواميس عثر على بعض القصص التي تعود للأدب السومري مكتوبة بالأكادية وفي نهاية كل جملة وضعت نقطة بالحبر الأحمر وذلك لتعليم الكتبة بداية ونهاية الجملة ومن وجهة نظري فإن هذه القواميس والقصص الأدبية إنما قد أعدت إما لتعليم الكتبة المصريين الكتابة المسمارية أو لمساعدة الكتبة الأجانب الذين كانوا يعملون بمكتب المراسلات على تعلم اللغة المصرية حتى يتسنى لهم ترجمة الرسائل من المصرية إلى الأكادية أو العكس لحفظها في الأرشيف الملكي. وهناك دلائل قوية تشير إلى تعلم المصريين للكتابة المسمارية وتحدث الأكادية أو البابلية حيث أشارت رسائل العمارنة إلى وجود

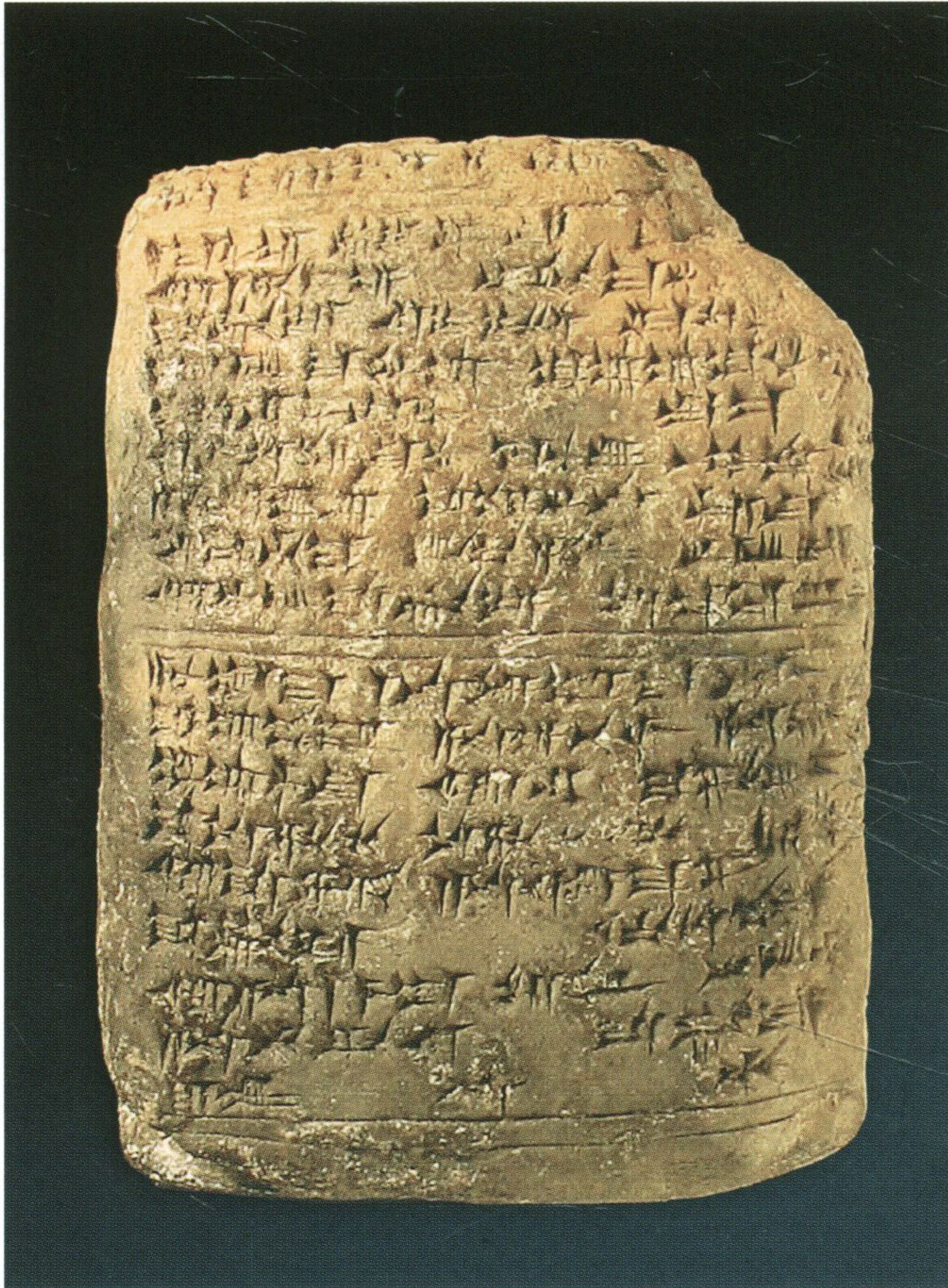
مترجمين مصريين أجادوا الأكادية والبابلية، ففي خطاب العمارنة EA 11 (شكل 1) وهو مرسل من بورنابورياش ملك بابل إلى أمنحوتب الرابع (أخناتون) جاء ذكر أحد المترجمين المصريين ويدعى Mihuni ويعتقد أن هذا المترجم كان مصريًا في خدمة أميرة بابلية وفي خطاب من الملك توشراتا ملك ميتاني إلى أمنحتب الثالث ملك مصر EA 21 (شكل 2) يذكر الخطاب كيف أن توشراتا قد كرم المترجم المصري Hane رسول الملك المصري كالآلهة وفي خطاب العمارنة رقم EA32 وهو موجه من ملك أروزاوا Arzawa إلى أمنحتب الثالث وقد كتب هذا الخطاب بالحيثية جاء به ما يلي:

'أنت أيها الكاتب اكتب بوضوح اكتب اسمك
في أسفل اللوحة، إن اللوحات التي ترسل إليّ
هي دائما بالحيثية'.

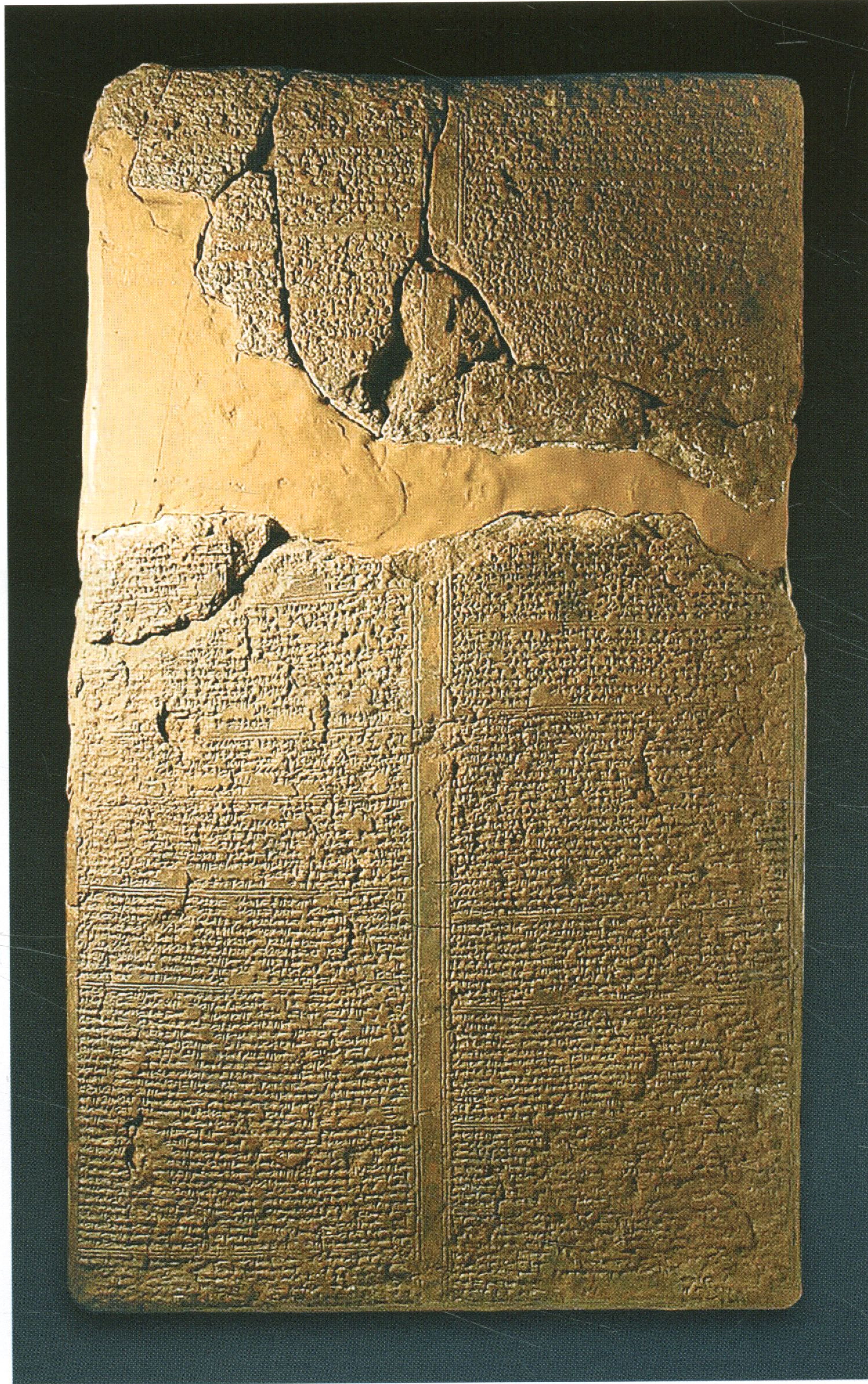
هذا الخطاب يظهر أنه في أرشيف العمارنة كان هناك مجموعة من الكتبة المصريين الذين أجادوا اللغة الحيثية والى جانب الأكادية والحيثية فإن خطابات العمارنة تشير أيضاً إلى أن الكتبة المصريين قد تعلموا أيضاً اللغة الحورية ويظهر هذا جليًا في خطاب العمارنة EA24 وهو مرسل من توشراتا ملك ميتاني إلى أمنحتب الرابع. (شكل 3)



(شكل 1) خطاب العمارنة EA 11 من بورنا–بورياش إلى أمنحتب الرابع.



(شكل 2) خطاب العمارنة EA 21 من توشراتا إلى أمنحتب الثالث.



(شكل 3) خطاب العمارنة EA 24 من توشراتا إلى أمنحتب الرابع، مكتوب باللغة الحورية.

أما عن السبب في استخدام الكتابة المسمارية وبالأخص الأكادية في مصر فذلك يرجع إلى أنه منذ بداية منتصف عصر الدولة الحديثة (بداية عصر البرونز المتأخر في منطقة الشرق الأدنى القديم) أصبحت البابلية هي لغة المراسلات الدولية مثلها في ذلك مثل اللغة الإنجليزية الآن، والسبب في ذلك يمكن إرجاعه إلى أن التجارة والمال قد تركزا في أيدي التجار الأشوريين والبابليين منذ زمن بعيد وأكبر دليل على استخدام اللغة البابلية والخط المسماري. في مصر والتي كان أهلها لا يتحدثون اللغة البابلية ولا يستخدمون الخط المسماري هي رسائل العمارنة التي وجدت في مصر حيث فرض عليهم البرتوكول الدولي في ذلك الوقت استخدام البابلية في المراسلات الدولية ولم يكن ذلك فقط في المراسلات الدولية التي كانت تتم بين الملوك المصريين أمنحوتب الثالث، وأمنحوتب الرابع وبين ملوك الشرق الأدنى العظام مثل توشراتا ملك ميتاني، وكدشمان أنليل، وبورنابورياش ملك بابل ولكن استخدمت أيضا في المراسلات الإقليمية بين الملوك المصريين وأتباعهم في سوريا وفلسطين، وإلى جانب ذلك فإن الخط المسماري والأكادية قد استخدموا أيضًا في المراسلات التي نمت بين رمسيس الثاني وخاتوشيلي الثالث ملك خيتا والتي عثر على أغلبها في خاتوشا Hattusa أو بوغاز كوي عاصمة الحيثيين أما تلك المرسلة من خاتوتوشيلي إلى رمسيس فإنه لم نعثر عليها حتى الآن وإذا ما تم العثور عليها في مصر فسوف تكون كشفًا مهما يعادل أو يفوق قيمة رسائل العمارنة التي عُثر عليها كما سبق الذكر في تلك العمارنة.

وفي هذا السياق يطرح سؤال مهم نفسه وهو هل كانت الكتابة المسمارية واللغة الأكادية معروفة في مصر قبل عصر الدولة الحديثة؟ ربما كانت الكتابة المسمارية معروفة في مصر قبل عصر الدولة الحديثة ولكن لم يتم العثور على أية دلائل أثرية تشير إلى ذلك وربما يكون ذلك راجعًا إلى صدفة الاكتشافات الأثرية أو أن الكتابة المسمارية واللغة الأكادية لم تكن في ذلك الوقت لغة أو خط المراسلات الدولية بين الملوك.

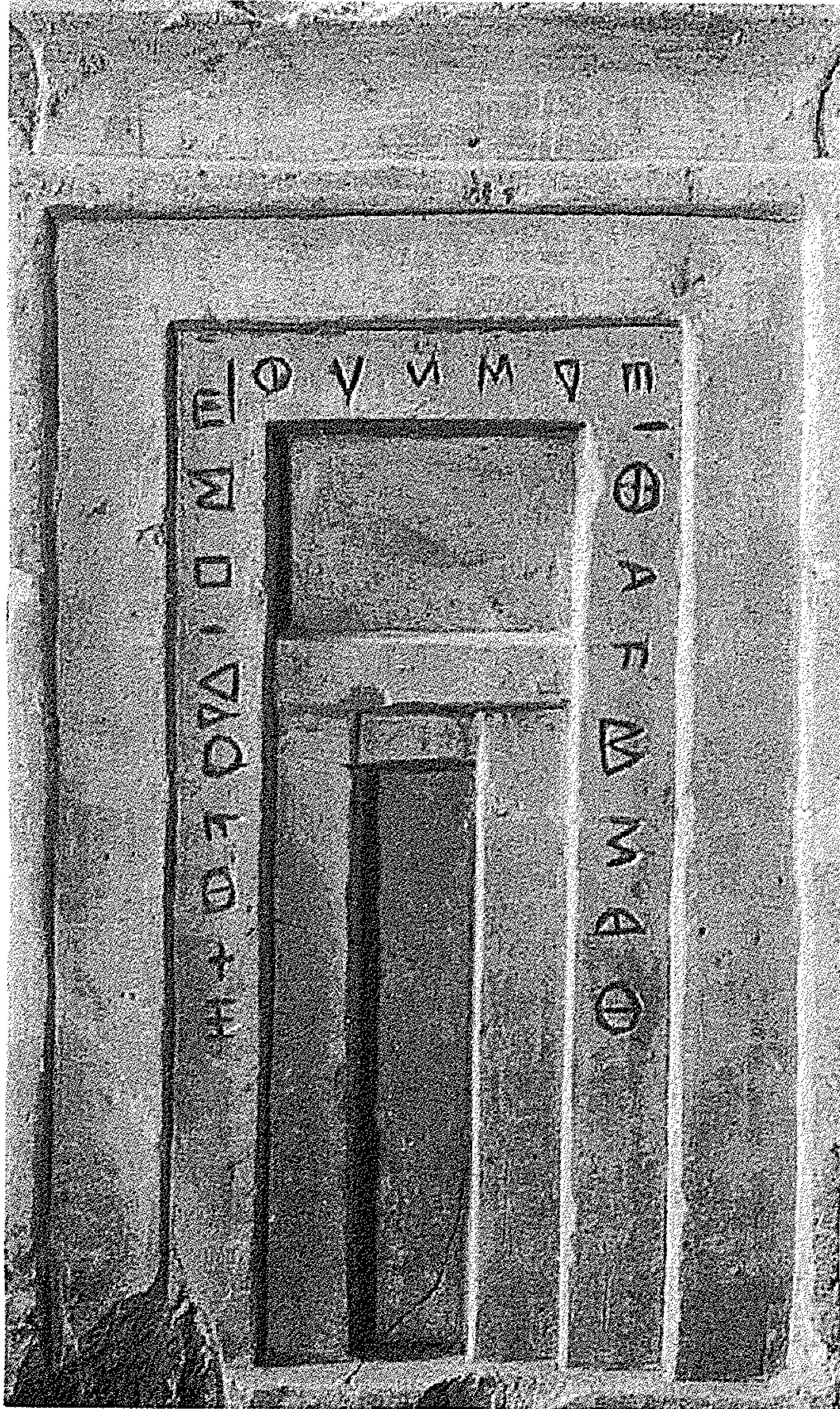
النقوش الكارية في مصر

صبحي يونس

الكاريون هم شعب هندو- أوروبي، موطنهم الأصلي هو جنوب آسيا الصغرى التي كانت آنذاك جزءًا من العالم الهيلينستي. بالرغم من ذلك، فإن الكاريين استخدموا لغتهم الأصلية في التعامل، وهو السبب المحتمل الذي دفع هوميروس إلى وصفهم بـ 'البرابرة'.[1]

تميز وجود الكاريين في مصر بتاريخ طويل، ومن المحتمل أن يكون توافدهم إلى مصر قد بدأ مع قدوم بعض المرتزقة من الجنود الكاريين مع الجيش الأشوري في عام 671 قبل الميلاد، لكن أول توافد حقيقي وضخم للكاريين تزامن مع قدوم الأيونيين إلى مصر في إطار التحالف السري بين الملك الليدي جيجيس والملك أبسماتيك الأول فيما بين عامي 664-657 قبل الميلاد.[2]

من الأمور المثيرة للدهشة أن 70% من النقوش الكارية في العالم عُثر عليها في مصر. جاءت غالبية هذه النقوش متركزة في منطقة سقارة، وهي الجبانة الرئيسية لمدينة منف، حيث تعتبر سقارة موطن استقرار الجالية الكارية في الحي الخاص بهم، وهو حي كاريكون. اكتشفت هذه النقوش بواسطة عالم الآثار إمري Emery في عام 1966 في شمال سقارة، حين عثر على معبد من العصر المتأخر مبني على



(شكل 1) لوحة كارية من سقارة، JdE 9137، عثر عليها في بهو البابون العلوي، سقارة. ©المتحف المصري.

ربوة عالية.[3] عثر بداخل هذا المعبد على ثلاث مقاصير متصلة بالكتاكومب المنقورة في الصخر، حيث كُرست هذه المقاصير الثلاثة لأمهات كل من أبيس، والبابون، والصقر. وفي الثامن من ديسمبر عام 1968، تم فتح مقبرة البابون، وقد تبين من الفحص الأَوَّلِي للمقبرة وجود لوحات من الحجر الجيري منقوشة بالكتابة الكارية مبعثرة على الأرض. (شكل 1) وبالرغم من ذلك، لم يقتصر تواجد الكاريين في مدينة منف،[4] فلقد تم الكشف عن نقوش كارية في سايس،[5] وأبيدوس،[6] وطيبة،[7] والسلسلة،[8] وأبو سمبل،[9] وبوهن،[10] ودندور.[11] والجدير بالذكر أنه لم يُعثر على أية من اللوحات الكارية في مكانها الأصلي، بل إن هذه اللوحات إما أن تكون قد سبق استخدامها، وإما أنها معدة لإعادة الاستخدام.[12]

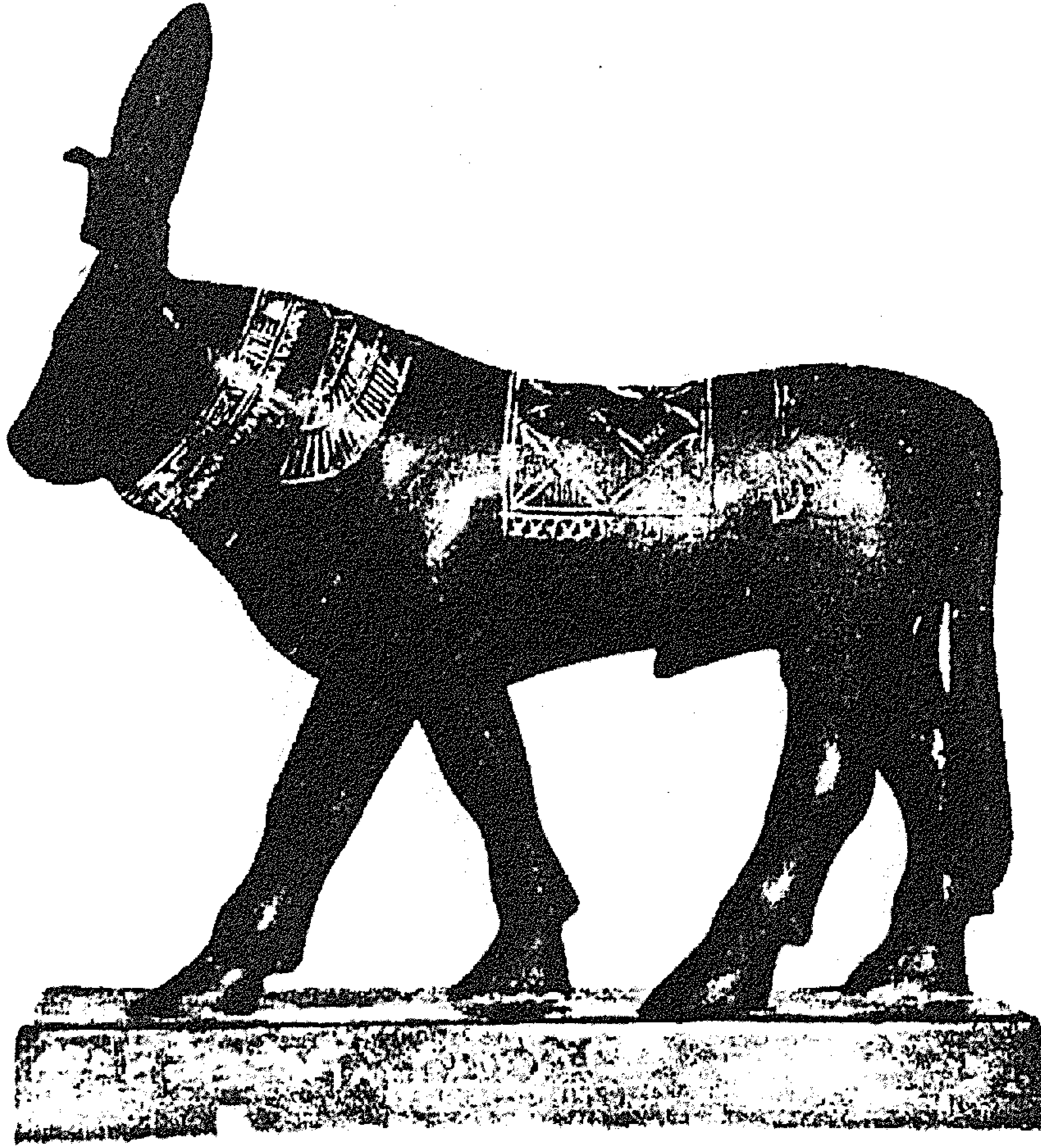
كان هذا الاكتشاف ذا أهمية قصوى للتأريخ لتواجد الأقلية الكارية في منقطة سقارة، وكذلك لفك شفرة الكتابة واللغة الكارية.

لقد شهد العقد الأخير محاولات ناجحة لقراءة النقوش الكارية، وذلك من خلال قراءة اللوحات التي تحمل نقوشًا هيروغليفية ونقوشًا كارية مما ساهم في التعرف على بعض القيم الصوتية للحروف. يعود الفضل إلى كل من J. Ray ، F. Kammerzell، I. Adiego Lajara في التعرف على القيم الصوتية وترجمة اللغة الكارية.

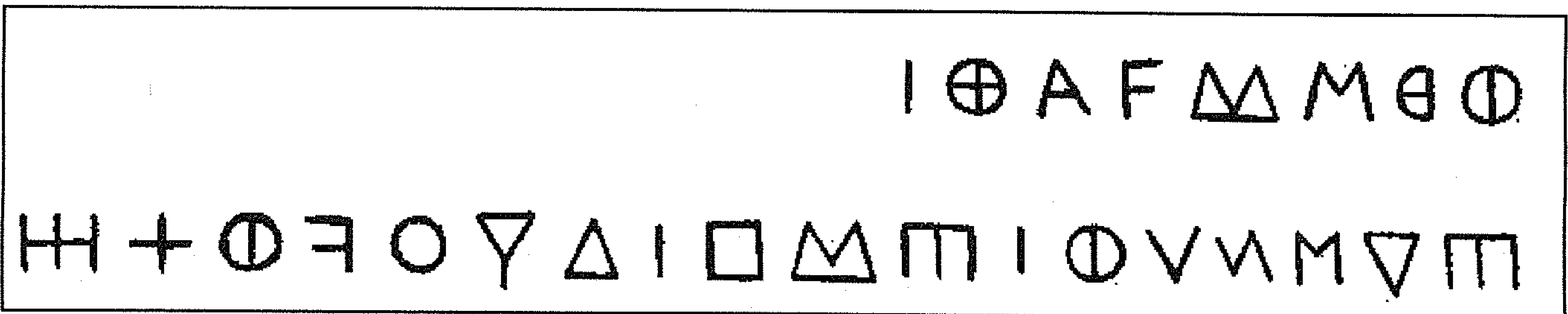
والقائمة التالية هي الأخيرة للحروف الكارية وتعريفها، كما اقترحها كامرتسل.[13]

يقرأ النص المزدوج المنقوش على قاعدته كما يلي:

ḥp di ꜥnḫ Prim p3 whm



(شكل 2) تمثال أبيس مصنوع من البرونز، سقارة، من عصر الملك أحمس (526- 570) قبل الميلاد. JE 49061 ©المتحف المصري.



Parajem armok' -he paraejem slopodro

a

b

c

'فليحم أبيس (حرفيًا: فليعطِ الحياة) بريم Prim (و) باوهيم Pawhem (الذي يطلقون عليه في الكارية) باراجيم Parajem (ابن) أرموك (Armok) و(ابن) سلبودرو Slpodro'.[14]

تعتبر اللوحة سليمة إلى حد كبير، وتحمل نقشًا محفورًا بدقة متناهية. يبدأ هذا النقش من أسفل من اليمين، ويتجه اتجاهًا لولبيًا بداية من الكلمة الثانية الأفقية.[15]

الهوامش

1 Olivier Masson, 'Karer in Ägypten', *LÄ* III (Wiesbaden,1980), 333-337; Sobhy Younis, *Hellenic Minorities in Ancient Egypt during the Late Period (ca. 664-332 BC)* (PhD. Diss., Cairo University, 1995), 131; L. Bücher, 'Karia', *Paulys-Wissowa* 10, (1919), 1943.

2 Sobhy Younis, 'Psamtik I and Gyges: A Secret Alliance', in: *Egyptology at the Dawn of the Twenty first Century, Proceedings of the Eighth International Congress of Egyptologists*, Vol. 2 (Cairo, 2003), 582-586.

3 Olivier Masson, *Carian inscriptions from North Saqqara and Buhen* (London, 1978), V.

4 Masson, *Carian inscriptions*, nos. 1-49; J.D. Ray, 'The carian Inscriptions from Egypt', *JEA* 68 (1982), 184-189; Frank Kammerzell, 'Studien zu Sprache und Geschichte der Karer in Ägypten', *Göttinger Orientforchungen* 27 (Göttingen,1995) 123-162; Younis, *Hellenic Minorities in Ancient Egypt*, 131-159.

5 Masson, Yoyotte, *Objets pharaoniques à inscription carienne* (Cairo,1956), 55-64.

6 Ray, *JEA* 68 (1982) 193-194; Lajara Adiego, Javier Ignacio, *Investigaciones sobre la escritura y lengua Caria, Studia Carica* (Bercelona,1993), 310-311.

7 Ray, *JEA* 68, 194; Adiego, *Investigaciones sobre la escritura y lengua Caria*, 309.

8 Ray, *JEA* 68, 194-195.

9 A. Bernand, A. Ali, Abou-Simbel, *Inscriptions grecques, cariennes et sémitiques des statues de la façade* (Cairo, 1959), d8, jd, I; IV, VIII-IX; Adiego, *Investigaciones sobre la escritura y lengua Caria*, 305; Younis, *Hellenic Minorities in Ancient Egypt*, 171-73.

10 Masson, *Carian inscriptions*, nos. 50-55; Ray, JEA 68, 189-90.

11 Younis, *Hellenic Minorities in Ancient Egypt*, 175-76.

12 Masson, *Carian inscriptions*, VI.

13 Kammerzell, *Göttinger Orientforchungen* 27, 90-92.

14 Masson, Yoyotte, *Objets Pharaoniques à Inscription Carienne*, 40-49; Ray, *JEA* 68; 184-189; Younis, *Hellenic Minorities in Ancient Egypt*, 158.

15 Masson, *Carian inscriptions*, 37- 38; Emery, *JEA* 56 (1970), pl. XV, I.

1	A	*a*
2	ϸ	*β*
3	C	*g*
4	Δ	d^r
5	E	*é*
6	F	*r*
7	I	*μ*
8	B	*w*
9	⊕	*t*
9*	⊕	-
10	Γ	*b*
11	И	*m*
11*	N	-
12	O	*o*
13	Γ	*b*
13*/10	Λ	*l*
14	♀	*q*
15	P	*š*
16	₱	-
17	M	*s*
18	T	*d*
19	Y	*u*
20	Φ	p^h
21	X	*h*
22	Ψ	*k'*
23	Ω	-
24	ΔΔ	*p*
25	Φ	*s'*
26	ϴ	*e*
27	□	*j*
28	⍞	*j'*
28*	⍞	*j'*
29	∇	*k*
30	∇	(=29)
31	⩓	*t'*
32	Ш	*ü*
33	⧗	c^h
34	⧗	(=33)
35	X	*35*
36	ʖ	(=35)
37	X	*n'*
38	Ш	*ê*
39	ϩ	-
40	↑	*c*
40*	↑	(=40)
41	↑	-
42	6	(=26)?
43	V	(=40)
43*	↑	(=40)
44	ꓒ	(=40)
45	⋲	-

قائمة بالحروف الكارية وتعريفها كما اقترحها كامرتسل

النقوش اليونانية في مصر

محمود إبراهيم السعدني

إذا كان الأثريون المتخصصون يؤرخون لأقدم نقوش اللغة اليونانية في اليونان نفسها بالنصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد،[1] فإن تلك النقوش وأمثالها قد ظهر في مصر في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد - أي بعد حوالي قرن من الزمان من ظهورها في بلدها- وبالتحديد في صعيد مصر، عند أبي سمبل وعلى أحد أرجل تماثيل رمسيس الثانـي هناك.[2] ومن المعروف والثابت أثريًا ولغويًا، أن الحروف الأبجدية اليونانية القديمة تدين بوجودها للحروف الفينيقية الأقدم.[3]

ولقد كان الفينيقيون هم الوسطاء الذين نقلوا الحضارة المصرية بتراثها المتنوع، وبخاصة الآلهة المصرية،[4] إلى اليونان، كما نقلوا -في الوقت نفسه- بعض ملامح النهضة اليونانية الجديدة (عقب الغزو الدوري لليونان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى الشرق القديم وتحديدًا إلى الساحل الفينيقي (السوري / الفلسطيني) وإلى مصر.[5]

ولكن المرتزقة اليونانيين، أولاً ثم التجار من بعدهم بالآلاف، وصلوا إلى مصر منذ تأسيس الأسرة السادسة والعشرين الصاوية في سايس ومع مؤسسها أبسماتيك الأول، وبإذن صريح منه، ومباركة من خلفائه.[6]

وكان من بين أعمال أبسماتيك الأول -اعترافًا بجميل المرتزقة اليونانيين في طرد الأشوريين، من ناحية والتغلب على الكوشيين من ناحية أخرى- أن 'بنى لهم معسكرين في مواجهة بعضهما البعض على ضفتي النيل' كما يذكر هيرودوت،[7] هذا فضلاً عن قلعة حصينة شمال شرق الدلتا، عند تل دفنة (Daphnae)، يؤرخها بعض العلماء بعام 665 قبل الميلاد،[8] أي تقريبًا عقب وصولهم مباشرة إلى مصر، وفي ضوء الاكتشافات الأثرية الأخرى، يمكن تأريخ ذلك فيما بين عامي 663-662 قبل الميلاد، وبخاصة إذا وضعنا في الاعتبار آثار المعسكر الآخر، غرب الدلتا، عند قرية 'نبشة' (Nabesheh)، حيث تم الكشف عن مقابر لمرتزقة أجانب والتي يصفها بتبري بقوله:

> 'We can hardly doubt that we have here the graves of the Carian mercenaries of Psammetikos'.[9]

وانتهج خلفاء أبسماتيك الأول، الفرعون نخاو وأبسماتيك الثاني وأبريز، السياسة نفسها تجاه اليونانيين، بكل العرفان والتقدير والاعتماد عليهم في عملياتهم العسكرية حتى خارج الحدود المصرية[10] شمالاً وجنوبًا.

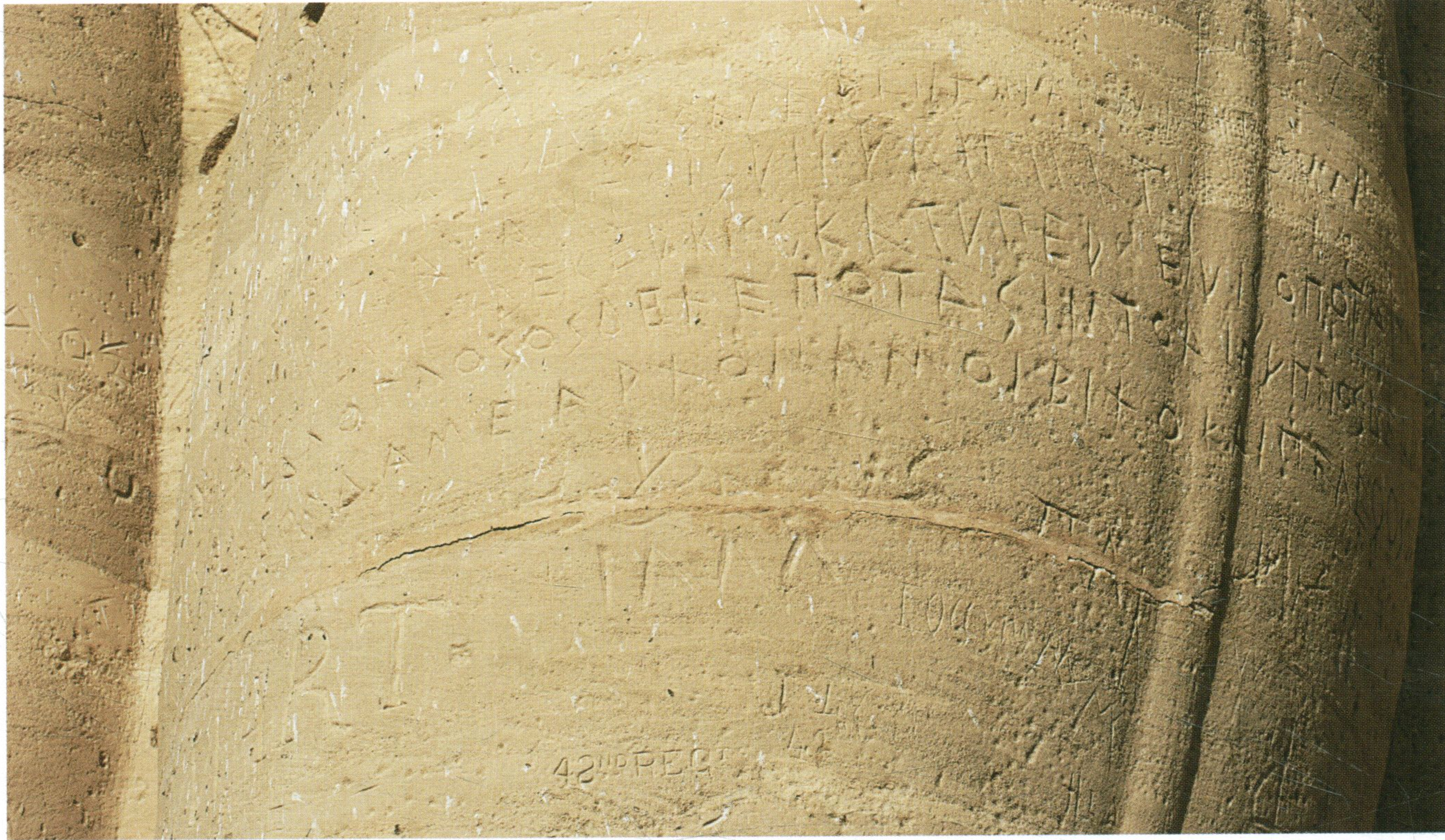
والحق أن أقدم نقش يوناني في مصر هو ذلك الموجود في أبي سمبل-السابق الذكر- ويؤرخ بعهد الفرعون أبسماتيك



الثاني حوالي عام 594-593 قبل الميلاد لمجموعة من المرتزقة اليونانيين من كاريا، وإيونيا وقد تم نشر هذا النقش وترجمته عند كل من Tod[11]، Cook[12]، Jeffery[13]، Meiggs-Lewis[14]، انظر (شكل 1 أ، ب)

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحملة الجنوبية ضد النوبة وبمساعدة المرتزقة اليونانيين، قد أشار إليها هيرودوت،[15] وسبقته حولها بالذكر المصادر المصرية الأقدم.[16] وكذلك يجب التنويه إلى أن هذه الحملة هذه كانت مكونة من جنود مصريين جنبًا إلى جنب مع المرتزقة اليونانيين،[17] مما يعني سيادة روح الإخاء والمودة بين الجانبين، الأمر الذي أدى بالفرعون نفسه أي أبسماتيك الثاني، بالإقدام على خطوة أكبر فجعل من المرتزقة اليونانيين في جيشه، ليُكَوِّنُوا المَيْمَنة، كما علم أبناءه تعليمًا يونانيًا وفق إشارة ديودوروس،[18] المؤرخ اليوناني اللاحق أواخر القرن الأول قبل الميلاد، والذي أمّن على حديثه عالم المصريات الحديث ألان لويد.[19]

ومع نهاية الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد (أي فيما بين 589-570 قبل الميلاد) وصل عدد الجنود المرتزقة اليونانيين في الجيش المصري عقب هزيمة الفرعون أبريز



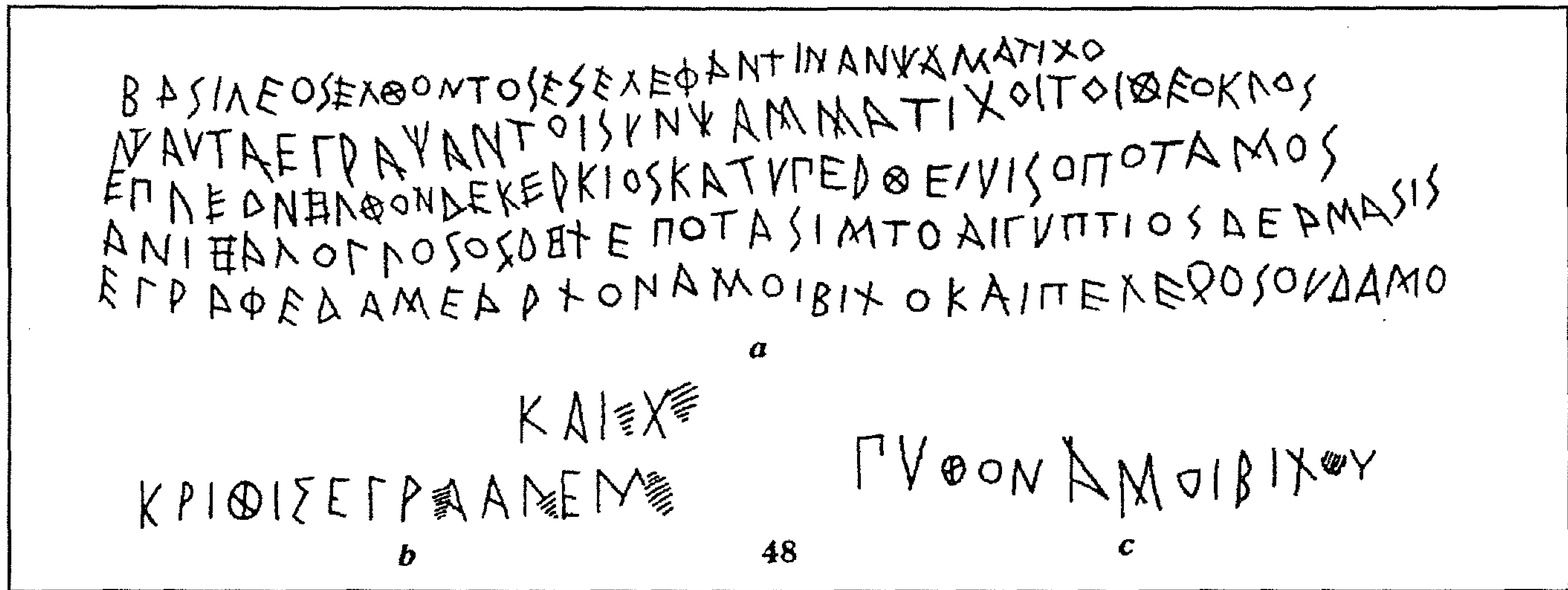
(شكل 1-أ) أقدم نقش يوناني عثر عليه في مصر، معبد أبي سمبل.

(Apres) أمام الفرعون الشاب أحمس الثاني (Amasis II)- حوالي ثلاثين ألفًا، وفق رواية هيرودوت، وبتقدير ناشر نصوصه التاريخية، العالم الباحث Godely.[20]

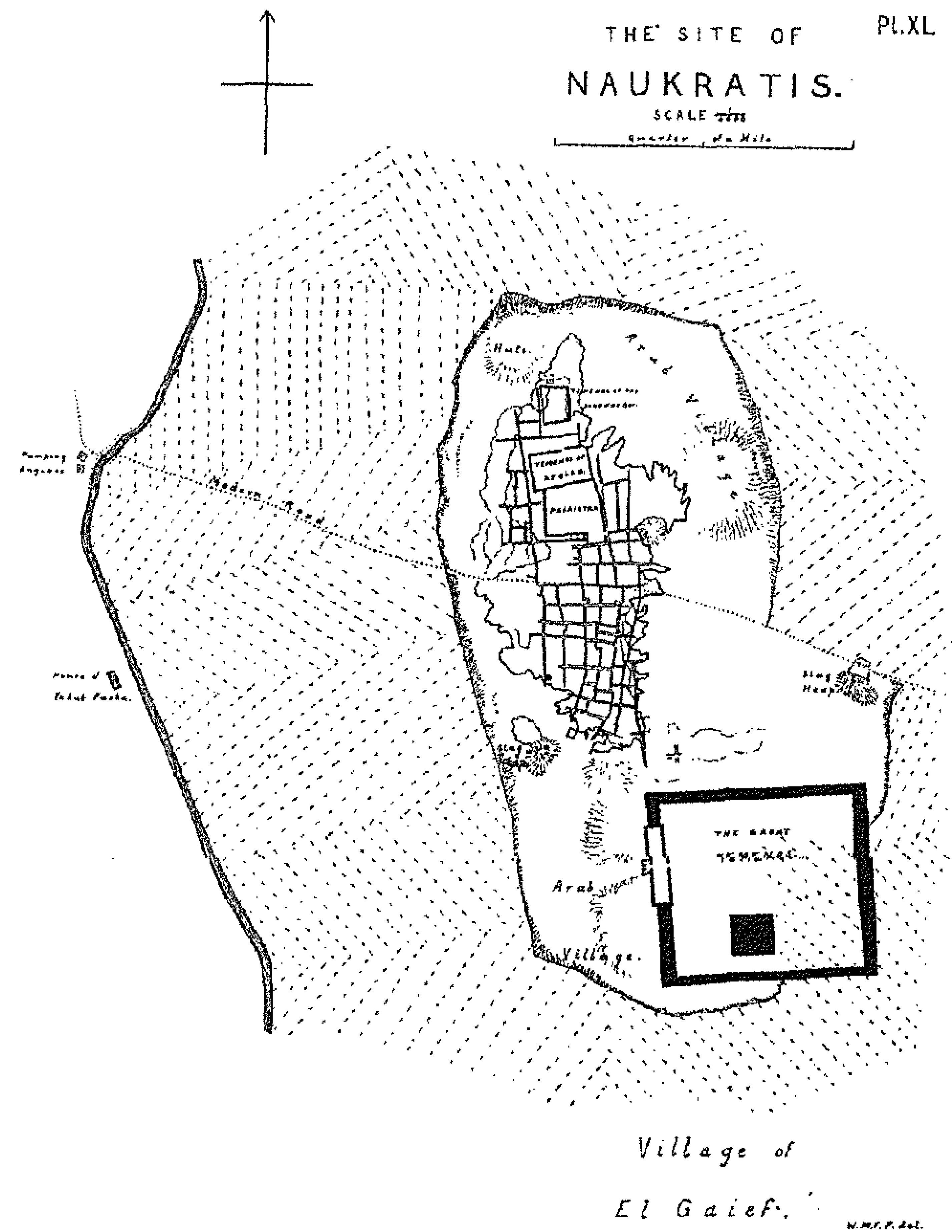
ولقد مارس آلاف اليونانيين أنشطة أخرى، غير العمل كمرتزقة في الجيش المصري، ومنها التجارة،[21] وبناء السفن التجارية والاشتغال بأعمال البحر،[22] وجميعها، منذ بداية العصر الصاوي، اعتمادًا على إشارات تاريخية عند هيرودوت وسترابون.

وكانت آنذاك مدينة ناوكراتيس (Naukratis) -كوم جعيف حاليًا بمحافظة البحيرة- هي أقدم محطة يونانية على الأراضي المصرية الشمالية، أي في الدلتا، وذلك منذ مطلع النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد، أو قبلها بقليل، وفق أحدث الدراسات لتأريخ الفخار والنقوش اليونانية على آثار تلك المدينة. وكان نشاطها التجاري والمكاني قد حدده تمامًا الفرعون أحمس الثاني،[23] (شكل 2) كإجراء ضروري لإعادة التوازن المفقود -في اعتبارنا- بين التواجد الأجنبي ممثلاً في العنصر اليوناني، وبين الأهالي المواطنين المصريين الذين كانوا قد استاءوا كثيرًا من محاباة فراعنة الأسرة السادسة والعشرين السابقين على أحمس، لهؤلاء اليونانيين المرتزقة أولاً، ومن بعدهم التجار ثانيًا.

وتؤكد المادة التاريخية، وكذلك الأثرية، على أن هذا المركز المتقدم -في شمال غرب الدلتا- للعناصر اليونانية، أي في ناوكراتيس، كان محطة تجارية إيونية في المقام الأول.[24] وإذا كان القمح المصري هو السلعة الأولى التي خرجت من



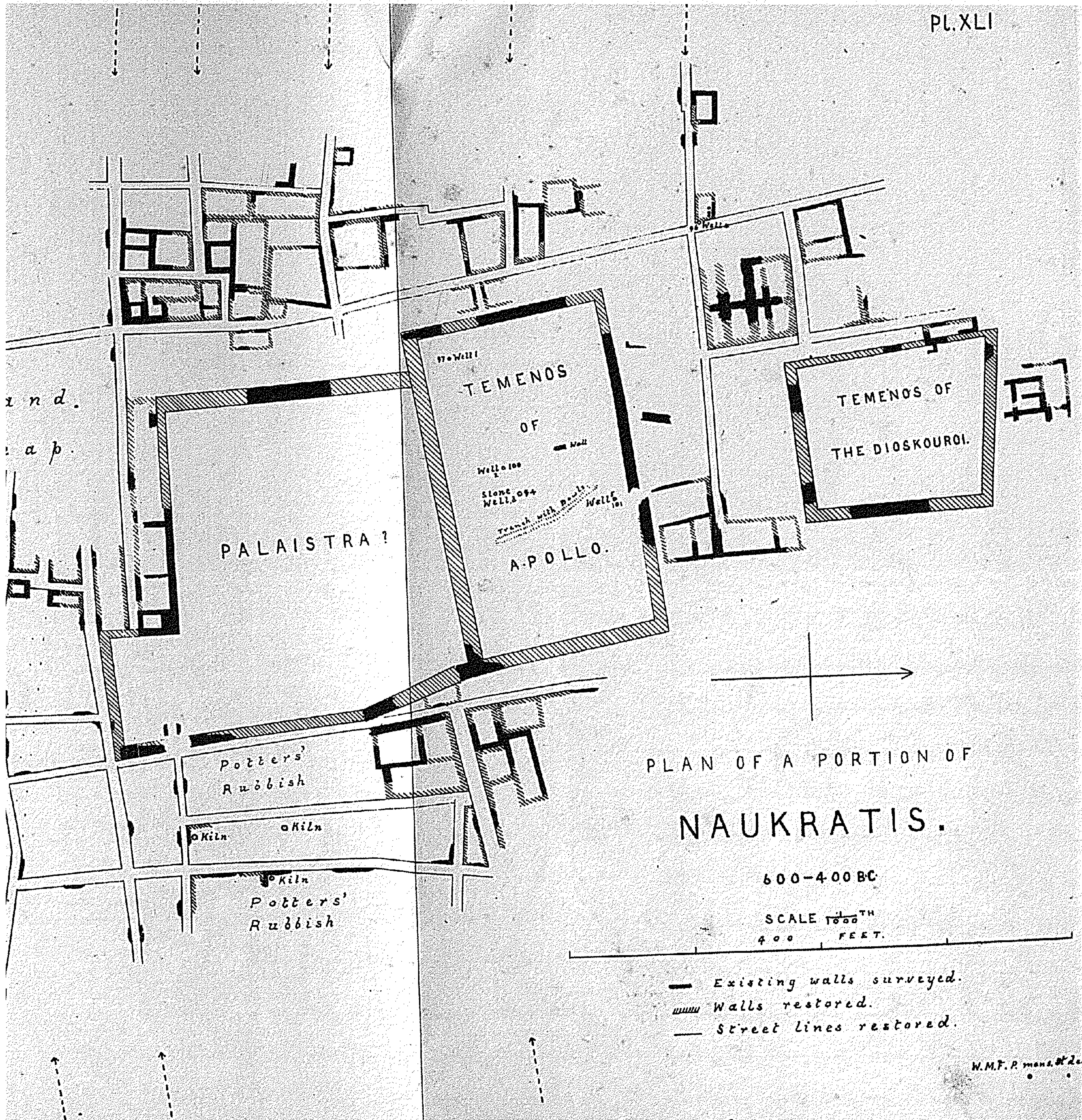
(شكل 1–ب) أقدم نقش يوناني عثر عليه في مصر، معبد أبي سمبل.



(شكل 2) تخطيط مدينة ناوكراتيس، أقدم مدينة يونانية في دلتا مصر.

مصر صوب الأسواق اليونانية،[25] فإن النبيذ والخمر القادم من جزيرة ليسبوس (Lesbos) –شرق البحر الإيجي– كان هو أشهر الواردات اليونانية طوال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وحتى زمن هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد.[26] لكن المادة النقشية اليونانية المكتشفة في الموقع الأثري نفسه، بفضل الحفائر القديمة التي قام بها فلندرز بتري منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وقد جاءت معظم هذه النقوش اليونانية من المعبد الكبير المعروف باسم هيللينيون (Hellenion) وآخر قد كان كرسه أهل ميليتوس للإله أبوللون، وكشف عنهما بتري في عام الحفائر الأول (1884-1885م).[27] (شكل 3)

كان العلاّمة إرنست جاردنر (E. Gardner) قد أكمل تلك الحفائر في العام التالي لسفر بتري ونشر نتائج حفائره في الجزء الثاني.[28] وقد حصر جاردنر كل نقوش حفائره في الموسم الثاني للموقع في الفصل الثامن من هذا الجزء الثاني والأخير من حفائر ناوكراتيس.[29] وكان هذا الأثري قد ختم نتائج حفائره بقوله:



(شكل 3) المعبد الكبير (هيللنيون) ومعبد الإله أبوللون، ناوكراتيس.

'We may at least hope that our volumes and plates will serve as a store house of facts that throw light on the history of the Greeks in Egypt, and especially on the development of their manufactures and their art'.[30]

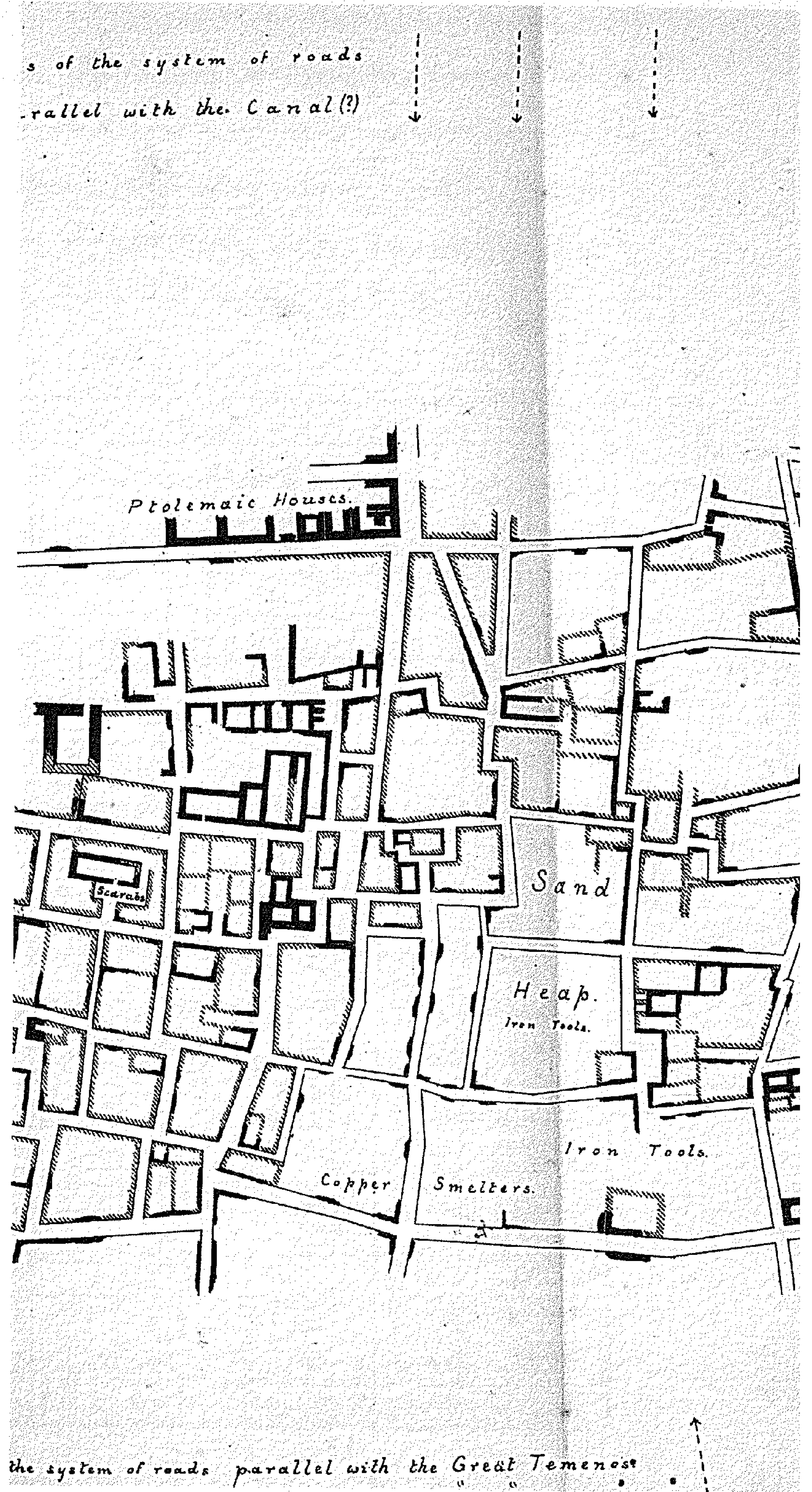
وحقًّا، لا تزال حفائر بتري وجاردنر من بعده، تمثل لنا –حتى يومنا هذا– بعد أكثر من مائة عام من عملهما الكبير، مصدرًا أساسيًّا لمعلوماتنا حول هذا المعسكر اليوناني الخاص المكون من عناصر يونانية متعددة الأوطان اليونانية، وفق ما تؤكده إهداءاتُهم النذرية إلى معابد ناوكراتيس على هيئة آنية فخارية أو حجرية: فهناك الكورنثي، والميليتي، والميلي (من جزيرة ميلوس)، والأمورجي (من جزيرة أمورجوس).

كان إرنست جاردنر[32] قد سجل لنا بعض ملاحظاته على تلك النقوش على الآنية الفخارية المهداة إلى الإله أبوللون في معبده أو محرابه في ناوكراتيس، ومنها:

1 - تم إحصاء حوالي (700) نقش، على فخار، يُؤَرخ بعصور مختلفة، وله أشكال عديدة.[33]

2 - يمكن تأريخ الغالبية العظمى منها، وهي التي تكوِّن سلسلة متصلة ومترابطة في موضوعاتها، بالفترة الواقعة فيما بين 650-520 قبل الميلاد، مما يساعد في اقتفاء أثر تاريخ الأبجدية الأيونية منذ أقدم مراحلها بطريقة لم تكن ممكنة قبل ذلك. والحق أيضًا، أنها لم تصبح ميسورة بذلك الشكل، حتى الآن، مع مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي.

3 - يقرر جاردنر، بموضوعية شديدة يحسد عليها، وأمانة علمية قلما توجد في بعض علماء اللغة والآثار، ما يلي:



'There is no foundation on which to build a history of the earliest Greek alphabet at Naukratis'.[34]

بمعنى أنه: 'لا توجد أرضية ثابتة كي يتقرر على أساسها تاريخ الأبجدية اليونانية الأقدم المكتشفة في ناوكراتيس'.

مما يوحي بعدم اليقين المحدد لتأريخ أيها يجيء أقدم من الآخر من بين تلك النقوش التي تحصى بالمئات !!!! ولذلك فإن علم تاريخ النقوش اليونانية، في مصر لا يزال يفتقد إلى مثل تلك الثوابت العلمية الراسخة في تطور أشكال كتابة الحروف اليونانية وتأريخ زمانها، مثلها هو الحال مثلاً في أشكال الفخار اليوناني.

Table of the various forms of the Greek Alphabet found on the Apollo pottery at Naukratis.

Forms marked * occur in lines written from r. to l.	α	β	γ	δ	ε	ζ	η	θ	ι	κ	λ	μ	ν	ξ	ο	π	ϙ	ρ	σ	τ	υ	φ	χ	ψ	ω
I Soft red-brown * 24.					m Ǝ				I		ΛΛ	NM			OO	Π			[illegible]						ΩΩ
II Buff & brown & purple 8, 245					m				I		ΛΛ	M			O				[illegible]						Ω
III Thick drab 68-79					Ǝ				I	K	ΛΛ	M	ΣN		OO	ΓΓ		P	Σ	T					ΩΩ
IV Black & buff &c 81.125.254					E						M		ΣΣ		O	Γ			Σ						ΩΩ
V Light-brown, thick 2	A				E		H		I	K	ΛΛ		N		O	Π			Σ	T					ΩΩ
VI Buff & scarlet 1	AA				E		H		I	K	Λ	M	NN		O	Γ		D	Σ	T	V		X		Ω
VII Buff plain 5	AA				EE		H	⊗	I	K	Λ	MM	NN		O	Γ		P		T					Ω
VIII Drab-white & brown 234					E		B	⊗		K															
IX Black & buff &c	AA		Γ	Δ	EE		H	⊗	I	K	ΛΛ	MM	NN	Ξ	O	Γ	Ϙ	PPP	ΣΣΣ	T	V	Φ	+		Ω
X Thin white-faced 10-13	AA A				EE		H	⊗	I	KK	Λ	M	NN		O	Π			ΣΣ						ΩΩ
XI Eye-bowls 201-222	AA		Γ		EE			⊗	I	K	M	MM	NN		O	Π			ΣΣΣ	T					Ω
XII Drab-white & brown 7-9	A				E						Λ		N		O	Π			Σ						Ω
XIII White-faced 77					E						Λ	M			O	Π		P	Σ	T			+		Ω
XIV Drab-buff & scarlet	A				E				I		Λ	M	N		O	Γ			Σ						
XV Black & buff	A				[illegible]				I			M	N		O			D	ΣΣ		V				
XVI Rough drab & brown	AA				E					K	Λ		N		O	Π			Σ	T				Ψ	
XVII Buff & black 104.122.182.191.207	AA				E	I		⊗	I	K	ΛΛ		NN		O	ΓΠ			ΣΣ	T					
XVIII Melian	AA			Δ	EE		B	⊗	I	K	Λ	MM	N		C	Γ		D	Σ	T		Φ			O
XIX Korinthian * 220	A				B						Λ				O			P	M	T	Y				
XX Initials & detached letters		B				I	BB							Ξ										Ψ	
a. Amorgos	AA A	B	Γ	ΔΔ	EE	I	H		I	K	ΛΛ	M	NN		O	Γ	Ϙ	PPP	ΣΣ	TT	VY	Φ	X		ΩΩ
b. Abu Simbel	AA	BB	ΓΓ	ΔΔ	EE		BB	⊗⊗	I	KK	ΛΛ	MM	N		OO	ΓΠ	ϘϘ	DPP	ΣΣ	T	VY	ΦΦ	X	ΨΨ	
c. Miletos	AA		Γ	Δ	EE		BH	⊗	I	KK	Λ	M	NN	Ξ	O	Π		DP	ΣΣ	T	Y		X	Ψ	ΩΩ

PL. XXXV A

(شكل 4) تطور أشكال الحروف في ناوكراتيس على فخار معبد أبوللو في ناوكراتيس من القرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

وربما يرجع ذلك في نظرنا – بعد اطلاعنا على الجدول المرفق، نقلاً عن بتري وجاردنر في الجزء الأول (شكل 4) إلى عدة عوامل من أهمها:

أولاً: التقارب الكبير في أشكال معظم حروف الأبجدية اليونانية، وبخاصة في A, H, I, O, K, Λ, M, N, O, Π, T, Φ, X, Ψ, Ω.

ثانيًا: قلة الاختلاف بين أشكال بعض الحروف: حيث يتركز الفرق إما في اتجاه الحرف، أو في ميل زواياه، مثلما الحال في: B, Γ, Δ, E, P, Σ، مع ملاحظة كثرة الاختلاف في حرف السيجما على وجه الخصوص،كما هو مبين سلفًا.

ثالثًا: اختلاف طين الفخار ومصادر توريده لمنطقة مدينة ناوكراتيس، مما يعكس اختلاف نقش الحرف وسمك أو أطوال زواياه.

رابعًا: اختلاف درجة إتقان الكاتب على الفخار لأشكال الحروف الأبجدية، وكذلك درجة ثقافته اللغوية،

خامسًا: وربما اختلاف أداه الكتابة على الطين ما بين الأداة المحلية (في مصنع الفخار الناوكراتيسي)، وبين الأدوات الأجنبية المكتوب بها على الفخار اليوناني القادم والمستورد إلى ناوكراتيس.

وجدير بالذكر بأن أكثر صيغ النقوش اليونانية تكرارًا على فخار ناوكراتيس كان:

Τωπολλωνι Ανέθηκε /أو/ ταπό λλωνι Απόλω ‘أُهديَ إلى أبوللون’[35] أو Ωηολλώ σο ἐμι بمعنى: ‘يا أبوللون، إنني ملكك’.[36]

ومع كل ذلك، كما أسلفنا، فإن هناك بعض الملاحظات الإيجابية، بل والجديدة تمامًا لصالح علم اللغة بوجه عام، كان قد أشار إليها الناشران في عملهما الكامل الكبير، ومن بينها ما يلي:

1 - ما كان أبو التاريخ قد أكده في تواريخه[37] حول أن أهل ميليتوس (Miletus) كانوا هم –دون بقية العناصر اليونانية الأخرى– الذين أهدوا وقرَّبوا قرابين كثيرة للإله أبوللون، هو حقيقة تاريخية وأثرية تؤكده نقوش الأبجدية اليونانية بحروف على شاكلة كتابات أهل ميليتوس، وهى التي يمكن أن تؤرخ – بدون أية فترات انقطاع[38]–فيما بين 650-520 قبل الميلاد كما ذكرنا من قبل.

2 - يؤكد العالمان على محلية النقوش قياسًا على أشكال نقوش أبي سمبل، والنقوش الأيونية الأخرى المعتادة سواءً في ميليتوس أو غيرها من الجزر اليونانية. ولا يرجع الاختلاف إلى التاريخ المبكر لها بقدر ما يرجع إلى محلية الصناعة والكتابة[39] ولكنها- في كل الأحوال- أقدم من نقوش أبي سمبل.[40]

3 - يقدم نقش إناء ‘فانيس‘ (Phanes) بن جلاوكوس دليلاً كتابيًا قويًا على وجود خيانة شخصية تاريخية يونانية معروفة عند هيرودوت،[41] حينما فر هذا القائد المرتزق من المعسكر المصري بقيادة أحمس، وانحاز إلى جيش قمبيز، وهو ما يتفق مع نقش عملة من هاليكارناسوس يقول: Φὰνους ἐιμ σῆμα بمعنى ‘أنا شِعار فانيس‘ مما يؤرخ للإناء بحوالي عام 530 قبل الميلاد، بينما خيانة فانيس يؤرخ لها بحوالي 526 قبل الميلاد.[42]

4 - هناك تأثيرات فينيقية بسيطة على الأبجدية الأيونية في ناوكراتيس، مثل الكتابة من اليمين إلى اليسار، أو سيرًا على طريقة المحراث (βουστροφηδόν).[43]

وهكذا تؤكد لنا النقوش بوجه عام، والنقوش اليونانية في مصر، بوجه خاص، على أنها هي حجر الزاوية المركزية في دراسة تاريخ بلد النيل والفراعنة في فترة احتلالها على أيدي البطالمة ومن بعدهم الرومان، طيلة ما لا يقل عن ستة قرون من الزمان. وكان علم النقوش (Epigraphy) قد ظهر عقب الحرب العالمية الثانية، عندما احتاجت موسوعة فرنسية تأصيل المادة التاريخية وإضافة هذا الفرع إلى محتوياتها كقاعدة علمية جديدة عامة، أساسية للتاريخ.[44] ولما كانت هذه النقوش الكلاسيكية هي بين يونانية ولاتينية، وتصل أعدادها إلى ما يربو على نصف مليون نقش، فلقد قامت دائرتان كبيرتان على نشر كل منهما على انفراد.[45]

The Corpus Inscriptionum Latinarum - 1

The Inscriptiones Graecae - 2

ولما كان همنا الأول هنا، والمحدد جدًا هو استعراض تاريخ النقوش اليونانية في مصر فقط، فلسوف نكتفي ببليوجرافيا



(شكل 5) نقش يوناني من معبد إيزيس المشيد على جزيرة فيلة. يقع النقش على الجانب الغربي للواجهة الجنوبية للصرح الشمالي، ويعود إلى العام 23 من حكم أوغسطس.

تلك النقوش فقط خارجيًا أيضًا، وهي كثيرة وتزداد بسرعة كبيرة، ولا يلبث أي نشر حديث عنها أن يصبح متأخرًا نسبيًّا عن ملاحقة اكتشافها في الحفائر الأثرية المستمرة في كل بقاع وحاضر العالم القديم. وإذا كان انتشار النقوش اليونانية في العالم القديم على مساحة شاسعة من جغرافيا العالم المأهول قديمًا؛ من 'آي خانوم' على نهر أوكسوس، مع حدود أفغانستان والاتحاد السوفيتي حتى إيران والخليج العربي وما بين النهرين (Mesopotamia) والقوقاز وصولاً إلى الساحل الشمالي للبحر الأسود، ورومانيا، وكل أوربا وشمال إفريقيا من الأطلنطي وحتى مصر، فإن مصر -على وجه الخصوص- تمثل حالة فريدة في وثائقها اليونانية واللاتينية، وذلك بطبيعتها الخاصة في كتابة النقوش من ناحية وللتداخل الثقافي والحضاري بين اليونان والرومان وعرقيات أخرى، من ناحية ثانية.[46] ولهذا يقرر كراوفورد ما يلي:

'Many of the Greek inscriptions of Egypt come from temples and monuments of a specifically Egyptian character.'[47]

والحق يقال فإن مجهود الأخوين برنار Bernard الفرنسيان في نشر النقوش اليونانية واللاتينية في مصر كبير ومستمر لما يقرب من نصف قرن من الزمان، ومن أعمالهما الضخمة والدقيقة ما يلي:

Les inscriptions grecques et latines du Colosse de Memnon (Paris, 1960) - 1

Les inscriptions grecques et latines de Philae I–II (Paris, 1969) - 2

De koptos à kosseir (Leiden, 1972) - 3

Le Paneion d'el-Kanaïs: les inscriptions grecques (Leiden, 1972) - 4

Pan du désert (Leiden, 1977) - 5



(شكل 6) نقش يوناني على صرح معبد إيزيس المشيد على جزيرة فيلة؛ ويعود إلى عصر بطلميوس العاشر.

6 - *Recueil des inscriptions grecques du Fayoum*, I (Leiden, 1965)

7 - *Recueil des inscriptions grecques du Fayoum*, II-III (Leiden, 1981)

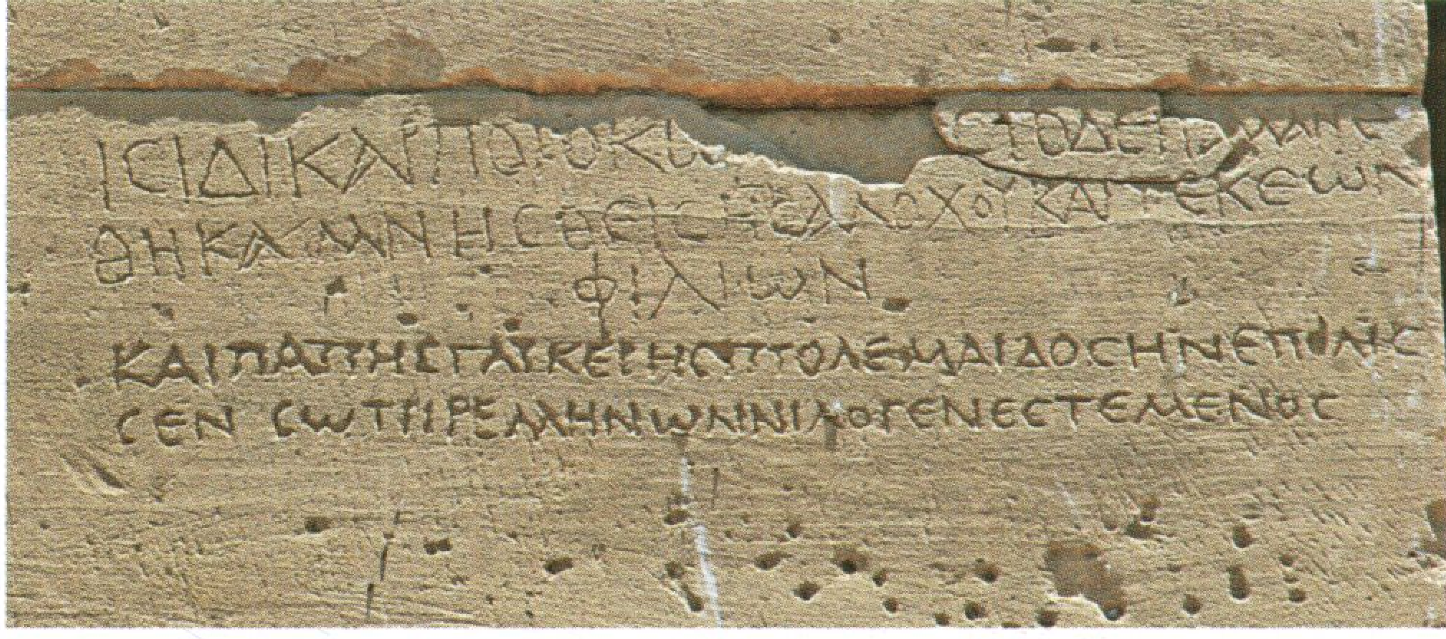
ومن أمثلة النقوش اليونانية التي عُثر عليها في جزيرة فيلة.[48] (الأشكال 5، 6، 7)

والجدير بالذكر في هذا الخصوص، بأن علماء آخرين قد أدلوا بدلوهم في مضمار نشر هذه النقوش مثلما الحال مع كل من G. Mingalou، C. Gallazzi اللذين–من خلال المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة– استطاعا نشر نقوش تبتونيس من معبد / مقصورة الإلهة إيزيس عام 2000م.[49]

هذا فضلاً عن أحدث المقالات لبعض المتخصصين الشباب، مع نهاية القرن العشرين، لصاحبتها Jean-Luc Fournet:

'Les inscriptions Grecques d'abu ku' et de la route Quft-Qusayr'.[50]

'Inscriptions Grecques inédites de la rive ouest d'Assouan'.[51]



(شكل 7) نقش يوناني من بوابة هادريان المشيدة على جزيرة فيلة. يقع النقش على الجانب الشمالي للواجهة الجنوبية، والنقش عبارة عن نص تكريسي مُهدًى إلى إيزيس من شخص يدعى سيلسوس.

وكان سيبستين Sijpesteijn قد نشر من قبل ذلك بحوالي عشر سنوات الأوستراكا اليونانية المكتشفة في إقليم الفيوم الأرسينويتي Arisinoite[52].

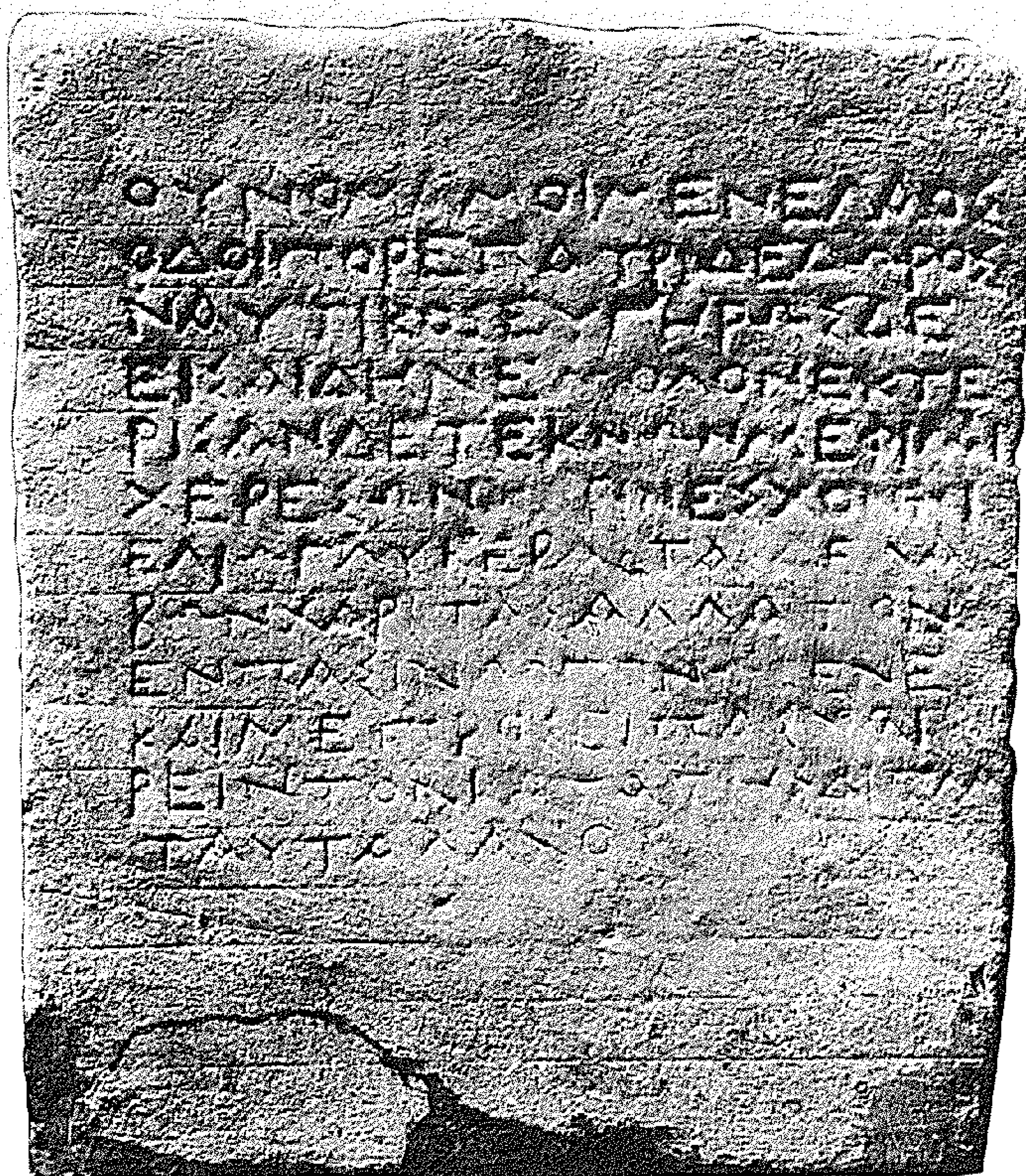
وكذلك كان باراسوجلو، العالم اليوناني في الدراسات الكلاسيكية، قد نشر مع مطلع السبعينيات دراسة شاملة عن الكهنوت وأعمالهم في مصر تحت حكم الرومان وذكر خلالها أخبارًا عن 15 سلة مليئة بالبردي، كان معظمها ديموطيقيًّ وهيراطيقيًّ، بينما كان عدد أجزاء البردي اليوناني فقط حوالي 30 قطعة.[53]



(شكل 8) الإنجيل مكتوبًا بالأحرف اليونانية ومترجمًا إلى العربية. أقدم مخطوط سينائي مدون على القطاسي 996–995 ميلاديًّا. (متحف دير سانت كاترين)

وفي عام 1998م، قام D. J. Begg بنشر جزء من برديات أرشيف باجناني Bagnani، ومن حفائر تبتونيس بالفيوم.[54]

وهكذا ندرك الكنز الثمين للبرديات اليونانية، على وجه الخصوص، من إقليم الفيوم بمدنه القديمة، حيث كانت المزرعة البطلمية النموذجية للملك البطلمي، المقيم في قصره بالإسكندرية، ويعمل لديه آلاف الإداريين اليونانيين والمزارعين المصرين ليضخوا العوائد والأرباح في الخزانة الملكية هناك في الـ *polis* التي من شهرتها وهيمنتها على كل شيء آنذاك تمت الإشارة إليها باسم 'المدينة' دون ذكر اسمها الأصلي، وكأنها كما قال بذلك سكندري مقيم بها: 'إنها هي عاصمة العالم القديم وأعظم مدينة فيه، وما المدن الأخرى سوى قرى أو ضواحي لها.'[55] (شكل 8).



(شكل 9) نقش يكرم أحد البحارة. © BM No Iv. 1926, 4-30-3. E. Bernard, *Inscriptions Métriques de l'Egypte Greco-romaine*.

أما قصائد الشعر اليوناني للأشخاص والتي جاءت على هيئة نقوش جنائزية (Epitapheia) أو إبجراماتا (Epigrámmata) فقد نشرها العالم الفرنسي المتميز إتيان برنار (E. Bernard) في حولية جامعة بيزانكو Besancon عام 1969،[56] (شكلا 9، 10).



(شكل 10) نقش يكرم أحد الضباط يدعى بطلميوس، غير معلوم مكان الحفظ. © E. Bernard, *Inscriptions Métriques de de l'Egypte Greco-romaine*.

ونختار من بينها قصيدتين اثنتين هامتين، في نظرنا لأسباب نذكر منها (وهما برقم 1، و4 عنده).

1 - الأولى تخص شخصًا يدعى مينيلاوس بن دوروس، البحار.

2 - والثانية تخص ضابطًا يدعى بطلميوس، من مقدونيا.

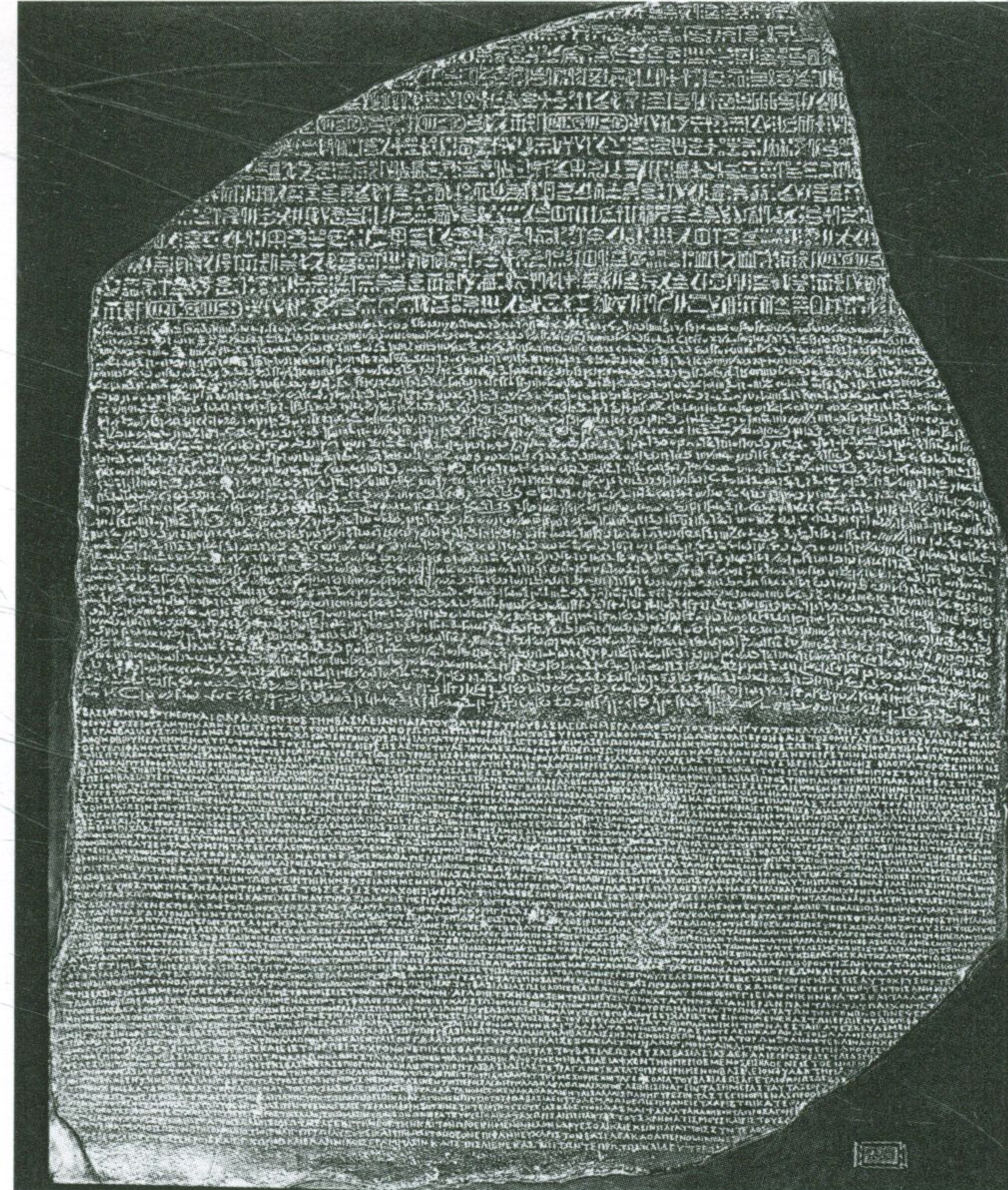
السبب الأول: أنها مرثيتان تقليديتان، اتبعتا شكل ومضمون الإبجراماتا اليونانية، في الرثاء على الميت بأبيات شعر:

- فالخطاب موجه إلى المار بالقبر (ὁδοιπόρε)
- والسطر الأول يبدأ باسم المتوفى.
- والمضمون يسجل سبب الموت أو مناسبة ذلك، ووظيفة المتوفى، حيث نجده، في الأولى، بحارًا وفي الثانية ضابطًا في الجيش مات دفاعًا عن الوطن (ὑπερ πάτριας) ضد الأعداء.

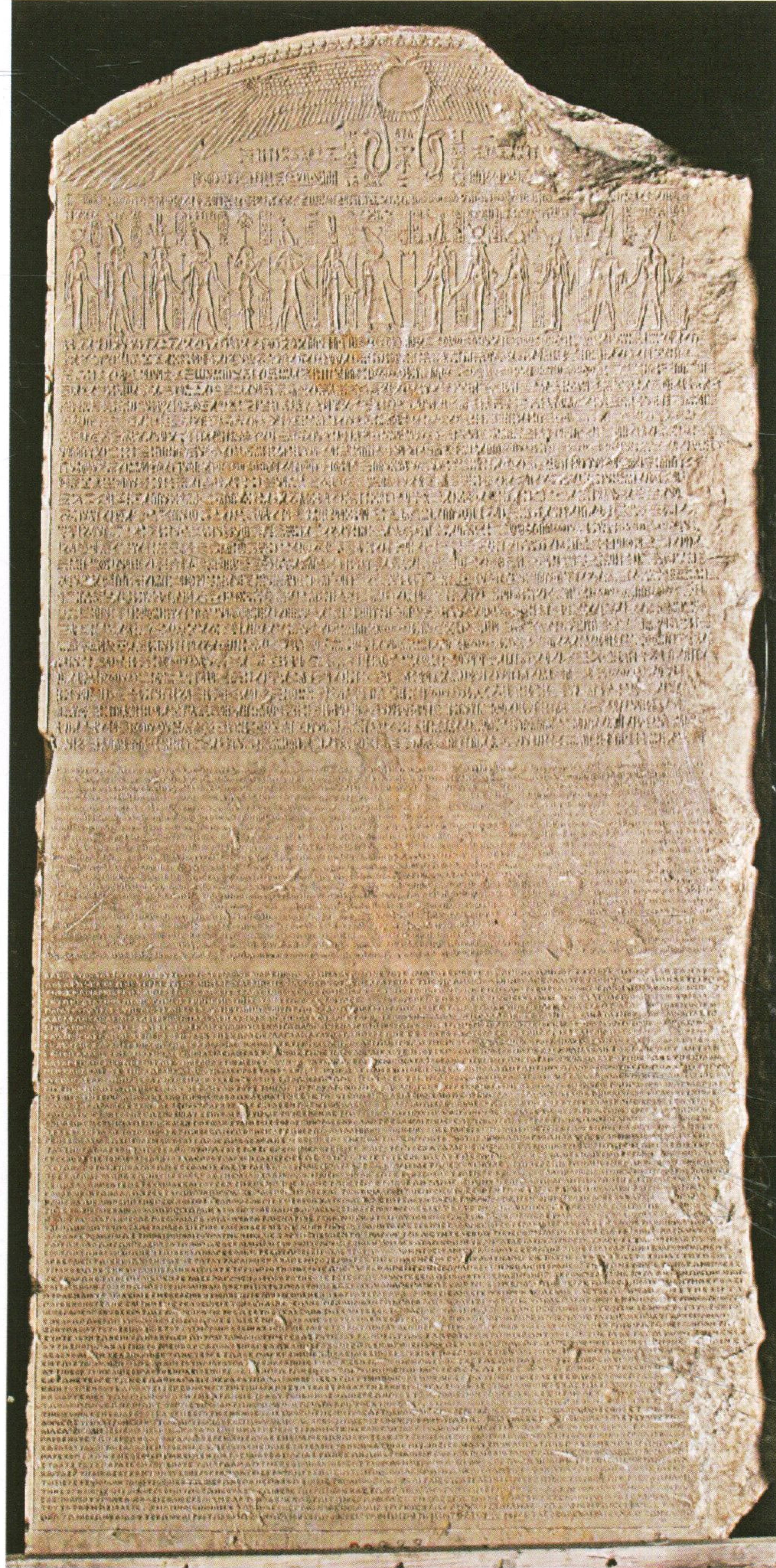
السبب الثاني: تأريخ القصيدتين الجنائزيتين على شاهدي قبر صاحبيهما، حيث:

1 - تؤرخ الأولى، يقينًا وفق ما أخبره الناشر Bernand، فيما بين 270-246 قبل الميلاد أي عهد بطلميوس الثاني فيلادلفوس. وهي غير معروفة مكان الكشف!!![57]

2 - أما الإبجراما الثانية فتؤرخ بمطلع القرن الثاني قبل الميلاد.[58]



(شكل 11) حجر رشيد، ويعتبر مثالاً للمراسيم الثنائية اللغة، الثلاثية الخط التي كان البطالمة يصدرونها.



(شكل 12) مرسوم كانوب، ويعتبر مثالاً للمراسيم الثنائية اللغة، الثلاثية الخط التي كان البطالمة يصدرونها.

أما السبب الثالث: فهو حضاري إذ تعكس هاتان القصيدتان، كأثرين ماديين مؤكدين (وبرغم عدم العثور على مقبرتي هذين الشخصين) على الأهمية والمكانة المجتمعية العالية لهما ومقدرتهما على الإنفاق على مثل تلك التذكارات الجنائزية. كما تبرز ثقافة أصحابهما، واستمرار الإيمان بالآلهة اليونانية مثل هاديس وأريس دون الإشارة إلى الإله الرسمي للمملكة البطلمية الإله سيرابيس، مما يعكس الاعتزاز القومي بتراث بلدهم الأصلي باليونان ومقدونيا.

وهنا لا يفوتنا أن نذكر بالخير والتقدير العالم الإيطالي الكبير برتشيا الذي نشر منذ مطلع القرن العشرين، مجموعة كبيرة من النقوش اليونانية واللاتينية من متحف الإسكندرية.[59]

كما لا يمكن أن ننسى فضل حجر رشيد؛ إذ إنه لولا الكتابة اليونانية عليه ما استطاع شامبليون، عام 1822م، أن يقرأ ويفك رموز الكتابة المصرية القديمة عليه، وكان ذلك فتحًا جديرًا تمامًا لعلم المصريات منذ ذاك التاريخ. (شكلا 11، 12).

كما لا يمكننا أن نتجاهل مجموعة النقوش الكهنوتية الهامة التي تم الكشف عنها في مدينة ثيادلفيا (Theadelphia) -بطن حريت الحالية بالفيوم- والتي نلاحظ عليها بعض المظاهر الهامة لتطور كتابة النقوش اليونانية في مصر، ومنها: (شكل 13)

1- قمة النقش تعكس إصدار الكهنوت المصري المنافق للسلطة البطلمية على ترك بعض الانطباع للاعتزاز بالقومية المصرية، حيث تم تصوير قرص الشمس المجنح محاطًا بالصل المقدس، ليحمي النقش كله.



(شكل 13) نقش يوناني كُتب بمناسبة صدور قرار ملكي إلى كهنوت الفيوم في ثيادلفيا- بطن حريت حاليًا.



(شكل 14) تفصيل للسطور الأولى من النقش.

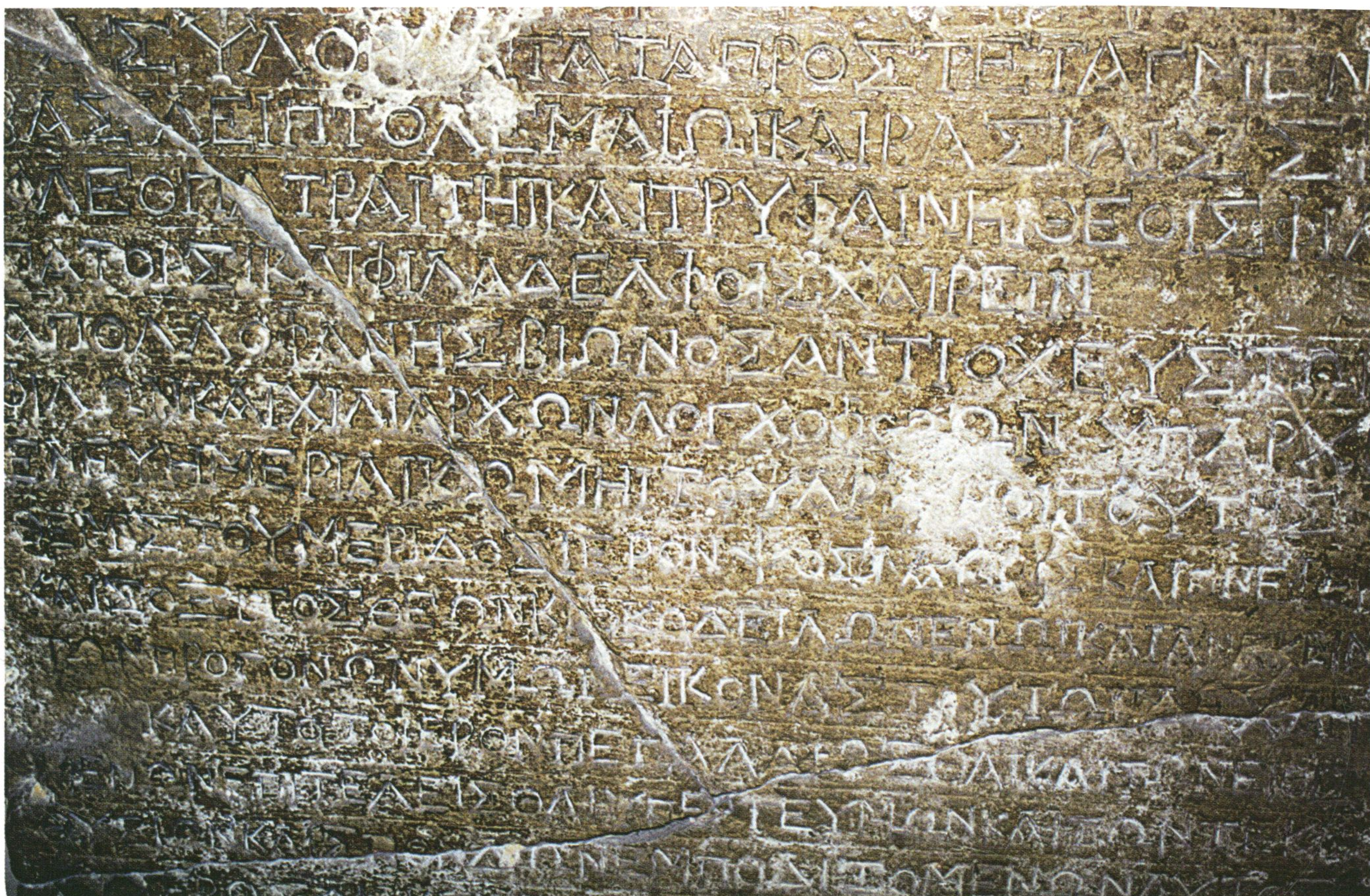
2 - النص كله – على سطح اللوحة التذكارية– نص يوناني فقط، ولصالح الملك بطلميوس(؟) الملكة كليوباترا(؟) وليس ثنائي اللغة أو ثلاثيًا كما هو الحال في حجر رشيد مثلاً منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد.

3- صغر حرف Ω دائمًا قياسًا بأحجام بقية الحروف إلى جانبها، وكذلك حرف الـO (قارن سطر 1، وسطر 4) (شكل 14).

4 - بينما نجد حرف Λ كبيرًا والقاطع الأوسط للحرف يمثل زاوية حادة إلى أعلى، وذلك في النقشين الاثنين من ثيادلفيا (شكل 15).



(شكل 15) الجزء الأعلى من لوحة تحمل قرارًا كهنوتيًا لصالح الملك بطلميوس (؟) والملكة كليوباترا (؟) تم العثور عليها في بطن حريت.



(شكل 16) تفصيل للسطور الـ14 الأولى من النقش السابق، حيث تبدو بوضوح الكلمة الأولى Asylo أي: حق اللجوء إلى المعبد.

5 - كذلك نلاحظ ضخامة حروف Γ, Σ, E, P

6 - كتابة وتسجيل كاتب النقش اسمه ووظيفته كآخر سطور فيه (شكل 16).

وكذلك لا يمكن أن ننسى كالاياس (Kallias) القائد الآثيني الأصل للقوة البطلمية في جزيرة أندروس (Andros) اليونانية وأهميته في توضيح:

1- ثورة أثينا ضد حروب وهيمنة ديمتريوس البليوركيتيسي (Poliorketès) عام 287 أو 286 قبل الميلاد.

2- تصويب مجلس البولي الآثيني على إقامة النقش ونصبه في السوق الأثيني الأجورا (Agora) تخليدًا لصاحبه ودوره عقب الأحداث، فيما بين 270-269 قبل الميلاد.

ويمثل ذلك النقش مشكلة تأريخية للظروف السياسية وصراعات الممالك الهيلينيستية حوالي عام 280 قبل الميلاد والأدوار الخفية لكل منها، والاعتماد على القوة البطلمية والعلاقات الدبلوماسية فيما بين أثينا والإسكندرية آنذاك. وحقًا علق ميللار Millar قائلاً:

'No document could reveal more clearly the tensions and contradictions between the ideal of the freedom of the city - state and the power of the conflicting monarchies.'[60]

ولنا، في الختام، كلمة مختصرة لهذه الدراسة السريعة لتاريخ وتطور الكتابة النقشية اليونانية في مصر، وهي القيام بالإشارة إلى أهم تلك النقوش وأشهرها لدى ناشريها الرواد نوجزها في نقاط معدودة، منها:

1 - لقد أعلن البطالمة وكذلك اليونانيون بمختلف طوائفهم وأعمالهم في مصر، عن وجودهم وهمومهم وأصالة تراثهم المقدوني، الذي حملوه معهم إلى مصر خلف الإسكندر المقدوني، وفي ظل الإدارة البطلمية من بعده، التي اعتمدت عليهم اعتمادًا كليًا في كل شيء: في الأسطول، والجيش، والتجارة، والزراعة وحتى في الفنون والآداب.

2 - على عكس النقوش، كشفت البرديات اليونانية عن مجتمع آخر لليونانيين في الريف المصري، كان أكثر تمصرًا وتأثرًا بالحضارة المصرية العريقة في الديانة، وبعض عادات وتقاليد المصريين التي عرفوها وسلكوا مُثلها تقربًا لأهل البلاد، وحفاظًا على مصالحهم معهم في الزراعة والتجارة.

3 - وكان مجتمع الإسكندرية، العاصمة المركزية في العصر البطلمي، وكذلك تحت حكم الرومان، خليطًا غريبًا من أجناس كثيرة، ويتمتع بامتيازات عديدة، على رأسها حق المواطنة (*politeuma*) والإعفاءات الضريبية. بينما بقية أنحاء مصر آنذاك يركع صاغرًا للأوامر الملكية (*prostágmata*) والنظام الإداري الصارم على كل نشاطاتها الزراعية والتجارية، ولذلك كانت الإسكندرية هي مجتمع الصفوة الأقلية (الأجانب) المتحكم في مصير وأرزاق الأغلبية الكاسحة الصامتة المصرية ... ومن ثَمَّ انفجر الغيظ الوطني في ثورات كثيرة نجحت في بعض الوقت، وفشلت في البعض الآخر تحت جبروت السلطة الحاكمة.[61]

الهوامش

1 A. Konstam, *Istorikos Atlas tés Archaias Elládas, Sabbalas,* (Athena, 2004), 46.

2 J. Boardman, *The Greeks Overseas*, (Hammondsworth, 1964), 60; Vittmann Gunther, 'Die familie der saitischen könige', *Orientalia* 44 (1975), 375-87.

3 قارن شكل 1، نقلاً عن Konstem, 17.

4 M. Elsaadani, *The Greek–Egyptian Relations 945–525 BC* (PhD. Diss.), (Athens, 1982), 51-60, 166-175.

5 بينما تم اكتشاف العديد من الآنية الفخارية اليونانية (والتي تؤرخ بالعصر الجيومتري اليوناني). في مدينة البيضا (بالساحل السوري)، ولم يتم العثور في مصر – من الفترة ذاتها أي من القرن الثامن قبل الميلاد – على أشياء يونانية كثيرة، على بعض قطع الفخار في مصر. انظر: S. C. E., IV. 2, (1984), 240-42); J.N. Coldstream, *Geometric Greece* (London, 1977), 93; G. Bunnens, *L'Expansion phénicienne en Méditerranée* (Bruxelles, 1979), 358–366.

6 Boardman, *The Greeks Overseas*, 131; وكذلك سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج12 (1957)، 398. وهذا خلافاً لما جاء عند هيرودوت، بأنهم جاءوا صدفة، في الكتاب الثاني، فقرة/ 152، 154، وقد وفي الفرعون المصري بكل ما وعده للمرتزقة اليونانيين، كما يشير هيرودوت بذلك صراحة.

7 A.D. Godley, Loeb Classical library: *Herodotus* II, (London, 1966), 154.

8 W.F. Petrie, 'The Egyptian bases of greek history', *The Journal of Hellenic Studies*, Vol. 11 (1890), 272.

9 Petrie, *The Journal of Hellenic Studies*, Vol. 11, 273.

10 مثلما فعل الفرعون نيخاو في حملته على سوريا وفلسطين عند كارشمش (Carchemish)، فيما بين عام 609-605 قبل الميلاد؛ وحملة أبسماتيك الثاني ضد النوبة في عام 593 قبل الميلاد، حيث عثر على نقوش بعض المرتزقة على الرجل اليسرى لأحد التماثيل الضخمة للملك رمسيس الثاني، في أبي سمبل. راجع: Woolley,

11 M.N. Tod, *A Selection of Greek Historical Inscriptions* I (Oxford, 1933), 6.

12 J.M. Cook, *The Greeks in Ionia and the East* (London, 1962), 66.

13 L.H. Jeffery, *The Local Scripts of Archaic Greece* (Oxford, 1961), 348. حيث إنه مؤرخ لتوقيعات بعض المرتزقة من جزيرة رودوس، مثل: تليفوس وكذلك أناكسينوروس Anaxenoros فيما بين عامين 589 - 594 قبل الميلاد.

14 R. Meiggs, D. Lewis, *Selection of Greek Historical Inscriptions* (Oxford, 1969), 12–13.

15 Godley, *Herodotus* II, 161

16 ونقصد بها لوحات الكرنك، وكذلك وآثار تانيس حيث قام بدراستها بالتفصيل كل من العالمين: Yoyotte & Sauneron في مقالهما الهام: 'La campagne nubienne de Psammetique II et sa signification historique', *BIFAO* 50 (1952), 152 ff.

17 Lloyd, *Herodotus Book* II, 22–23.

18 *Diodorus* I, 67-69.

19 Lloyd, *Herodotus Book* II, 129-131.

20 Godley, *Herodotus* I, (1966), 479. حتى ولو لم يكن هذا التقدير الرقمي للفظة اليونانية، يبدو –في الواقع– كبيرًا جدًا، ولكن يعكس المقدرة العسكرية العالية للمرتزقة الكاريين والأيونيين في الجيش المصري القديم.

21 Elsaadani, *The Greek–Egyptian Relations*, 34–36.

22 Elsaadani, *The Greek–Egyptian Relations*, 37.

23 G. Schmidt, *Samos VII: Kyprische Bildwerke aus dem Heraion von Samos* (Bonn, 1968), 113; W. Decker, 'La délégation des Eléens en Egypte sous la 26ème dynastie', *Chronique d'Egypte* XLIX, (1974), 34.

24 Lloyd, *Herodotus Book* II, 25–29; H. Prinz, 'Funde aus Naukratis', *Beiträge zur Archäologie und Wirtschafigeschichte des VII und VI Jahrhunderts v. Chr. Klio, Beiträge zur alten Geschichte* 7 (1908), 1–6.

25 C. Roebuck, 'The grain Trade between Greece and Egypt', *Classical Philology* XLV (1950), 236ff.

26 *Herodotus* II, 135; *Strabo* I, 33 'Oinon katágontos eis Naúkratin lésbion kat'emporian…'

27 W.F. Petrie, *Naukratis* I (London, 1886).

28 E.E.A. Gardner, *Naukratis* II (London, 1888), with an appendix by F. Griffith.

29 Gardner, *Naukratis*, 62–68, 72.

30 Gardner, *Naukratis*, 75.

31 وردت أشكال الحروف اليونانية المختلفة وفق ما جاء على النقوش الفخار اليونانية المكتشفة في معبد أبوللون في ناوكراتيس. انظر: Petrie, *Naukratis* I, Pl. XXXV. A.

32 كان لا يزال، عندئذ زميل كلية كايوس في كامبريدج في إنجلترا، كما تم التعريف به في كتاب بتري، في الفصل السابع، من كتابة، حيث علق جاردنر على النقوش المكتشفة.

33 Petrie, *Naukratis* I, 54.

34 Petrie, *Naukratis* I, 54.

35 Petrie, *Naukratis* I, 54.

36 Petrie, *Naukratis* I, 54.

37 Godley, *Herodotus* II, 178.

38 Godley, *Herodotus* II, 55.

39 Godley, *Herodotus* II, 56.

40 Godley, *Herodotus* II, 57.

41 Godley, *Herodotus* III, 4.

42 Petrie, *Naukratis* I, 55.

43 Petrie, *Naukratis* I, 56-57.

44 L. Robert, 'Epigraphie', *L'histoire et ses méthodes: .Encyclopèdie de la plèiade* (Paris, 1961), 453–97 وهناك ترجمة ألمانية لهذه المقالة العامة بقلم L.robert H. Englomann, *Die Epigraphik Der Klassischen Welt,*

(Bonn,1970) مع إضافات هامشية وتعليقات للمؤلف نفسه

45 M. Crawford, *Sources for Ancient History* (Cambridge, 1983), 80–81.

46 Crawford, *Sources for Ancient History*, 84.

47 Crawford, *Sources for Ancient History*, 84.

48 قام المحرر بإضافة هذه الصور.

49 Claudio Gallazi, Gisèle Hadji–Minaglou, *Tebtynis* I (Cairo, 2000).

50 J.L. Fournet, 'Les inscriptions grecques d'Abu Ku' et de la route Quft-Qusayr', *BIFAO* 95 (1995), 173 ff.

51 Fournet, 'Inscriptions grecques inédites de la rive ouest d'Assouan. Du nouveau sur le colosse chantant de Memnon?', *BIFAO* 96 (1996), 143 ff.

52 'Greek Ostraca from Arsinoite Nome', *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 71, (1988) 119–26.

53 G. Parassoglou, 'On Priests and Their Affairs in Roman Egypt', *Studia Papyrologica* 12 (1973), 7–21.

54 'It was wonderful our return in the darkness with Baskets of papyri! Papyrus finds at Tebtunis from the Bagnani Archives', *BASP* 35 (1998), 1931–36.

55 W.W. Tarn, *Hellenistic Civilization*, (London, 1953), P. Berlin 130 451.28 and B.G.U., VII:13.

56 E. Bernard, *Inscriptions Métriques de l'Egypte Gréco–Romaine : Recherches sur la poésie Epigrammatique des Grecs en Egypte*, (Paris, 1961).

57 Bernard, *Inscriptions Métriques de l'Egypte Gréco-Romaine*, 43.

58 Bernard, *Inscriptions Métriques de l'Egypte Gréco-Romaine*, 50.

59 E. Breccia, *Iscrizioni Greche e Latine, Catalogue général des antiquités égyptiennes du musée d'Alexandrie*, (Cairo, 1911).

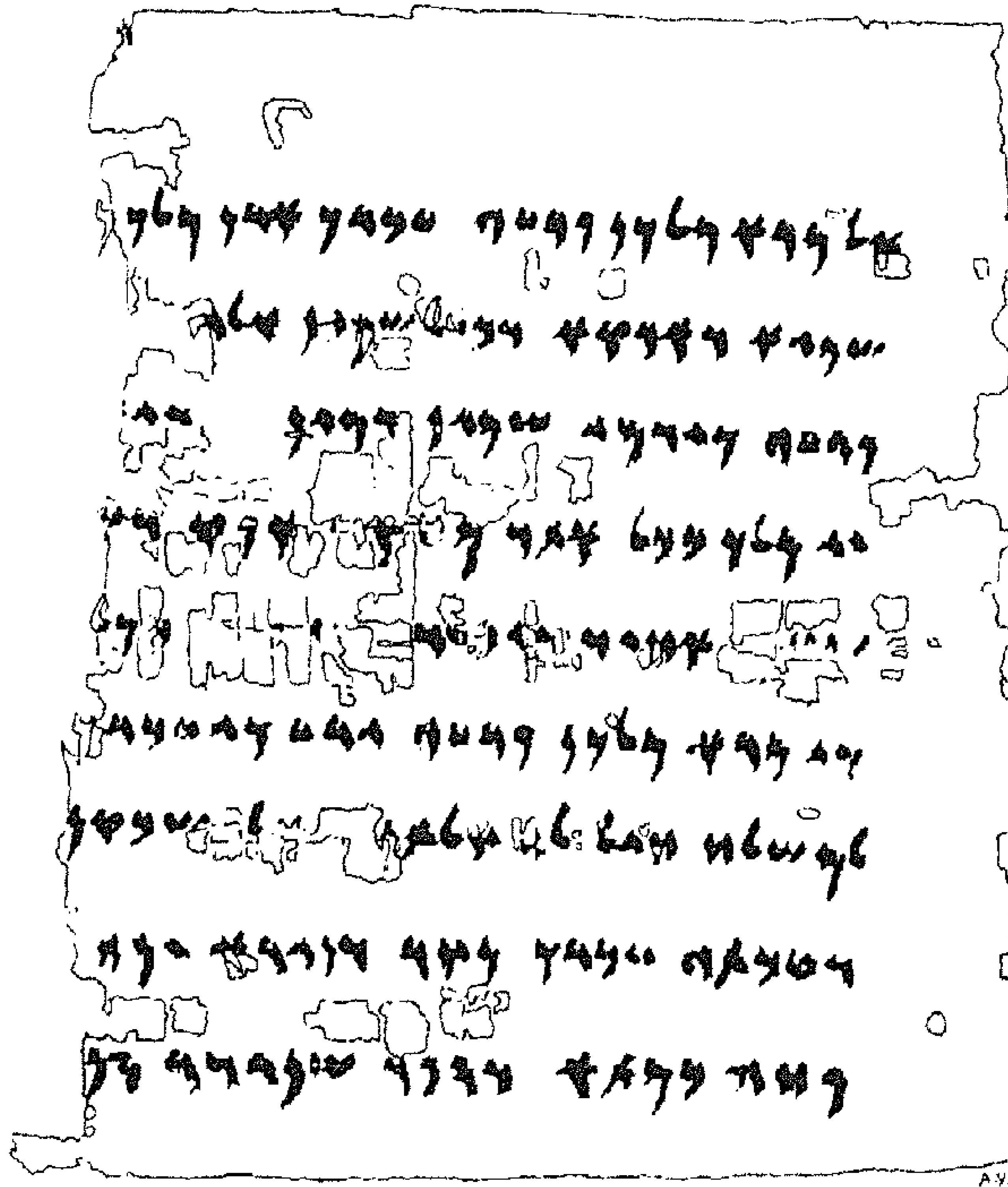
60 Crawford, *Sources for Ancient History*, 100.

61 محمود السعدني، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، 2000) 74-100.

النقوش الآرامية في مصر

مارجاريثا فولمر

تنتمي اللغة الآرامية إلى عائلة اللغات السامية، وتنتمي إلى جانب كل من الفينيقية، والعبرية إلى الفرع الشمالي الغربي. وظهرت النقوش الآرامية المبكرة في القرن العاشر قبل الميلاد في مناطق سوريا، شمال بلاد النهرين، شمال فلسطين، وجنوب تركيا، ويعرف هذا النمط من النقوش بين المتخصصين باسم اللغة الآرامية القديمة، وهي تمثل اللغة الأم لما يُسمَّى دويلات المدن الآرامية التي تأسست في هذه المناطق، والتي أصبحت معروفة من خلال العديد من النقوش. في القرن الثامن قبل الميلاد أصبحت الآرامية لغة الإدارة للإمبراطورية الآشورية الجديدة؛ فمن المسلَّم به أن الآشوريين قد ألموا باللغة الآرامية مع غزوهم للأراضي الآرامية، وأسرهم وترحيلهم لشعوبها إلى أراضيهم في الشرق. كانت اللغة الآرامية ذات جاذبية لأنها مقارنةً بالكتابة المسمارية المقطعية، نجد أنها كانت الأسهل في التعلم، والأسرع في الكتابة، وتشهد أسفار الملوك على استخدام الآرامية في مراسلات الآشوريين الخارجية.[1] استخدم الكلدانيون لاحقًا في عصر المملكة البابلية (-535 9/626 قبل الميلاد) اللغة الآرامية للأغراض الدبلوماسية. وقد عثر على أهم النصوص الآرامية التي تعود إلى تلك الفترة في مصر، في منطقة سقارة، والنص هو عبارة عن خطاب من الملك أدون من إكرون (تقع في فلسطين)، موجه إلى ملك مصر (600 قبل الميلاد)، وفي هذا الخطاب يطلب الملك أدون المساعدة العسكرية من ملك مصر في مواجهة الجيوش البابلية الغازية. (شكل1)



(شكل 1) خطاب من الملك إدون. © J. Naveh, *Early History of the Alphabet* (Jerusalem, 1982).

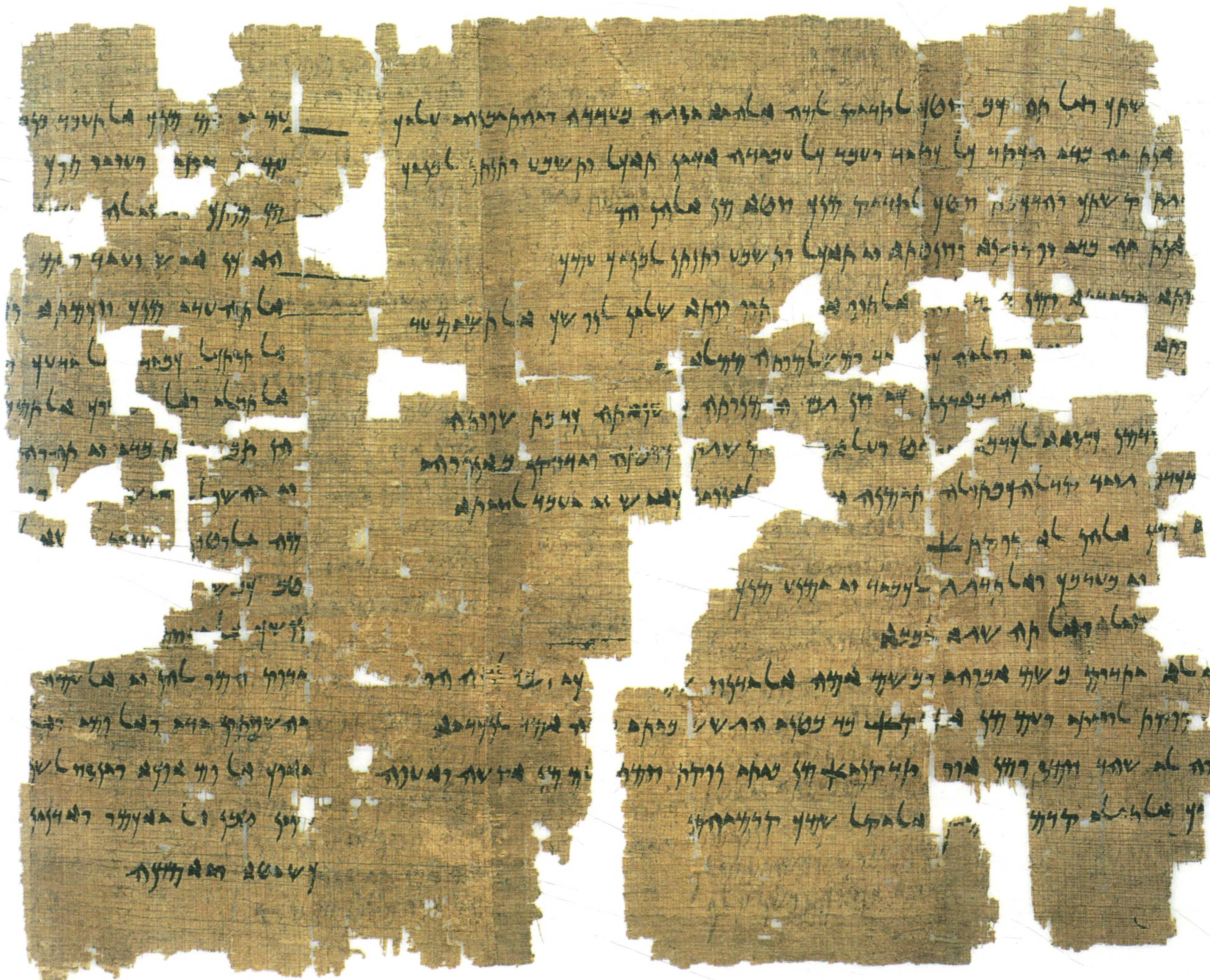
استولى الملوك الأخمينيون على المملكتين الآشورية، والبابلية، واستمر بذلك استخدام الآرامية كلغة مشتركة. أصبحت الآرامية خلال الفترة الأخمينية (538–333 قبل الميلاد) لغة الملكة الأخمينية الرسمية في كل أنواع المراسلات، لكن على الرغم من ذلك استمرت اللغات المحلية مستخدمة إلى جانب الآرامية. أُكتشفت النصوص الآرامية في معظم الولايات التي تخضع لسلطان هذه الإمبراطورية الضخمة، فلقد عثر عليها في مصر، وفارس، وآسيا الصغرى، وبابل، والجزيرة العربية، وفلسطين، وقد عثر على الغالبية العظمى من هذه النصوص في مصر، حيث إنها أصبحت جزءًا من الإمبراطورية الأخمينية بعد غزو قمبيز لها في 525 قبل الميلاد. ومن المسلم به أن سبب بقاء كميات كبيرة من الوثائق الآرامية في مصر يعود إلى حقيقة أن البردي يمكن الحفاظ عليه في مصر بفضل الظروف المناخية الملائمة.

عثر على أكثر الوثائق أهمية وضخامة (بالأخص الخطابات والوثائق الرسمية) في جزيرة إلفنتين، في محافظة أسوان، وفي هرموبوليس، وفي منف وسقارة، لكن تم العثور في أنحاء متفرقة من مصر على العديد من البرديات الأصغر حجمًا، بالإضافة إلى كثير من النقوش، بما فيها المخربشات. إذًا، فإن النصوص الآرامية الأخرى التي تعود إلى الفترة الأخمينية قد عُثر عليها في أنحاء متفرقة من مصر (من الدلتا في الشمال إلى النوبة في الجنوب)؛ حيث عُثر عليها في تل المسخوطة (شرق الدلتا)، والجيزة، والمعصرة، ودهشور، والربيات، والهيبة، وشيخ فضل، ووادي الشيخ شيخون، وأبيدوس، ووادي حمامات، ووادي أبو قوي، والأقصر، وجبل أبو غراب، ووادي شط الرجال، وأسوان، ووادي الهودي، ووادي توماس (النوبة السفلى). والعديد من هذه النقوش عبارة عن مخربشات مدون بجانبها اسم الشخص المسافر، أما تنوع أماكن العثور عليها فيبرهن بكل وضوح على انتشار استخدام الآرامية في تلك الفترة.

أنواع النصوص الآرامية

تنوعت النصوص الآرامية التي عُثر عليها في مصر، وتعتبر الخطابات (*TADA, TADD*[2]) والوثائق الرسمية (*TADB*) أكثرها انتشارًا، وقد عثر عليها في جزيرة إلفنتين، حيث عُثر على كل من الخطابات الرسمية المدونة (على البردي، والرَّق)، والخطابات الخاصة المدونة على (البردي، والشقافات). كذلك عُثر على خطابات رسمية في سقارة. وسوف نناقش لاحقًا هذه الخطابات بشيء من التفصيل. تم تحرير العديد من هذه الخطابات، والتي لم ينشر معظمها، من قبل كاتب واحد، والذي كان من المحتمل نشطًا في مرفأ مدينة أسوان حوالي 475 قبل الميلاد، ومن خلال هذه الخطابات المدونة على الشقافات تمكن كل من سكان أسوان، وسكان إلفنتين من التواصل. أما الخطابات الخاصة، والتي دونت في غالبيتها على البردي، والتي وجدت في جزيرة إلفنتين، فقد كانت مُرسلة من أماكن أخرى من مصر، حيث كان يرسلها سكان جزيرة إلفنتين المتغيبين إلى عائلاتهم، وأصدقائهم، وزملائهم في الجزيرة. كذلك عُثر في أنحاء أخرى متفرقة من مصر على خطابات خاصة، وتعتبر خطابات هرموبوليس هي الأكثر أهمية. (حول هذه الخطابات، انظر لاحقًا). أما الوثائق القانونية فقد تناولت معاملات تجارية مختلفة مثل بيع

المنازل، والقروض، والهبات، وعقود التأجير ... إلخ، بالإضافة إلى عقود الزواج والتبني. وبما أن هذه الصكوك حفظت لنا تاريخ واسم الشخص البائع، فإنها تعتبر ذات أهمية قصوى لمعرفتنا بتاريخ اللغة الآرامية وتطورها في مصر في القرن الخامس قبل الميلاد. كذلك تم العثور في جزيرة إلفنتين على نصوص تاريخية، مثل النسخة الآرامية من نقش بهستون التذكاري الخاص بالملك داريوس الأول 521-486 قبل الميلاد (*TADC* 2: النسخة الآرامية التي تعود إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد). كذلك هناك العديد من النصوص الأدبية التي عُثر عليها في جزيرة إلفنتين، وتعتبر أمثال وحكايات أحيقار، مستشار الملكين الآشوريين سنحاريب، وإسرحدون (القرنين الثامن، والسابع قبل الميلاد)، هي الأكثر أهمية (*TADC* 1.1)، فضلاً عن احتواء أرض مصر العديد من النصوص الآرامية المنقوشة على الأحجار. (شكل 2).



(شكل 2) أمثال أحيقار. Ägypticher Museum, Berlin .B. 13446 G. ©.



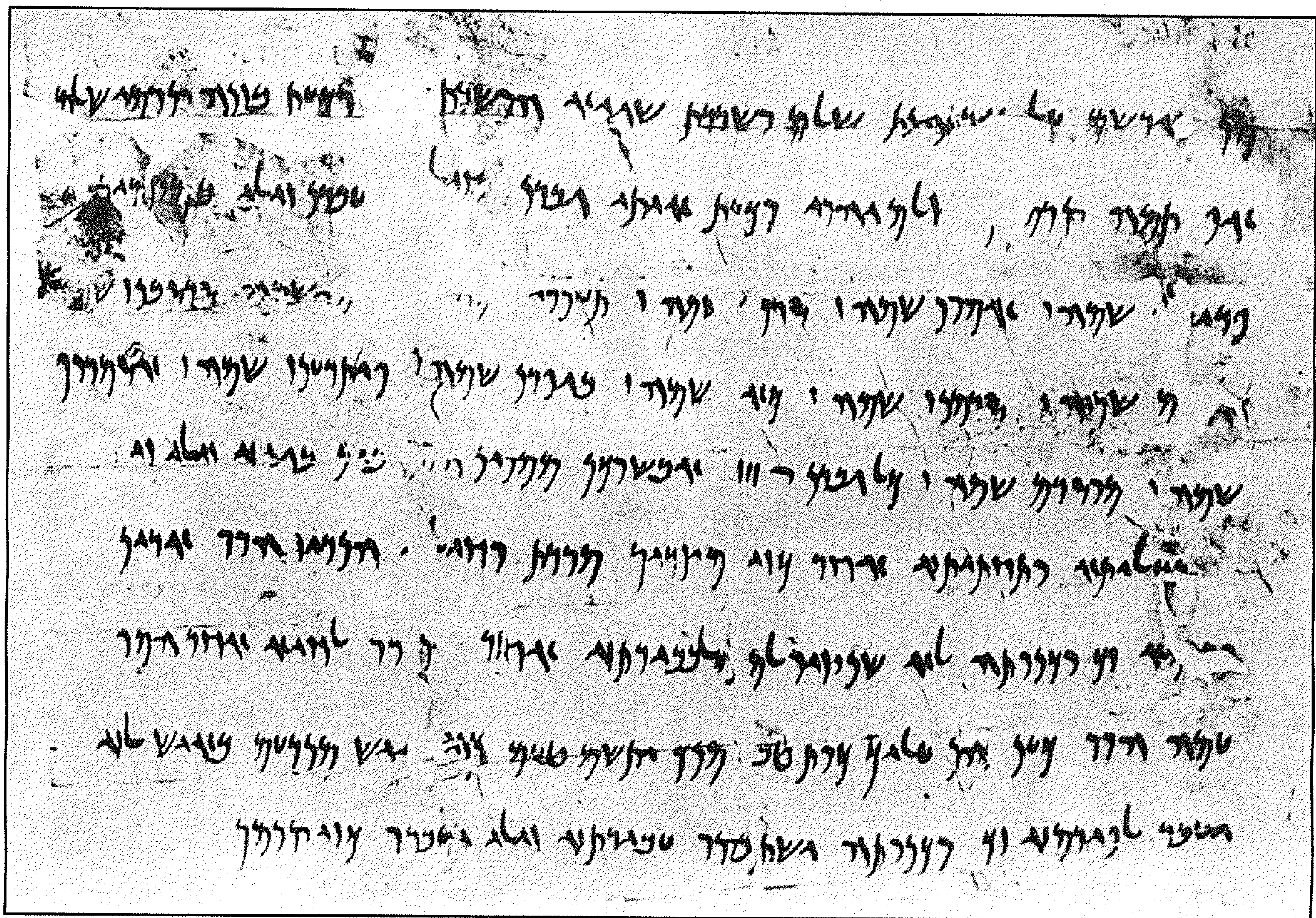
(شكل 3) بطاقات المومياوات 55228–55218 JE، © المتحف المصري.

ومما تجدر الإشارة إليه هو النصوص الإدارية (متضمنة قوائم الأسماء)، والتي دُونت على كل من البردي والشقافات، وعُثر على غالبية هذه النصوص في جزيرة إلفنتين. وأحد أكثر هذه الحسابات تشويقًا وإمتاعًا عبارة عن قائمة بالرسوم الجمركية والتي قد تم محوها (اللوح الممسوح)، وتعود إلى حوالي عام 475 قبل الميلاد (*TADC* 3.7)، وهذه القائمة تعدد الرسوم الجمركية التي دُفعت عند وصول السفن إلى ميناء مجهول الاسم في مصر، وكذلك تعدد الرسوم الجمركية المفروضة عند مغادرتها. واستخدمت هذه البردية المسيحة مرة أخرى لتدوين أمثال وقصص أحيقار (انظر أسفل)، أيضًا تعتبر حسابات القصر الملكي والتي عُثر عليها في شمال سقارة من النصوص المهمة (*TADB* 8). فضلاً عن ذلك، يوجد نقوش نذرية وتكريسية على سبيل المثال قارورة الإسالة الفضية، والتي عُثر عليها في تل المسخوطة في الدلتا، والتي قُدمت إلى المعبودة العربية هان-إلات. من ناحية أخرى، عُثر على اللوحات الجنزية في سقارة، وأماكن أخرى من مصر. كذلك اُكتشف في كل جزيرة إلفنتين، وسقارة الجنوبية على بطاقات مومياوات حجرية، خشبية، وفخارية، وقد دُون عليها اسم المتوفى، أيضًا احتوت التوابيت المُكتشفة في أسوان (والتي صنع معظمها من السيراميك)، وفي سقارة الجنوبية على اسم المتوفى مكتوب بالآرامية. كذلك، احتوت الجرار، والأختام على أسماء الأشخاص مدونة بالآرامية. (شكل 3) من ناحية أخرى، تم اكتشاف العديد من المخربشات الآرامية في أماكن عديدة من مصر، ومن أمثلة هذه النقوش تلك الخاصة بتبجيل وشكر أوزيريس، والتي دونها حجاج معبد سيتي الأول في أبيدوس.

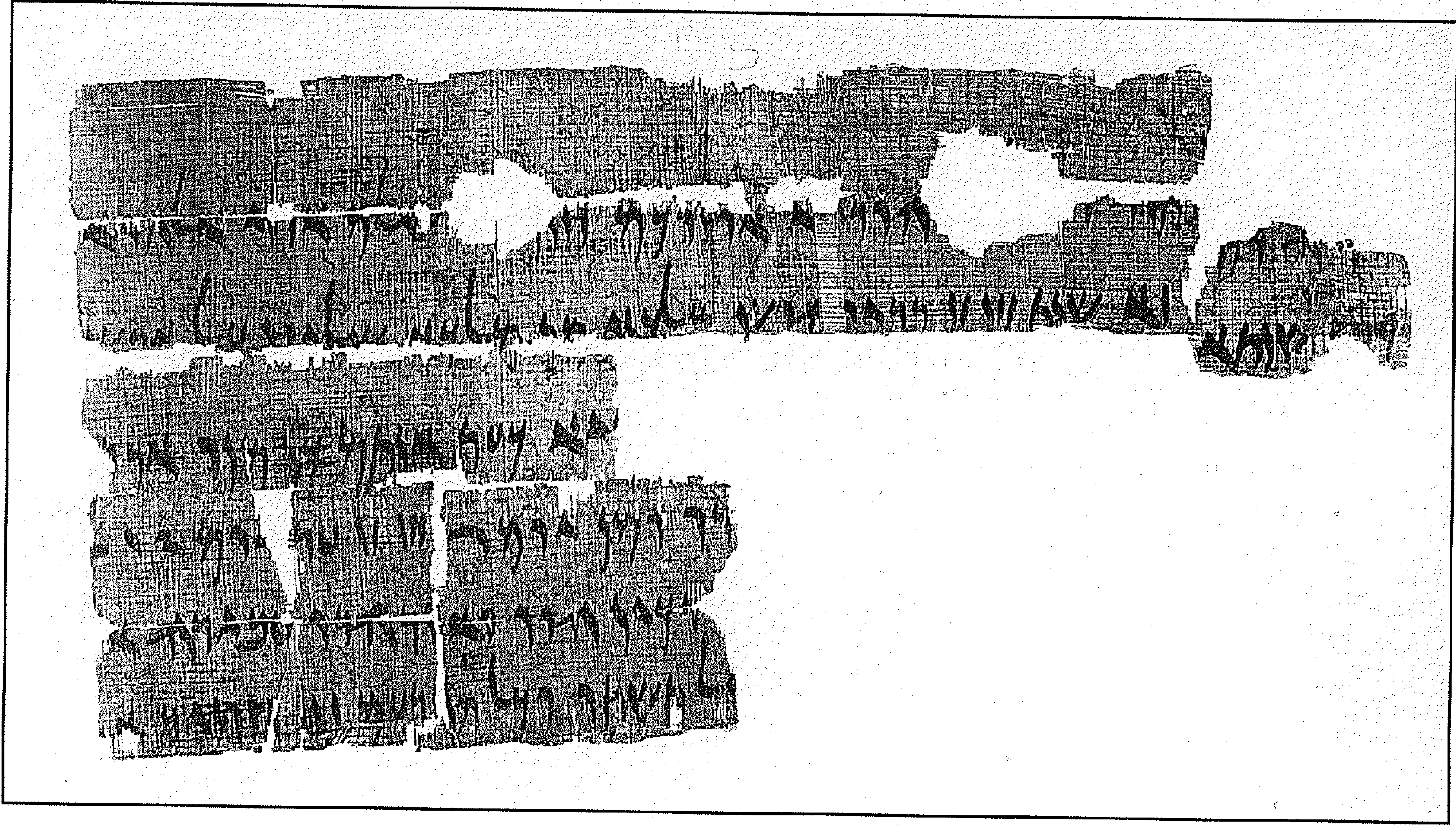
الهدف من استخدام اللغة الآرامية

إن تعدد أنواع النقوش الآرامية يشير إلى تنوع الأغراض التي استخدمت فيها خلال تلك الفترة، وتحمل العديد من

الوثائق الآرامية شواهد على حقيقة استخدام الآرامية كلغة كتابية من قبل السلطات الفارسية، وأبلغ وأوضح مثال على ذلك هي مراسلات أرشام، وهو الذي كان حاكمًا لمصر أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. وتضمنت هذه المراسلات ثلاثة عشر خطابًا (وبعض كسرات) مدونة على الرَّق (*TADA* 6.3-16)، وقد أرسل معظمها أرشام، فحين أرسل زملاؤه ثلاثة خطابات، ومن المحتمل أن تكون هذه الخطابات قد حُررت في إحدى عواصم الحكام الأخمينيين في منطقة الشرق (سوسة أو بابل)، وقد سُمي أرشام باسمه بصفة أحد طرفي المراسلة في اثنين من الخطابات المحررة على ورق البردي، والمحفوظة في دار القضاء في جزيرة إلفنتين (C 17، وC 26)، وُجِّه الخطاب الأول منهما C 17 إلى أرشام (*TADA* 6.1، والمُؤرَّخ بعام 427 قبل الميلاد)، وربما كان هذا الخطاب نسخة من الخطاب الأصلي الذي قد أرسل إلى مقر إقامته الرسمي في منف، حيث كانت نسخ الخطابات المهمة تُحفظ في دار القضاء بجزيرة إلفنتين (انظر لاحقًا). أما الخطاب الثاني (*TADA* 6.2 C 26، والمؤرخ بسنة 411 قبل الميلاد) فهو خاص بإصلاح إحدى السفن، وقد أُرسل إلى أرشام من منف.



(شكل 4) خطاب أرشام رقم 5. © Naveh, *Early History of the Alphabet*



(شكل 5) خطاب عيد الفصح. P. 13464، الوجه. Ägypticles Museum ©

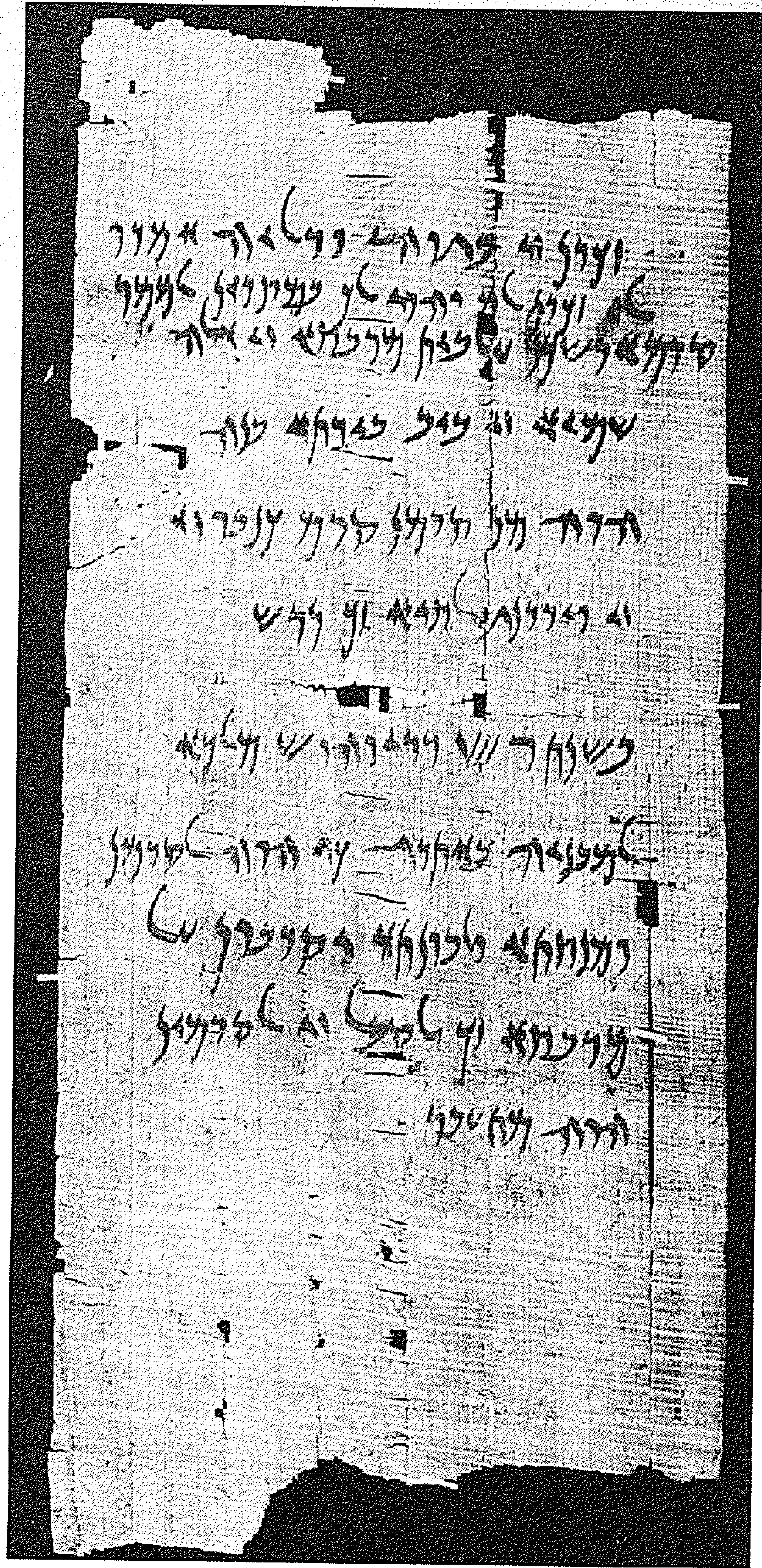
كذلك يفهم من مصادر أخرى أن أرشام كان خارج مصر لفترة من الوقت (انظر لاحقًا أرشيف يدانيه، وخاصة *TADA* 4.5, *TADA* 4.7)، حيث من المحتمل أن أرشام كان قد بعث بمراسلته إلى منف، مقر الحاكم. وبالرغم من العثور على تلك المراسلات في مكان ما في مصر، فإن الباحثين يفترضون أن هذه المراسلات قد حُفظت في منف. وتعاملت هذه المراسلات مع كيفية إدارة أرشام للإقطاعيات الملكية في مصر خلال فترة تغيبه، وهي تحتوي على العديد من الأوامر، والتوبيخات، والتحذيرات المسبقة، وهي بذلك تقدم دليلاً على تشابك نظام الإدارة الفارسي. وتتضح رسمية هذه المراسلات من خلال شكلها ونمطها، ويتميز هجاء الكلمات بدرجة إتقان عالية (متضمنًا اختلافات قليلة)، ويتضح من ذلك أيضًا أن الكتبة كانوا على درجة عالية من التدريب، أما لغة الخطابات فقد كانت غنية بالكلمات المستعارة من الفارسية. (شكل 4)

استخدمت كذلك السلطات المحلية اللغة الآرامية في مراسلتها، والدليل على ذلك مجموعة الخطابات العشرة التي عُثر عليها في جزيرة إلفنتين وتعرف باسم أرشيف يازنيا Yedaniah Archive. كان يازنيا بن إرميا Yedaniah Gemariah قائدًا للجالية العبرانية في جزيرة إلفنتين خلال الربع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد، أما لغة هذه الخطابات فكانت تحاكي تلك اللغة الرسمية التي كتبت بها مراسلات أرشام، لكنه على الرغم من ذلك، لم يصل هجاء الكلمات إلى نفس درجة الإتقان. وقد عالجت هذه الخطابات



(شكل 6) طلب خطاب توصية لإعادة بناء المعبد، المسودة الأولية P. 13495، الوجه، ©Ägypticbes Museum.

موضوعات عدة تهم الجالية العبرانية في جزيرة إلفنتين مثل الاحتفال بعيد الفصح عند اليهود (*TADA* 4.1). (شكل 5) لكن أكثر هذه الوثائق أهمية هي تلك التي تتعامل مع هدم المعبد اليهودي في جزيرة إلفنتين من قبل كهنة المعبود خنوم، الذين تعاونوا بشكلوثيق مع الحاكم الفارسي Vidranga، (والذي وصف في هذه المراسلات بأنه الساذج أو النذل) (*TADA* 4.7, *TADA* 4.8). ومن المحتمل أن أحد الأسباب الرئيسية للصراع بين المصريين، والجالية العبرانية هو قيام العبرانيين بالتضحية بالكباش في المعبد اليهودي، وهو ما كان غير مقبول عند كهنة خنوم باعتبار أن الكبش كان حيوانًا مقدسًا لديهم. تضمنت هذه الخطابات، والتي وُجهت إلى حكام فلسطين، طلبًا بالسماح بإعادة بناء معبد خنوم في جزيرة إلفنتين، وقد تمت الموافقة على هذا الطلب من قبل السلطات الرومانية في فلسطين. (شكلا 6،



(شكل 7) خطاب توصية لإعادة بناء المعبد P. 13497، الوجه، © Ägyptiches Museum

7) (TADA 4.9) جدير بالذكر أن هدم المعبد قد تم في أثناء فترة تغيب أرشام عن مصر. (انظر سابقًا: مراسلات أرشام).

يحتوي سفر عزرا على ست وثائق مكتوبة باللغة الآرامية (عزرا 4: 7-8: 28)، وتعتبر خمس من هذه الوثائق ذات صبغة رسمية (إما أن تكون مرسلة من أو موجهة إلى الملوك الفرس)، وهي تشبه إلى حد كبير الخطابات الرسمية المُكتشفة في جزيرة إلفنتين. ويعتقد كثير من العلماء والباحثين في هذه الأيام أن وثائق عزرا تعتبر وثائق أصلية من الفترة الأخمينية، ولو أنها في صورة منقحة.

استخدمت الآرامية في جزيرة إلفنتين في الأنماط الكتابية الأخرى؛ فبالإضافة إلى الأنماط السالفة الذكر، هناك الخطابات الرسمية، والخطابات الخاصة، والوثائق القانونية، والنصوص الأدبية، والنصوص التاريخية، والحسابات، وقوائم الأسماء، استخدمت كذلك في تدوين مجموعة متنوعة من النقوش.

تدل الوثائق الآرامية في جزيرة إلفنتين على وجود حامية عسكرية عبرانية تكونت خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ولا يتفق العلماء أو الباحثون حول الوقت المحدد لوصول العبرانيين إلى مصر. يفترض معظم العلماء أن ظهور الجالية العبراني، وبالأخص الحامية العسكرية الخاصة به في جزيرة إلفنتين يعود إلى ما بين أواخر القرن السابع أو أوائل القرن السادس قبل الميلاد. ومن الحقائق المسلم بها أن ملوك العصر المتأخر (خاصة ملوك الأسرة السادسة والعشرين 664-525 قبل الميلاد) قد استعانوا بالمرتزقة الأجانب، لكن ليس من المؤكد إذا ما كان العبرانيون ضمن هذه المرتزقة. وقد ادعى الباحث Mélèze Modrzejewski في مؤلفه (*The Jews of Egypt from Ramses II to Emperor Hadrian*)، والذي نشر في

فيلادلفيا عام 1996، مشاركة العبرانيين في حملة الملك أبسماتيك الثاني في النوبة (595-589 قبل الميلاد). كان مقر قيادة جيوش الملك أبسماتيك في جزيرة إلفنتين، وتعود أقدم الوثائق الموجودة في جزيرة إلفنتين إلى بواكير القرن الرابع قبل الميلاد، ومن غير 2مخصصة فقط للأغراض الكتابية. تعتبر خطابات هرموبوليس مثالاً واضحًا على التهجئة المنطوقة، وهي عبارة عن مجموعة من الخطابات الخاصة الممهورة، والتي يتضح أنها لم تصل أبدًا إلى مستقبليها. أما مرسلو هذه الخطابات فقد كانوا إما جنودًا أو تجارًا من مدينة منف، وكانت هذه الخطابات موجهة إلى أعضاء عائلاتهم في مدينة أسوان (والتي كانت تعرف قديمًا باسم سيين) (*TADA* 2.1-4)، وإلى مدينة قفط في الأقصر (*TADA* 2.5-7)، وتعكس هذه الخطابات أشكالاً وأنماطًا تدل بوضوح على الأصل السوري المحتمل لكتبتها، وهو الموطن الأصلي للآراميين. نستدل على وجود الجالية الآرامية في مدينة أسوان من خلال عبارة 'آرامي من مدينة سيين (أسوان)'، وهي عبارة ظهرت بشكل متكرر في الوثائق القانونية الآرامية من جزيرة إلفنتين. تكررت عبارة أخرى في سياق الوثائق القانونية الصادرة من جزيرة من إلفنتين، وهي 'عبراني من إلفنتين'. واستخدمت هذه الجملة في بادئ الأمر للإشارة إلى شخص ما ينتمي إلى الحامية العسكرية العبرانية المتواجدة في جزيرة إلفنتين، حيث تحدث العبرانيون في تلك الجزيرة اللغة الآرامية. ويؤكد ذلك الاتجاه هو وجود عدد (قليل) من أمثلة التهجئة المنطوقة في كل من الخطابات والوثائق القانونية. وتؤكد الأسماء الشخصية التي عُثر عليها في النقوش الجنائزية في جزيرة إلفنتين وفي أسوان على وجود جالية عبرانية في



(شكل 8) شاهد قبر لشخص يدعى يعقوب جبانة الإبراهيمية، الإسكندرية. يؤرخ بأواخر القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد.

جزيرة إلفنتين، وأخرى آرامية في مدينة أسوان. أما الأسماء الشخصية التي عُثر عليها في لانقوش الجنائزية في صقارة فتشير إلى وجود جالية آرامية أخرى في تلك المنطقة إبان الاحتلال الفارسي لمصر. ويتكرر نفس الحال مع الأسماء الشخصية للجالية العبرية في كل من الإسكندرية وإدفو إبان العصر البطلمي. (شكل 8)

من ناحية أخرى، احتوت النصوص الآرامية على العديد من الأسماء غير العبرانية، مثل العثور على أسماء مصرية، وآرامية، وفارسية، وبابلية، وعربية، ويونانية؛ وهو ما يعتبر

إشارة ودليلاً على وجود مجتمع متعدد الثقافات والحضارات؛ فحقيقة وجود بعض النصوص لا تحتوي مطلقًا على أسماء عبرانية أو آرامية يثبت عدم قصر استخدام الآرامية على الجاليات العبرانية أو الآرامية.

مواد الكتابة

دُونت النصوص الآرامية على مواد مختلفة: ورق البردي، والرَّق، وكسرات الفخار، والجرار، والطين، والأحجار، والخشب، والمعادن. يعتبر ورق البردي وكسرات الفخار أكثر المواد شيوعًا واستعمالاً لتحرير الخطابات. استخدم البردي لكل من المراسلات الخاصة والرسمية. فحين استخدمت كسرات الفخار لتسجيل الملاحظات القصيرة والرسائل الخاصة. في العموم، يمكن القول بأن البردي كان مستخدمًا للوثائق المطلوب حفظها للأجيال القادمة، وبذلك يمكن تفسير تدوين الوثائق القانونية، والنصوص التاريخية، والنصوص الأدبية على ورق البردي. استخدم الرَّق إلى جانب البردي وكسرات الفخار لتحرير الخطابات عليه، والمثال الوحيد على استخدامه هي خطابات أرشام الرسمية.

الآرامية في العصر الهيلينيستي

بعد دخول الإسكندر الأكبر مصر في عام 332 قبل الميلاد، تم تأسيس مدينة الإسكندرية في (عام 331 قبل الميلاد). وبدأت هلينة المجتمع المصري، وبدأ تدريجيًّا استبدال الآرامية باليونانية، وكذلك بدأ اليهود بالتوطن في العاصمة الجديدة. ويرجح بقاء بعض اليهود في مصر بعد أفول نجم عصر الأخمينيين. وقد وفدت إلى مصر إبان عصر خلفاء الإسكندر الأكبر موجة جديدة من هجرات اليهود، وقد استقرت في الإسكندرية وضواحيها. كان معظم اليهود الذين وفدوا إلى مصر في ذلك العصر عبارة عن جنود مرتزقة أحضرهم الملك بطلميوس الأول سوتير (305-282 قبل الميلاد). لم يقتصر وجود اليهود خلال القرن الثالث قبل الميلاد على مدينة الإسكندرية، فالوثائق تشير إلى أن الجنود اليهود قد تملكوا أراضي في مدينة الفيوم خلال القرن الثالث قبل الميلاد. تكيف اليهود بكل سهولة ويسر مع ثقافة وحضارة اليونانيين الغزاة، وبذلك انتعشت حياة الجالية اليهودية في مصر. وفي أثناء عهد الملك بطلميوس الثاني فيلادلفيوس (282-246 قبل الميلاد) ترجمت التوراة إلى اليونانية، وتوجد إشارة واضحة إلى هذا الحدث المهم في خطاب أريستياس الشهير. تأسست في القرن الثاني قبل الميلاد حامية عسكرية في منطقة 'أرض أونياس' بالقرب من ليونتوبوليس،[3] وقام اليهود ببناء معبد لهم في هذه المدينة (حوالي عام 165 قبل الميلاد). أصبح هذا المعبد يُعرف باسم معبد أونياس، سُمي على اسم الكاهن الرابع أونياس، والذي نُفي من فلسطين وهرب إلى مصر، وقد بُني هذا المعبد كبديل المعبد اليهودي الذي دُنس في فلسطين من قبل الملك السلوقي أنتيوخس الرابع إبيفانس في عام 168 قبل الميلاد.

تهلينت مصر تمامًا وبكل سهولة في القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبحت اليونانية هي اللغة الرسمية للكتابة وللتحدث. تنعكس هذه الهلينة من خلال استخدام اللغة في الكتابة. لكن الجالية اليهودية كانت لا تزال تستخدم الآرامية في أوائل العصر الهيلينستي، والدليل على ذلك

النقوش الآرامية التي عثر عليها في جبانة الإسكندرية، وهي قليلة العدد ومن الصعب معرفة إلى أي حد استمر استخدام الآرامية، حيث حلت اليونانية، بدءًا من القرن الثاني فصاعدًا محل الآرامية كلغة رسمية. من ناحية أخرى جاءت معظم النصوص الآرامية التي تعود إلى أواخر القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد من مدينة إدفو (الخطابات المحررة على الشقافات، شواهد القبور، الحسابات المدونة على الشقافات، قوائم الأسماء)، وجاءت كذلك من مدينة الإسكندرية (شواهد القبور). وتشير القرائن الاسمية في النقوش الجنزية إلى تواجد الجاليات اليهودية في تلك الفترة في كل من إدفو والإسكندرية.

الخط الآرامي

تبنى الآرام الأبجدية الفينيقية في كتاباتهم في فترة ما بين القرن الحادي عشر أو العاشر قبل الميلاد. وقد تشابهت الكتابة الآرامية إلى حد كبير في القرون الأولى من مولدها مع الكتابة الأصلية وهي الكتابة الفينيقية، وكذلك تشابهت مع الكتابة العبرية المبكرة، لكن في القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الكتابة الآرامية حتى أصبحت ذات سمات وخصائص مميزة لها. بداية من القرن الثامن فصاعدًا دُونت غالبية النصوص بما يعرف الخط المختزل. نتج هذا النمط من جراء استخدام القلم والحبر في الكتابة على ورق البردي. يعرف الخط الآرامي المختزل من خلال حروفه الأفقية أكثر منها الرأسية، والتي يعود سببها إلى طريقة مسك سن القلم فوق سطر الكتابة بزاوية منفرجة (وصلت إلى 80° في برديات جزيرة إلفنتين)،[4] ثم أصبح الخط الآرامي المختزل منتشرًا بعد ذلك. وُجد هذا النمط من الخط الآرامي المختزل خلال الفترة الأخمينية في مصر مثلما وجد في كل أنحاء الإمبراطورية الأخمينية. وقد استخدم كذلك الخط المختزل في ذلك الوقت لتدوين النقوش الحجرية. بالإضافة إلى ذلك، يوجد نمط خطي يعرف باسم النمط النقشي، والذي انقرض وجوده مع أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. استمر الخط الآرامي ذا نمط كتابي موحَّد خلال الفترات المتعاقبة: الأشورية، والبابلية، والفارسية، ويعود توحيد النمط إلى استخدام هذا الخط من قبل الإدارة المركزية، وكذلك عدم تطور الخطوط المحلية. بعد سقوط الدولة الأخمينية، عمدت السلطات في الفترة الهيلينية إلى استخدام اليونانية كلغة إدارية بدلاً من الآرامية، ولم تعد اللغة الآرامية أو الخط الآرامي مستخدمًا من قبل الإدارة المركزية في إمبراطوريات الشرق. على الرغم من ذلك، استمر استخدام اللغة الآرامية وخطها من قبل بعض الأقليات العرقية، والمجموعات الثقافية بعد أفول نجم الدولة الأخمينية. وتدريجيًّا، أصبح الخط الآرامي أكثر تنوعًا عن ذي قبل.[5]

الهوامش

1 II Kings 18: 17-37.

2 تم جمع، ونسخ، وتحرير، وترجمة النصوص الآرامية التي عُثر عليها في مصر بواسطة ب. بورتن، وأ. يارديني في مؤلف بعنوان *Textbook of Aramaic texts from Ancient Egypt* في أربعة أجزاء نشرت في القدس 1968-1999. وتم اختصار أسماء الأجزاء كالتالي: الجزء الأول (ويختص بالخطابات) *TADA*، الجزء الثاني (ويختص بالعقود) *TADB*، الجزء الثالث (ويختص بالمجموعات الأدبية، والقوائم الحسابية) *TADC*، أما الجزء الرابع *TADD* (ويختص بالشقافات والنقوش المختلفة)

3 Y.M. Modrzejewski, *The Jews of Egypt from Rameses II to Emperor Hadrian* (Philadelphia, 1995).

4 See G. van der Kooij in: J. Hoftijzer and G. van der Kooij, *Aramaic Texts from Deir `Alla* (Leiden, 1976).

5 حول تطور الكتابة الأرامية، انظر: J.Naveh, *Early History of the Alphabet* (Jerusalem, 1982).

النقوش والكتابات العبرية في مصر

ماتيو مارتن

بالرغم من الارتباط التاريخي بين الجالية العبرانيين وأرض مصر، إلا أن تاريخ الكتابات العبرية في مصر يتميز بندرة الوثائق العبرية المتبقية من أصل مصري، وهذا يرجع إلى حدٍّ كبير إلى حقيقة أن السواد الأعظم من تاريخ اليهود لم تكن العبرية فيه هي لغة التواصل الأساسية لدى الجالية العبرانية. فقد تبوأت في كثير من الأحيان هذه المكانة اللغة الآرامية، أو اللغة اليونانية، و/أو العربية. فمع مطلع العصور الوسطى ومن خلال وفرة الوثائق المكتشفة في جنيزة القاهرة أصبح لدينا فقط مجموعة ضخمة من الكتابات العبرية المصرية. وإلى جانب هذه المدونة المتميزة من الكتابات العبرية، يجب أن نشير في أحيان كثيرة، إلى مجموعة من النقوش والبرديات العبرية، وذلك من أجل تتبع تاريخ الكتابات العبرية في مصر.

تعتبر العبرية إحدى لغات المجموعة الكنعانية من اللغات السامية في شمال غرب آسيا، وتضم هذه المجموعة الفينيقية، والآرامية، ولغات أخرى. تعود أولى النقوش العبرية إلى القرن العاشر قبل الميلاد.[1] وقد دونت هذه النقوش باستخدام أبجدية ساكنة وثيقة الصلة بالأبجدية الخطية الفينيقية.[2]

إن قضية تاريخ الوجود اليهودي في مصر لا تزال محل بعض الجدل، ورغم ذلك فمن المحتمل أن الجالية العبرانية كانت لها وجود في مصر منذ العصور التوارتية –ربما منذ وقت مبكر– في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد؛[3] فوجود اليهود بمصر يوثق أثريًّا على الأقل، بالقرن السادس قبل الميلاد؛ فمجموعة برديات جزيرة إلفنتين تبرهن على تواجد جالية يهودية على جزيرة يب (إلفنتين) إبان الغزو الفارسي لمصر والذي قام به قمبيز في عام 525 قبل الميلاد.[4] كانت الجالية العبرانية في جزيرة إلفنتين مجموعة من المرتزقة حيث خدمت الإدارة الفارسية كجزء من الحامية العسكرية التي كانت موكلة بحماية حدود مصر الجنوبية ضد النوبيين. كان معبد الرب (يهوه) رب اليهود هو محور الحياة الدينية لتلك الجالية، وقد ظلت تلك الجالية قائمة حتى عام 399 قبل الميلاد على الأقل وهو آخر تاريخ ورد ذكره في سجل برديات إلفنتين.[5]

وبالرغم من أن الجالية الموجودة على جزيرة إلفنتين كانت يهودية، فإن لغة سجل البرديات هي الآرامية دون سواها، فلا يوجد أي استخدام للعبرية في هذه الوثائق سوى تدوين الأسماء الشخصية لأعضاء الجالية،[6] وهي حقيقة لا ينبغي أن

تثير دهشتنا؛ فقد جاءت الغالبية العظمى من النصوص المدونة على برديات إلفنتين في صورة وثائق قانونية، أو مراسلات بين قادة الحامية العسكرية اليهودية وبين موظفي الإدارة الفارسية، وقد كانت لغة الإدارة للإمبراطورية الأخمينية هي الآرامية. وفضلاً عن ذلك، فإن الآرامية سبق أن كانت مستخدمة كإحدى لغات الإدارة من قبل ملوك العصر الصاوي قبل الغزو الفارسي لمصر، وعلى هذا فإن شيوع استخدام الآرامية في برديات إلفنتين ليس أمرًا مفاجئًا.[7] بالإضافة إلى أن وجود مراسلات خاصة مدونة باللغة الآرامية في هذه البرديات يوحي بأن الآرامية لم تكن مخصصة فحسب للأغراض الرسمية، بل كانت لغة الاستخدام اليومي من قبل يهود مصر في تلك الفترة.[8] لكن هذه الحقيقة لا تستبعد فرضية معرفة اليهود في إلفنتين باللغة العبرية واستخدامهم لها، إذ يبدو من المؤكد تقريبًا أنهم كانوا يقرءون التوراة-حتمًا- بالعبرية، وإن لم يتركوا أي سجل مكتوب يدل على هذه المعرفة.

يعتبر العصر البطلمي، 332-30 قبل الميلاد، -من جوانب عدة- العصر الذهبي للجالية العبرانية في مصر، ففي خلال تلك الفترة، تمتع اليهود في مصر بازدهار ورخاء كبيرين، وظلت الجالية العبرانية تنمو باطراد لتصبح أكبر الجاليات اليهودية في حوض البحر المتوسط، وانخرط أعضاء الجالية العبرانية في الحياة العسكرية والمدنية، وتبوأ عدد منهم منزلة هامة في البلاط الملكي البطلمي.[9] وفي تلك الحقبة بدأت مرحلة غير مسبوقة من الإنتاج الأدبي اليهودي المصري. كانت أكثر إنجازات هذا الأدب اليهودي المزدهر إثارة للإعجاب هي ترجمة التوراة العبرية إلى اليونانية- فيما يسمى بالترجمة السبعينية للتوراة. لكن ظهرت إبداعات أخرى عديدة مثل: المكابيّون الثلاثة، خطاب أريستياس، يوسف وأسيناث، الكتاب الثالث لنبوءات سيبيلين، حكمة سليمان، كتابات أريستوبولوس، والكاتب التراجيدي حزقيال، وديمتريوس كاتب الحوليات، وأرتابانوس، ويمكن أن تطول قائمة المؤلفات أكثر من هذا، لكن النقطة الهامة الجديرة بالملاحظة هنا أن كل هذه الأعمال اليهودية المبدعة كانت مدونة باللغة اليونانية.

ويبدو أن نسبة كبيرة من أبناء الجالية العبرانية في مصر كانت تفتقر منذ وقت مبكر نسبيًّا إلى معرفة كيفية توظيف (تطويع) العبرية (في الأعمال الأدبية)، حيث توضح مقدمة ابن سيرا هذه الحقيقة بجلاء؛ إذ كان غياب الدراية بالعبرية بين قطاعات كبيرة من أبناء الطائفة اليهودية المصرية للغة العبرية قد جعل من ترجمة ابن سيرا لمؤلف جده إلى اليونانية أمرًا حتميًّا (ليقرأه) حفيده.

وبالرغم من أن الأدب اليهودي المصري المتبقي قد دُوِّن في مجمله باللغة اليونانية، فإن هناك إشارات على استمرار استخدام الآرامية كلغة منطوقة ومكتوبة. ومنذ أمد بعيد، ناقش توري Torrey كيفية أن الآرامية التي استخدمها اليهود إبان الاحتلال الفارسي لمصر، والتي تمثلت في وثائق إلفنتين، ظلت مستخدمة كلغة عامية في العصرين البطلمي والروماني من جانب بعض اليهود المصريين على الأقل.[10] وقد عثر على شواهد قبور آرامية في مدينة أبولونوبوليس ماجنا (إدفو) تعود إلى فترة الاحتلال الفارسي، أو ربما أبعد من ذلك.[11] وتسجل نقوش جبانة الإبراهيمية بالإسكندرية، والتي تعود إلى العصر البطلمي المبكر نقوشًا تأبينية بالآرامية والتي ربما كانت يهودية.[12] وقد أمكن مقابلة الخط المستخدم في واحد من هذه النقوش مع خط الوثائق الآرامية اليهودية من القرن الخامس قبل الميلاد.[13] ومن المحتمل أن متحدثي الآرامية من اليهود

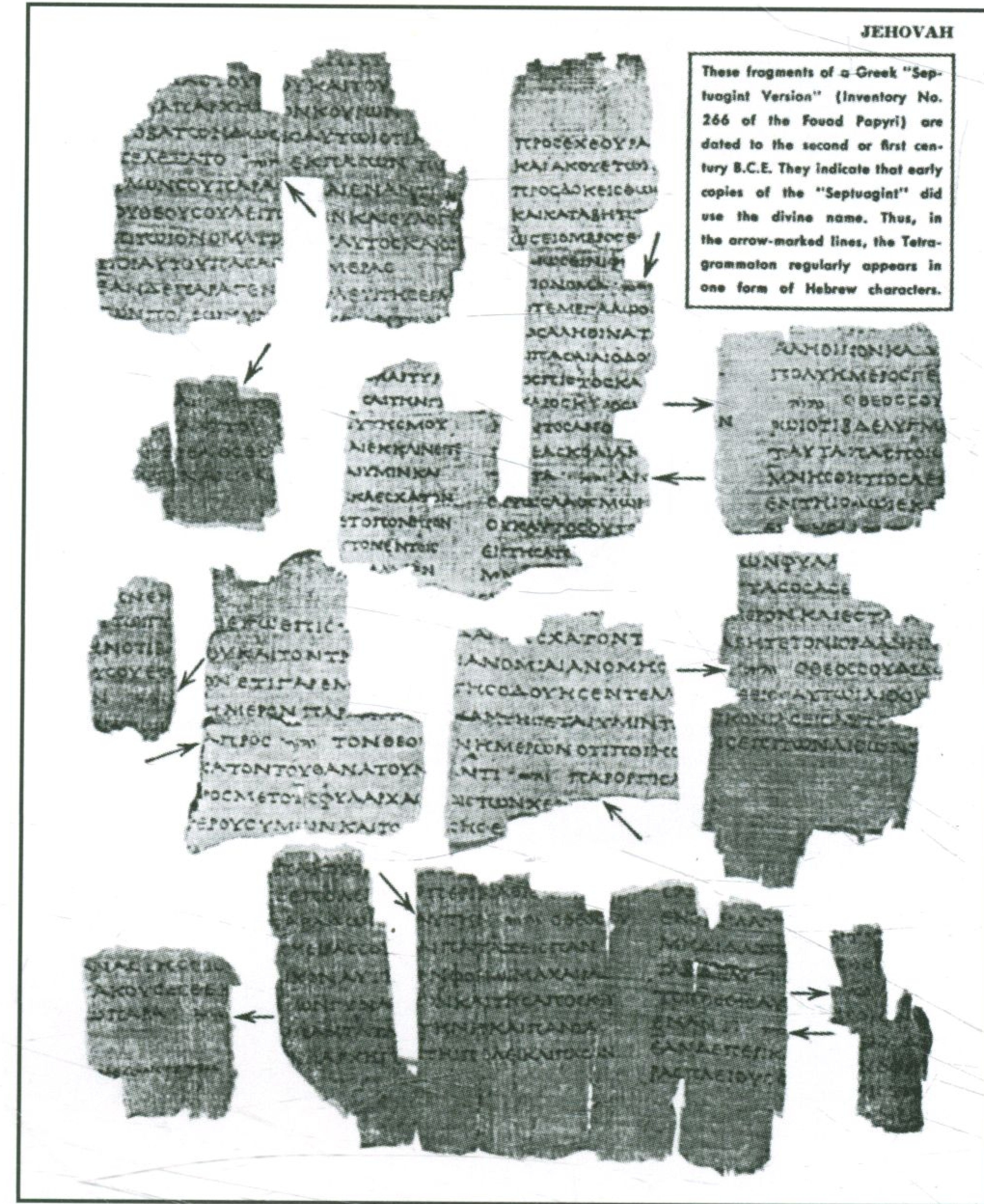
كانوا موجودين في مدينة الإسكندرية خلال عصر الفيلسوف اليهودي فيلون (منتصف القرن الأول قبل الميلاد–منتصف القرن الأول الميلادي)– ففي الفقرة 39 من مؤلف فيلون (ضد فلاكوس، وهو المؤلف الذي اتخذ موقفًا معاديًا من اليهود عام 38 قبل الميلاد)، والتي اندفع فيها إغريق الإسكندرية وهم يطلقون صيحات السخرية والاستهجان ضد الأمير اليهودي الزائر أجريبا الأول، (ومن بين تلك الصيحات كلمة 'marin' التي يبدو أنها آرامية الأصل)، وكادت الفقرة تفقد بعضًا من مغزاها لو لم يكن استخدام الآرامية معروفًا في الإسكندرية



(شكل 1) بردية ناش.

في ذلك الحين.

وربما يُفسر بقاء استخدام الآرامية كلغة عامية فيما بين أبناء الجالية العبرانية في مصر خلال العصرين البطلمي والروماني، على أنه استمرار لمكانتها ووضعها التي تبوأتها كلغة عامية فيما بين اليهود المصريين خلال العصر الفارسي المبكر. ولم تصل العبرية أبدًا إلى مرتبة اللغة العامية في مصر، حيث تشير خطابات 'أراد' Arad و'لاخيش' Lachish أنه في وقت نشأة الجالية العبرانية في إلفنتين، كانت العبرية ما تزال هي اللغة العامية لمملكة يهوذا، على الرغم من استخدام يهود جزيرة إلفنتين الآرامية.[14] ومن المحتمل أن معرفة الجالية العبرانية باللغة العبرية لم تكن منعدمة تمامًا، خاصة حينما كانت متعلقة بقراءة الكتاب المقدس، فلدينا مجموعة من الأدلة والبراهين المكتوبة على استخدام العبرية خلال العصر البطلمي. إن بردية 'ناش' (شكل 1) والتي تعود إلى العصر البطلمي المتأخر (القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد) تحتوي على الوصايا العشر، والصلوات المقدسة مدونة بالعبرية، وهو ما يرجح استمرار استخدام العبرية في النصوص الطقسية،[15] وهذه هي البيئة التي نرجحها بدقة لاحتواء استمرار العبرية كتابة وتحدثًا. وعلى الرغم من ذلك، فإن ذلك لا يسمح لنا بإصدار أية أحكام تخص استخدام العبرية في الحياة اليومية لليهود في مصر. إن احتواء نصوص سفري التكوين والتثنية على الاسم المقدس مكتوبًا بالحروف العبرية المربعة، والمُتَضَمنة في بردية فؤاد 266 (شكل 2) يوحي مرة أخرى بقدر من المعرفة والتبجيل للغة العبرية في النصوص المقدسة.[16] لكن حقيقة تواجد الأسماء المقدسة والمدونة بالعبرية في الترجمات اليونانية للكتاب المقدس توحي بأن تلك المعرفة باللغة العبرية المكتوبة، ربما، كانت في الحقيقية محدودة جدًا في انتشارها.



(شكل 2) بردية فؤاد 266.



(شكل3) لوحة جنائزية بالكتابة العبرية، © المتحف المصري.

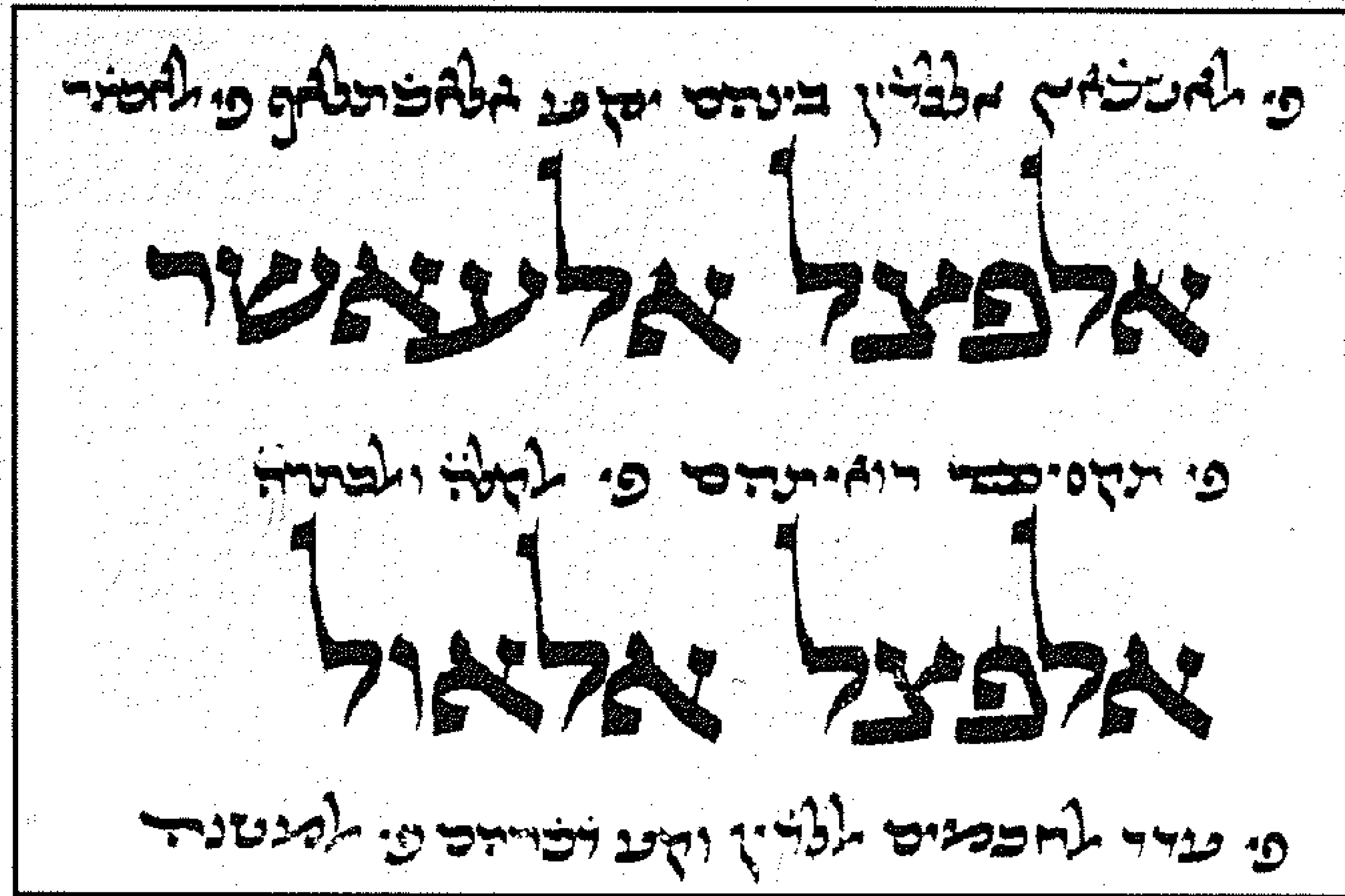
وبعيدًا عن بردية ناش، وكتابة الاسم المقدس بالعبرية في المخطوطات السبعينية، فإن أقدم الأمثلة الباقية للكتابة العبرية في مصر، يعود في الحقيقة إلى العصر الروماني؛ فلدينا قدر قليل من النقوش التي تشير إلى وجود العبرية كلغة مكتوبة بين أبناء الجالية العبرانية في مصر الرومانية، حيث تسجل لوحة منقوشة من مدينة المنيا، من المحتمل أن تكون ذات طابع جنائزي وتؤرخ بالقرن الثاني الميلادي أو بعده، تسجل الاسم العبري 'يهوذا' Judan[17] (شكل 3) فحين تسجل لوحة جنائزية من مدينة أنتينوبوليس، تؤرخ فيما بين القرنين الثاني والخامس الميلاديين، نقشًا جنائزيًا بالعبرية.[18] كما تحمل بطاقة مومياء محفوظة في المتحف المصري ومجهولة المصدر، ربما تعود إلى حوالي القرن الثاني الميلادي، نقشًا عبريًّا ورسومات تصويرية للشمعدان مينوروت. وتعتبر هذه اللافتة هي الوحيدة من نوعها والمعروفة في مصر، وهو ما يثير فضولنا بشأن وجود دليل لممارسة عملية التحنيط بين بعض اليهود المصريين.[19] ويشهد نقشان نذريان من مدينة الإسكندرية في العصر الروماني، دونت نصوصهما الإهدائية باللغة اليونانية، على بناء معبد يهودي-أو إعادة بناء- وتنتهي (أي النصوص) بالكلمة العبرية شالوم.[20] تعتبر هذه النقوش المستقلة ذات أهمية كبيرة حيث إنها توحي بأن العبرية استمرت تتمتع بمكانة عالية بين بعض من قطاعات الجالية العبرانية في الإسكندرية خلال الفترة الرومانية، على الرغم من أن المعرفة العملية بالعبرية كانت ربما فقيرة ومحدودة فقط في الصيغ التعبيرية العبرية مثل تلك التي عثر عليها في هذه النقوش. هذا الموقف قد تكرر في مرحلة ما في فترة شتات اليهود أثناء العصر الروماني. على سبيل المثال، فإن النقوش العبرية اليونانية في المقابر الرومانية والتي تعود في الأساس إلى القرن الثالث الميلادي، تدل وتبرهن على



(شكل 4) نقش جنائزي مدوَّن باللغة العبرية، الإسكندرية.

استخدام مماثل ومشابه للتعبيرات العبرية المقولبة في النقوش اليونانية،[21] وهذا ما يتفق أيضًا مع الانطباع المُوحِىَ من خلال كتابة الاسم المقدس بالحروف العبرية في الترجمات اليونانية للكتاب المقدس والمذكور بالأعلى- فالمقدرة على تدوين نصوص عبرية مطولة ظهر ضعيفًا، لكنه على الرغم من ذلك، كان لدى اللغة العبرية مخزون ثقافي يكفي أهلها من استخدام صيغ تعبيرية مقولبة حديثة (شكل 4)

لاحظ فيكتور شخطر Victor Tcherikover ذات مرة، أنه في أعقاب مذبحة الجالية العبرانية إبان العصر الروماني والمعروفة باسم ثورة الشتات عامي 115–117 ميلاديًا، قد فني أبناء الشعب اليهودي المتحدثين باليونانية، والذين قد



אלפצל אלעאשר

אלפצל אלאול

(شكل 5) مخطوطة عبرية نسخت في مصر عام 1223 ميلاديًا.

أنتجوا هذا الكم الغني من الأدب العبراني اليوناني في العصر البطلمي وبواكير العصر الروماني. ومع معاودة ظهور الجالية العبرانية في الوثائق المصرية في القرن الرابع الميلادي، كان العبرية قد حلت محل اليونانية، حيث تم تسجيل توجه إيجابي تجاه الأراضي المقدسة.[22] وتعتمد هذه الملحوظة على قدر ضئيل من البرديات تحتوي على اللغة العبرية عرفت منذ القرن الرابع الميلادي وما بعده، حتى دخول الإسلام مصر.[23] وللمرة الأولى فقط، في فترة العصور الوسطى، بعد تأسيس الحكم الإسلامي نجد مدونة مصرية كبيرة وضخمة لوثائق مدونة بالعبرية. (شكل 5)

من المحتمل أن أحد أهم النصوص المدونة بالعبرية والتي ظهرت إلى النور في العصر الحديث، ليس فقط مصر، ولكن في حوض البحر المتوسط بأكمله، هي تلك المجموعة من الوثائق المكتشفة في معبد بن عزرا في مدينة الفسطاط، في القاهرة القديمة، والمعروفة باسم جنيزة القاهرة.[24] (شكل 6)

جاءت كلمة 'جنيزة' بمعان مترادفة، مثل: جمع، وكنز، ودفن، وأخفى، وستر، وخزن. فيقال دفن تحت التراب وقبر في



(شكل 6) معبد بن عزرا، القاهرة.

مقبرة، والأصل الثلاثي للكلمة 'جنز' موجود في معظم اللغات السامية بنفس المعنى، كما وردت كلمة جنازة بفتح الجيم وكسرها في العربية بمعنى 'الإنسان الميت، والشيء الذي ثقل على القوم فاغتمُّوا به'، وأخيرًا استقر لفظ الجنيزة حول مفهومه، وهو مكان حفظ الأوراق والكتب الدينية البالية التي لم تعد صالحة للاستعمال والتي لا يجوز إبادتها لقدسيتها بسبب ورود اسم الله تعالى في ثناياها، ولكتابتها بالحروف العبرية لغة التوراة المقدسة، كما تشمل إلى جانب الأوراق، والكتب، والقصاصات البالية بعض الأدوات الدينية مثل: صناديق التوراة، وأدوات الصلاة، وقطع الستائر التي كانت تعلق في المعابد، وأدوات التي تتعلق بالطقوس الدينية التي خرجت عن الاستعمال.

تطلق عبارة جنيزة القاهرة على جنيزة المعبد اليهودي بمصر القديمة، معبد أبراهام بن عزرا، وأيضا جنيزة حوش موصيري بالمقابر اليهودية بالبساتين التي تقع بين مدينة القاهرة وضاحية المعادي، أما جنيزة المعبد اليهودي فقد اكتشفها الرحالة الأجانب المهتمون بالمخطوطات اعتبارًا من النصف الثاني من القرن الثامن عشر منذ أُلقي الضوء على أهميتها الرحالة اليهودي شمعون دي جلدن ثم يعقوب سابير وألكان ناتان أدلر، غير أن الذي حظي بلقب مكتشف جنيزة القاهرة هو البروفسور شخطر سنة 1897/1896، حين كان يعمل أستاذًا للأدب الرباني التلمودي في جامعة كامبردج في ذلك الوقت، وقد شد انتباهه على جنيزة القاهرة حين حصل على جزء من مخطوط (الحكمة) لابن سيرا الذي كتبه سنة 200 قبل الميلاد وهو جزء من 'الأبوكريفا'. فقد حصل عليه من سيدتين اسكتلنديتين فلما علم أن مصدر هذا المخطوط هو جنيزة القاهرة الموجود بمعبد بن عزرا بمصر القديمة بذل مجهودًا كبيرًا حتى حضر إلى مصر يحمل خطابي توصية إلى المسئولين في الطائفة اليهودية المصرية وإلى المندوب السامي البريطاني بتسهيل مهمته في الحصول على أوراق ومحتويات جنيزة القاهرة، وقد تمكن من نقل كميات كبيرة من مواد الجنيزة إلى جامعة كامبردج وهي المعروفة باسم مجموعة 'شخطر-تايلور' حيث ساهم البروفيسور تايلور الذي كان زميلاً له في هذا العمل الضخم والإنفاق عليه.

أما ما بقي من مواد الجنيزة بالمعبد، فقد تعرض للنهب بواسطة تجار الآثار حيث لم يعد الآن بحجرة الجنيزة

الموجودة بشرفةالنساء بالطابق الثاني بالمعبد ما يستحق الذكر من مواد الجنيزة، غير أن هناك احتمالاً في وجود كميات مدفونة حول المعبد من تلك التي كانت محفوظة داخل حجرة الجنيزة حيث تم دفنها حول المعبد أثناء إعادة بنائه سنة 1892م.

أهمية أوراق الجنيزة

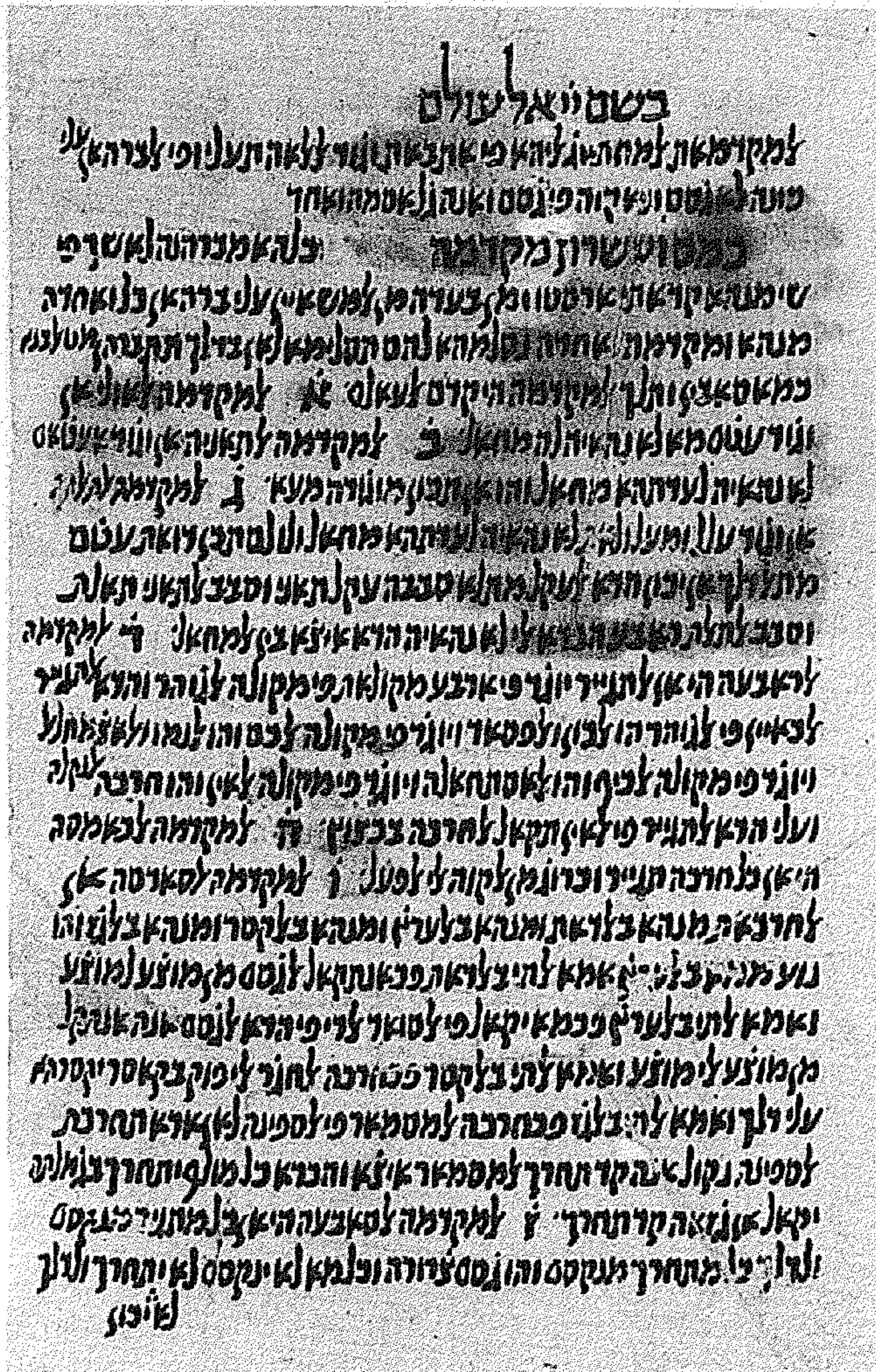
تتمثل أهمية أوراق الجنيزة في أنها تعد مرآة صادقة لعصرها فضلاً عن أنها أفادت في استكمال الأحداث الخارجية التي لم يعرضها التاريخ كاملة، فمثلاً عثر بين أوراق الجنيزة القاهرية على قصيدة تمجد النصر الفاطمي على الدولة السلجوقية التي حاولت غزو مصر سنه 1077م، وقد أفادت هذه القصيدة في استكمال ما لم تذكره المراجع عن هذه المعركة ونستطيع أن نقول وثائق الجنيزة غطت فتره طويلة وتناولت الحياة اليهودية خاصة في مصر في جميع مجالاتها الاجتماعية، والاقتصادية، الدينية، الفكرية، والأدبية، فهي عبارة عن سجلات واقعية للتاريخ اليهودي خاصة والتاريخ الإسلامي في المنطقة العربية بوجه عام خلال القرون الوسطى وحتى اليوم لذلك فإنه قلما نجد كتابًا أو مقالاً له علاقة بالحياة اليهودية منذ القرون الوسطى لا يعتمد أساسًا على وثائق الجنيزة القاهرية.

كما تجب الإشارة إلى أن الجزء الأكبر من موضوعات الجنيزة تناول موضوعات دينية متنوعة.

خصائص جنيزة القاهرة

تمتاز جنيزة القاهرة عن غيرها بمزايا منها:

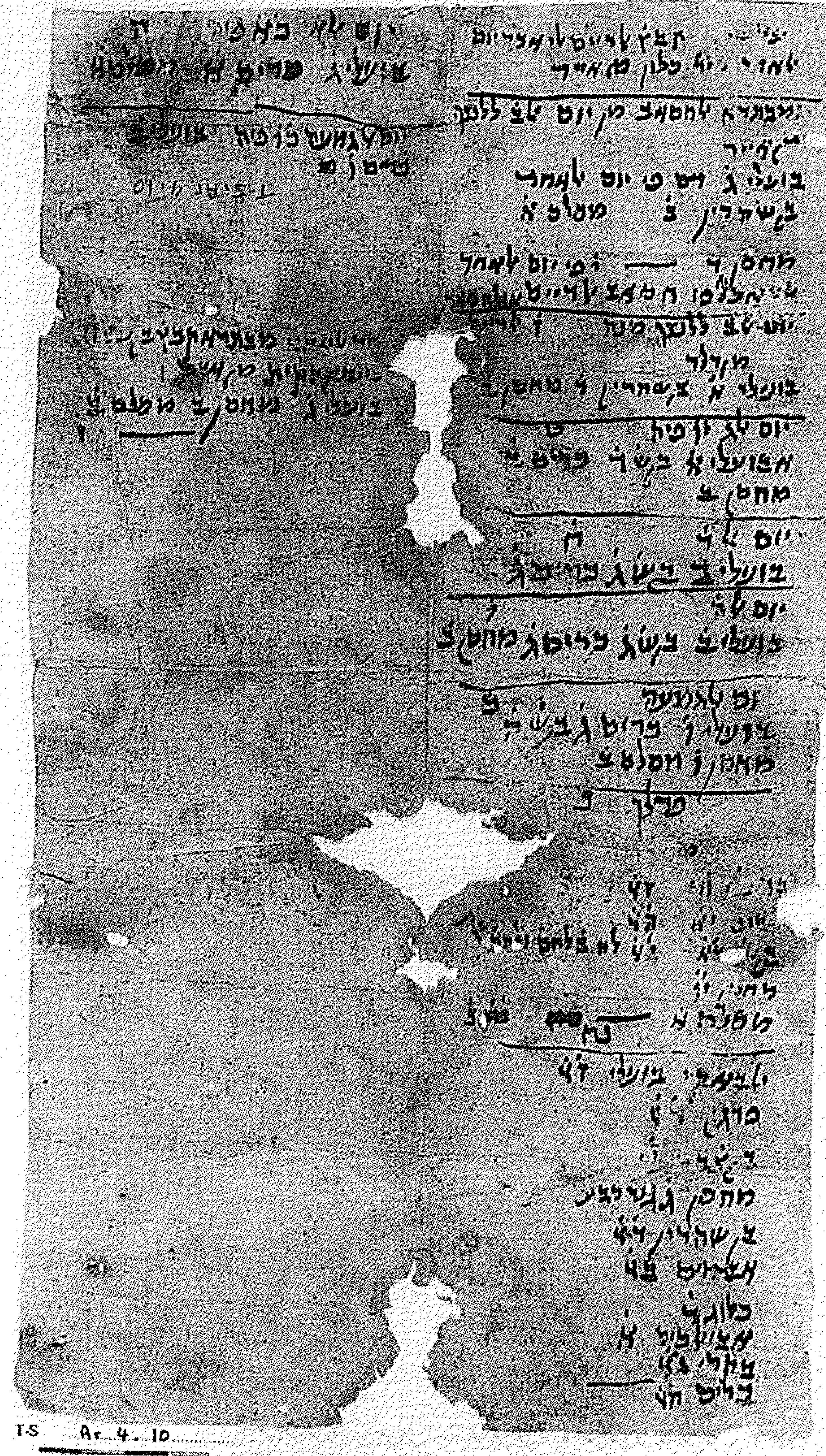
1 - احتفظت بمادتها المدفونة أو المحفوظة لفترات طويلة بحالة جيدة وساعد ذلك جفاف المناخ وطبيعة



(شكل 7) T–S Ar.12.26، دليل الحائر لمؤلفه موسى بن ميمون. © Colin F. Baker, Meiri Polliack, *Arabic and Judeo-Arabic Manuscripts in the Cambridge Genizah collections* (Cambridge, 2001), لوحة 9.

التربة فلم تتأثر كثيرًا بسبب الرطوبة والعوامل الطبيعية لذلك ظلت فترات بلغت أكثر من ألف عام واستخرجت بحالة جيدة نسبيًا.

2 - احتوت مادة الجنيزة على فترات زمنية طويلة، وظل التخزين والحفظ مستمرًا على فترات متوالية لم تنقطع نظرًا للوجود اليهودي المستمر في مصر وحتى



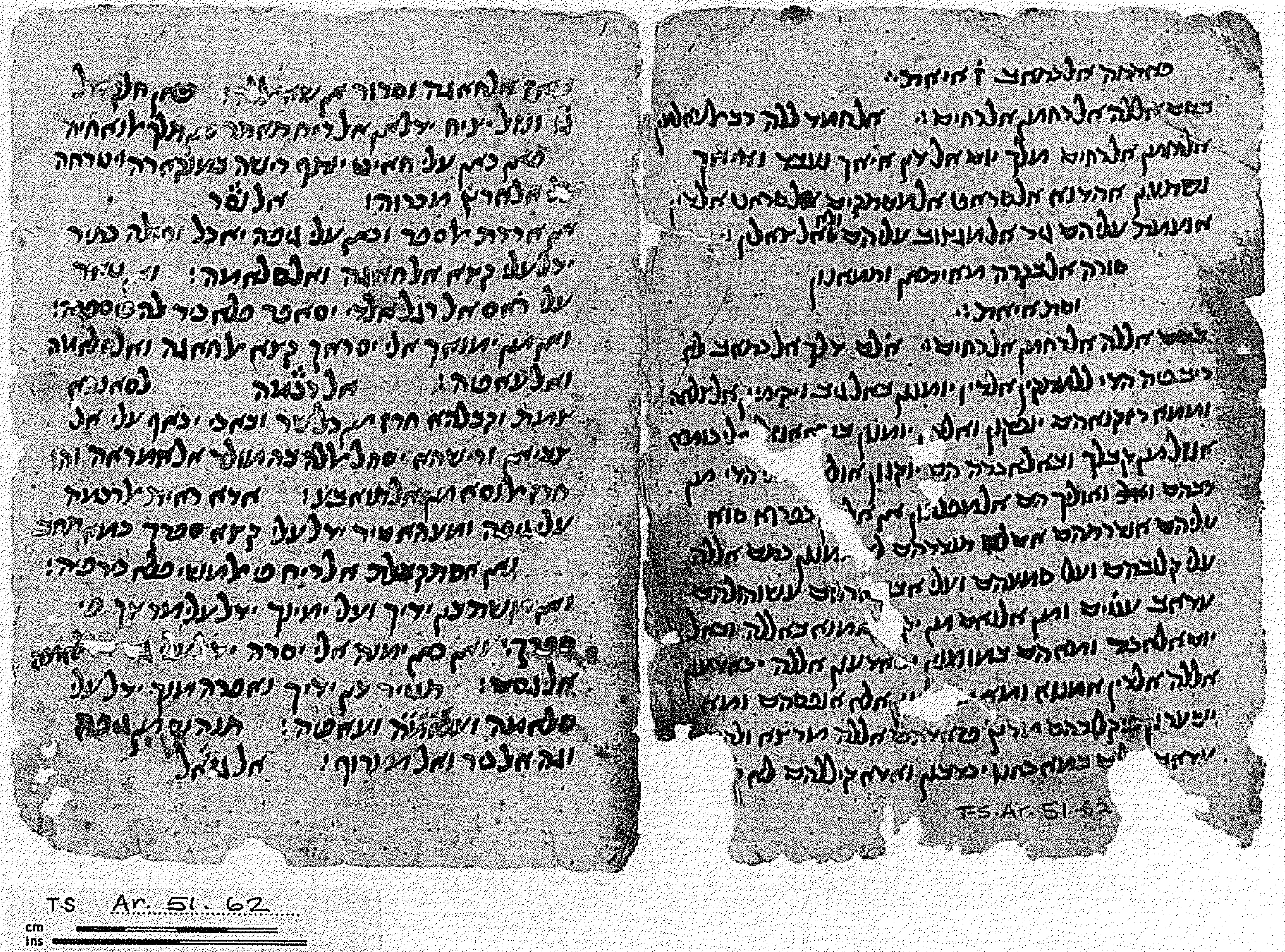
(شكل 8) T–S Ar.4.10، الظهر، كشف حساب باللغة العربية مدوّن بالأحرف العبرية.
© Baker, Polliack, *Arabic and Judeo-Arabic Manuscripts in the Cambridge Genizah collections,* لوحة 5.

هذه الأيام، وكانت هناك طقوس تصاحب عملية دفن مواد الجنيزة تقوم بها الطائفة بحرية كاملة.

3 - تمتاز جنيزة القاهرة بوفرة مادتها وكثرة كمياتها على عكس مثيلاتها في سائر دول العالم، وكلها من جنيزة المعبد اليهودي بن عزرا والمقابر اليهودية بالبساتين، ويحتمل أن تظهر أماكن أخرى للجنيزة بالقاهرة علمًا بأنه يجري حاليًا دفن المواد بواسطة الطائفة اليهودية في مقابر أخرى لليهود بحلوان وفي المستقبل ستتحول هذه المواد المدفونة إلى جنيزة أخرى تمد الباحثين بمادة إضافية من هذه المنطقة الجديدة.

4 - حظيت جنيزة القاهرة بمكانة روحية عالية لدى اليهود في سائر دول العالم نظرًا لأهمية مصر الخاصة لدى اليهود باعتبارها الموطن الأصلي لسيدنا موسى عليه السلام لهذا حرص كثير من اليهود على زيارة الآثار اليهودية بمصر خاصة معبد بن عزرا الذي عاش فيه النبي موسى عليه السلام وكان يعبد الله فيه، ومعظم هؤلاء الوافدين كانوا حريصين على ترك آثار خاصة بهم بقصد البركة فكانوا يتركون بالمعبد خطابات شخصية تحمل عبارات دينية تسجل زيارتهم لهذه الأماكن المقدسة، وهذه الأوراق جمعت ضمن مواد الجنيزة وهي تلقي الضوء على الطقوس والعادات اليهودية لغير اليهود المصريين. لهذه الأسباب ظلت جنيزة القاهرة أهم جنيزات العالم في نظر اليهود وفي نظر المهتمين بهذا المجال بوجه خاص.

تعتبر البيوتيم (الأشعار الطقسية اليهودية) المصحوبة بالنوتة الموسيقية من القرن الثاني عشر، والتي ألفها الكاهن الإيطالي أوباديا، والذي اعتنق اليهودية حديثًا، من الأهمية بمكان، إذ إنها تمثل أول إطار موسيقي للأشعار الطقسية اليهودية.[25] كذلك هناك وثيقة تعرف باسم –المخطوط المصري– تقص بعض أنواع التعنت ضد يهود مدنية



(شكل 9) القرآن الكريم، فاتحة الكتاب وسورة البقرة مكتوبتان بالأحرف العبرية. © Baker, Polliack, *Arabic and Judeo-Arabic Manuscripts in the Cambridge Genizah collections*, لوحة 20.

الفسطاط، والذين توسلوا إلى الخليفة لرفع الظلم الواقع عليهم، حيث أصدر عفوًا عنهم من حكم الإعدام، والذي كان قد صدر عليهم زورًا.[26] وكانت مثل تلك الوثائق تقرأ في الذكرى السنوية لصدور ذلك العفو. وإلى جانب استخدام العبرية المكتوبة في تدوين أحداث المعبد، فإن العبرية استخدمت كلغة عامية بين قطاعات مختلفة من أبناء الجالية العبرانية في مصر، حيث ظهر في القرن الخامس عشر خطاب خاص مكتوب بالعربية أرسلته إحدى الزوجات إلى زوجها تطلب منه العودة إلى البيت.[27] كذلك، نجد خطابًا من القرن الثاني عشر أو الثالث عشر لوالد أحد الطلاب أرسله إلى المدرس القائم على تعليم ابنه متضمنًا رغباته فيما يخص تعليم ابنه.[28]

لعل أكثر ما عثر عليه في وثائق جنيزة القاهرة تشويقًا وأهمية من الناحية التأريخية للكتابات العبرية في مصر، هي تلك الوثائق المدونة بالعبرية-العربية، والعبرية-اليونانية. ففي كل مجموعة من تلك الوثائق، استخدمت الكتابة العبرية في



(شكل 10) عيد الفصح اليهودي.



(شكل 11) T-S Ar.36.135، عيد الفصح اليهودي، © Baker, Polliack, *Arabic and Judeo-Arabic Manuscripts in the Cambridge Genizah collections*، لوحة 14.

تسجيل لغة أخرى غير العبرية-ففي حالة الوثائق العبرية-العربية استخدمت لتسجيل العربية، وبالمثل اليونانية، ولدينا دليل دامغ وواضح في هذه الأمثلة على استخدام الأوساط اليهودية للعربية واليونانية كلغتين للتحدث والتواصل، لكنها استخدمت العبرية بشكل مكثف كوسيط للتدوين والكتابة، خاصة في النظام التعليمي.

استخدمت العربية كلغة مشتركة من قبل اليهود في مصر تحت الحكم الإسلامي، حيث تغلغلت في كافة مستويات حياة الجالية العبرانية، ففي وثائق جنيزة القاهرة تم العثور على سجلات لمجالس الحاخامات مدونة بالعبرية-العربية،[29] بالإضافة إلى خطابات شخصية،[30] ووثائق قانونية،[31] وأعمال مدرسية[32] (متضمنة مسودة لمُؤلف موسى بن ميمون دليل الحائر بخط يده)،[33] وكذلك النماذج المبكرة من الشيكات المصرفية.[34] (شكلا 7، 8) ومن بين أكثر الوثائق العبرية-العربية تشويقًا وأهمية هي مخطوطة من القرن الثاني عشر تتضمن كتابات قرآنية مدونة بالكتابة بالعبرية.[35] ولا يفهم السبب الحقيقي وراء إنتاج مثل هذه الوثائق، لكن من الواضح أن بعض أعضاء الجالية العبرانية في القاهرة القديمة، على الأقل، كانوا يقرأون القرآن الكريم.[36]

تشهد الوثائق العبرية-اليونانية في جنيزة القاهرة على وجود امتزاج مشابه في الأدبيات،[37] فهناك أمثلة للمراسلات الشخصية، والنصوص الطقسية، والأدب الإنجيلي- مشتملاً على ترجمات وتعليقات- ومعاجم يونانية-عبرية. وهذه الوثائق كانت صادرة عن الجالية العبرانية، والتي كانت اليونانية هي لغة الحياة اليومية لديها، في حين كانت العبرية، التي تعني الكثير لهذه الطائفة، هي لغة التعليم. ومن بين الأمثلة التي تثير الاهتمام تلك اللغة المستخدمة في عيد الفصح اليهودي (شكل 10 وشكل 11) حيث زود النص العبري بمقتطفات من اليونانية المدونة بحروف عبرية،[38] تعتبر العبرية بوضوح تام هي اللغة المناسبة لتلاوة هذه الطقوس، لكن ووجود الأسماء اليونانية يشير إلى أن هناك لغة العامية مستخدمة بين أبناء الطائفة اليهودية، حيث كان استخدام Haggadah معنيًا. وعلى غرار مثال ترجمة العبرية-العربية للقرآن الكريم، والمذكورة آنفًا، نجد مثالاً آخر لبقايا كسرات من الترجمة اليونانية لكتاب كوهيليت Kohelet المقدس، مدونة بحروف عبرية.[39] كذلك يسجل المعجم اليوناني العبري الكلمات الصعبة الموجودة في رسائل شابات Shabbat، إيروبين Erubin، بيساهيم Pesahim، بياه Peah، ميشناه Mishnah، وينقسم المعجم إلى عمودين، الأول يتضمن الكلمة العبرية من النص الميشاني، ثم يوجد في العمود الثاني الكلمة اليونانية مدونة بحروف عبرية مضافة إليها نقاط الحركة.[40] وكما هي الحال في النصوص العبرية-العربية، توضح النصوص اليونانية-العبرية في ذات الوقت اللغة التي كانت متوغلة في قلب الحياة اليومية للطائفة العبرية، إلى جانب التوقير الكبير والاحترام العظيم الذي أبداه اليهود تجاه الكتابة العبرية. ومن غير المؤكد أن استخدام الكتابة العبرية في تدوين وتسجيل لغات أخرى غير العبرية قد لعب دورًا هامًّا في تحديد هوية الجالية العبرانية في العصور الوسطى، فالاعتبارات العملية والواقعية قد أملت على هذه الجاليات اللغات التي تستخدمها في الحياة اليومية، لكن عن طريق تدوين هذه اللغات بكتابة الأجداد، وهكذا توصل يهود مصر في القرون الوسطى في تمييز أنفسهم عن جيرانهم من المسلمين والمسيحيين.

لقد تميز تاريخ الكتابات العبرية في مصر، باستثناء فترة الازدهار الملحوظ في العصور الوسطى ممثلة في جنيزة القاهرة، بغياب الكتابات العبرية أكثر من أي شيء آخر. تأتي هذه الحقيقة في المقام الأول، وكأنها من قبيل المفاجأة للتاريخ الطويل للجالية اليهودية المقيمة في مصر، لكن من خلال ملاحظاتنا، نجد أن هذا الغياب للكتابات العبرية في معظم الفترات، إنما هو دليل على حقيقة أن هناك لغات أخرى-الآرامية، واليونانية، والعربية- استخدمتها الطائفة اليهودية كتابة وتحدثًا.

جدير بالذكر أن الكتابة العبرية ازدهرت إبان عصر الخلافة الإسلامية في العصور الوسطى، وهو ما يتناقض مع فقر الأدلة على وجود كتابات عبرية إبان عصر البطالمة والعصر الروماني المبكر. كذلك تتناقض هذه الحقيقة مع الموقف في أواخر القرن العشرين في مصر، في أعقاب نشوب الحرب بين مصر وإسرائيل، مما ساعد على تقلص عدد الجالية العبرانية، والتي كانت مزدهرة في يوم من الأيام، في القاهرة والإسكندرية؛ فأعداد الجالية التي كانت تحصى بالآلاف أصبحت الآن تعد بالمئات، وما زالت الأعداد في تناقص مستمر. مع هذا الانخفاض في أعداد الطائفة اليهودية في مصر، يتدهور مستوى اللغة العبرية بدوره، لكن الكنوز الأدبية المكتشفة في جنيزة القاهرة تصور لنا أن التعايش السلمي كان ممكنًا تحت مظلة الخلافة الإسلامية، وأنه يمكن أن يتحقق مرة أخرى.

الهوامش

1 G.I. Davies, *Ancient Hebrew Inscriptions: Corpus and Concordance*(Cambridge, 1991); Angel Sáenz-Badillos, *A History of the Hebrew Language* (Cambridge, 1993), 43.

2 F.M. Cross, 'The Invention and Development of the Alphabet', in: W. Senner (ed.), *The Origins of the Alphabet* (Lincoln, 1989), 77-90.

3 B. Porten, *Archives from Elephantine: The Life of an Ancient Jewish Military Colony* (Berkley, 1986), 13.

4 B. Porten, A. Yardeni, *Textbook of Aramaic Documents from Ancient Egypt* (Winona Lake, 1987), Vol. 1, A 4.7-8.

5 Porten, Yardeni, *Textbook of Aramaic Documents*, Vol. 1, A 3.9.

6 Porten, Yardeni, *Textbook of Aramaic Documents* (1986), 133-150.

7 كانت العبرية هي لغة المراسلات بين ملك مصر وبين مواليه ملك فلسطين حوالي عام 604-604 قبل الميلاد A. Dupont-Sommer, 'Un Papyrus Araméen D'Époque Saite Decouvert à Saqqarah', *Semitica* 1 (1948) 43ff; H. Ginsberg, 'An Aramaic Contemporary of the Lachish Letters', *BASOR* 111 (1948), 24ff; J. A. Fitzmyer, 'The Aramaic Letter of King Adon to the Egyptian Pharaoh', *Biblica* 46 (1965), 41ff.

8 Porten, Yardeni, *Textbook of Aramaic Documents*, Vol. 1, A 3.9.

9 V. Tcherikover, *Hellenistic Civilization and the Jews* (New York, 1970), 281-284.

10 C.C. Torrey, *Aramaic Graffiti on Coins of Demanhur* (New York, 1937), 4-6.

11 W. Kornfeld, 'Jüdische-aramäische Grabinschriften aus Edfu', *Anzeiger der Akademie der Wissenschaften zu Wien, Philosophische-historische Klasse* 110 (1973), 123-37.

12 W. Horbury, D. Noy, *Jewish inscription from Greco-Roman Egypt* (Cambridge, 1992), 3,4,5; Horbury, Noy, *Jewish inscription from Greco-Roman Egypt*, 4 وربما كانت تلك النقوش عبرية، لكن يصعب التأكد من صحتها.

13 Clermont-Ganneau, *Compte Rendu des Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-lettres* (1907) 237-239.

14 B. Porten, *Archives from Elephantine*, 33 n.27.

15 من الواضح أن البردية لا تحتوي على نص مقدس، بل يبدو أنها تشير إلى نص طقسي أو تعويذة. وتظهر مجموعة صناديق الجلد من قمران العلاقة الوثيقة بين محتوى الوصايا العشر وصلاة الشيما، W.F. Albright, 'A Biblical Fragment from the Maccabaean Age: the Nash Papyrus', *JBL* 56 (1937), 143-76; G. Vermes, *Post-Biblical Jewish Studies* (Leiden, 1975), 169-177. The papyrus does not appear to represent a biblical text but, rather, a liturgical document, or possibly an amulet. The tefillin from Qumran show the close connection between the Decalogue and the shema`. (E. Eshel, '4QDeut^{n} – A Text that Has Undergone Harmonistic Editing', *Hebrew Union College Annual* 62 (1991), 123 n.36.)، تتميز صيغة الوصايا العشر في بردية ناش بكونها مزيجًا من سفر الخروج – الإصحاح العشرين–، وسفر التثنية –الإصحاح الخامس–. انظر: E. Tov, *Textual Criticism of the Hebrew Bible*, (Assen, 1992), 118.

16 F. Dunand, *Papyrus grecs bibliques (Papyrus F. Inv. 266): Volumina de la Genèse et du Deutéronome (Introduction)* (Cairo, 1966), 39-55.

17 Horbury, Noy, *JIGRE*,118.

18 Horbury, Noy, *JIGRE*, 119.

19 Horbury, Noy, *JIGRE*,133.

20 Horbury, Noy, *JIGRE*, 15, 17.

21 H.J. Leon, *The Jews of Ancient Rome* (Philadelphia, 1960), Appendix Nos. 283, 290, 291, 292, 293, 296, 397.

22 V. Tcherikover, A. Fuks, *Corpus Papyrorum Judaicarum*, (Cambridge, Mass. & Jerusalem, 1957-1964), vol.1, 83-85, 101-103, 106-109.

23 C. Sirat, *Les papyrus en caractères hébraiques trouvés en Égypte* (Paris, 1985).

24 للحصول على معلومات عامة وقيمة حول جنيزة القاهرة، انظر: S. Reif, *A Jewish archive from old Cairo: the history of*

Cambridge University's Genizah collection (Richmond, Surrey, 2000).

25 *Epigrammata graeca*, T-S K5.41

26 T-S 8K10

27 T-S 13J21.10

28 T-S 13J20.3

29 T-S 10J7.10

30 E.g. T-S 8J28.7; T-S13J23.5

31 E.g. T-S K25.284; T-S 13J22.2

32 T-S Ar.45.13

33 T-S 10Ka4.1

34 T-S Ar.30.184

35 T-S Ar.51.62

36 يمكن مقارنة هذه الوثيقة بدورها بمخطوطات الجنيزة التي دُونت فيها التوارة بالحروف العربية، انظر: e.g. T-S Ar.52.242، من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر.

37 See N. de Lange, 'Greek Jewish Texts form the Cairo Genizah', *Texte und Studien zum Antiken Judentum* 51 (Tübingen, 1996).

38 T-S K1.33, T-S NS 122.126, T-S AS 107.246 + T-S AS 100.174

39 T-S Misc.28.74

40 T-S K7.16

النقوش الأرمينية في مصر

ماري كوبليان

لقد عاش الأرمن في مصر منذ القرن السادس قبل الميلاد إبان فترة حكم الفرس لمصر، وعلى مدار تلك القرون وخلال فترات متعاقبة، شهدت مصر العديد من توافد الكثير من العائلات الأرمينية. وعلى الرغم من ذلك -ومع تنحية بعض الاستثناءات جانبًا- فإن جوانب التشابه بين الأرمن والسكان الأصليين لمصر كانت غائبة، فلقد احتفظوا بهويتهم من خلال التمسك بسماتهم الاجتماعية والعرقية، إلى جانب الحفاظ على لغتهم وديانتهم.

توافد على مصر، خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين إبان فترة الحكم البيزنطي، العديد من الرهبان الأرمن سواءً من أرمينيا أو من القدس وذلك للانضمام إلى الآباء النساك الأقباط في حياتهم التوحدية في الصحراء، وعندما أصبحت الإسكندرية مركزًا مسيحيًا، توافد إليها العديد من شباب الأرمينيين للدراسة والتعلم فيها إبان القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

إذاً، فيُبَرْهن على تواجد الأرمن في مصر من خلال النقوش والمخربشات المتناثرة على جبل موسى، ودير سانت كاترين، وعلى طرق الحجاج المسيحيين التي تحيط بالأودية، وتتراوح تواريخ هذه النقوش بين القرن السابع إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

تناثرت النقوش الأرمينية في سيناء على الطرق الرئيسية لقوافل الحج المسيحية إلى دير سانت كاترين وجبل موسى، ويعتبر وادي حجاج من أهم الوديان التي عُثر فيها على نقوش أرمينية، حيث عُثر فيه على 73 نقشًا، في حين تم العثور على ما يقرب من 27 نقشًا على مرتقى صعود جبل موسى، بالإضافة إلى العثور على أربعة نقوش على الأبواب التي شيدها الإمبراطور جستنيان في كنيسة سانت كاترين.

بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ أن هذه المخربشات قد كُتبت بالخط الأرميني ذي الأحرف الكبيرة، فيما عدا القليل منها، والذي كان قد كُتب بالخط الأرميني المتصل مثل نقوش وادي حجاج، ولقد تضمنت تقريبًا معظم هذه النقوش أسماءً أكثر منها ألقابًا، ويوجد فقط ثلاثة نقوش من أصل مائة تم العثور عليها هي التي تحتوي على ألقاب كهنوتية، بينما يوجد القليل من هذه النقوش تحمل صيغ تذكارية.

تتكون الأبجدية الأرمينية الحديثة من 38 حرفًا، وقد استحدثها راهب يُدعى ميسروب ماشتوتي (361-440) في عام 405 ميلاديًا، وقد كرمته الكنيسة الأرمينية باعتباره أحد قديسيها (شكل 1). قام ميسروب باختراع الأبجدية الأرمينية على نمط مشابه للأبجدية اليونانية، ومتأثرًا في

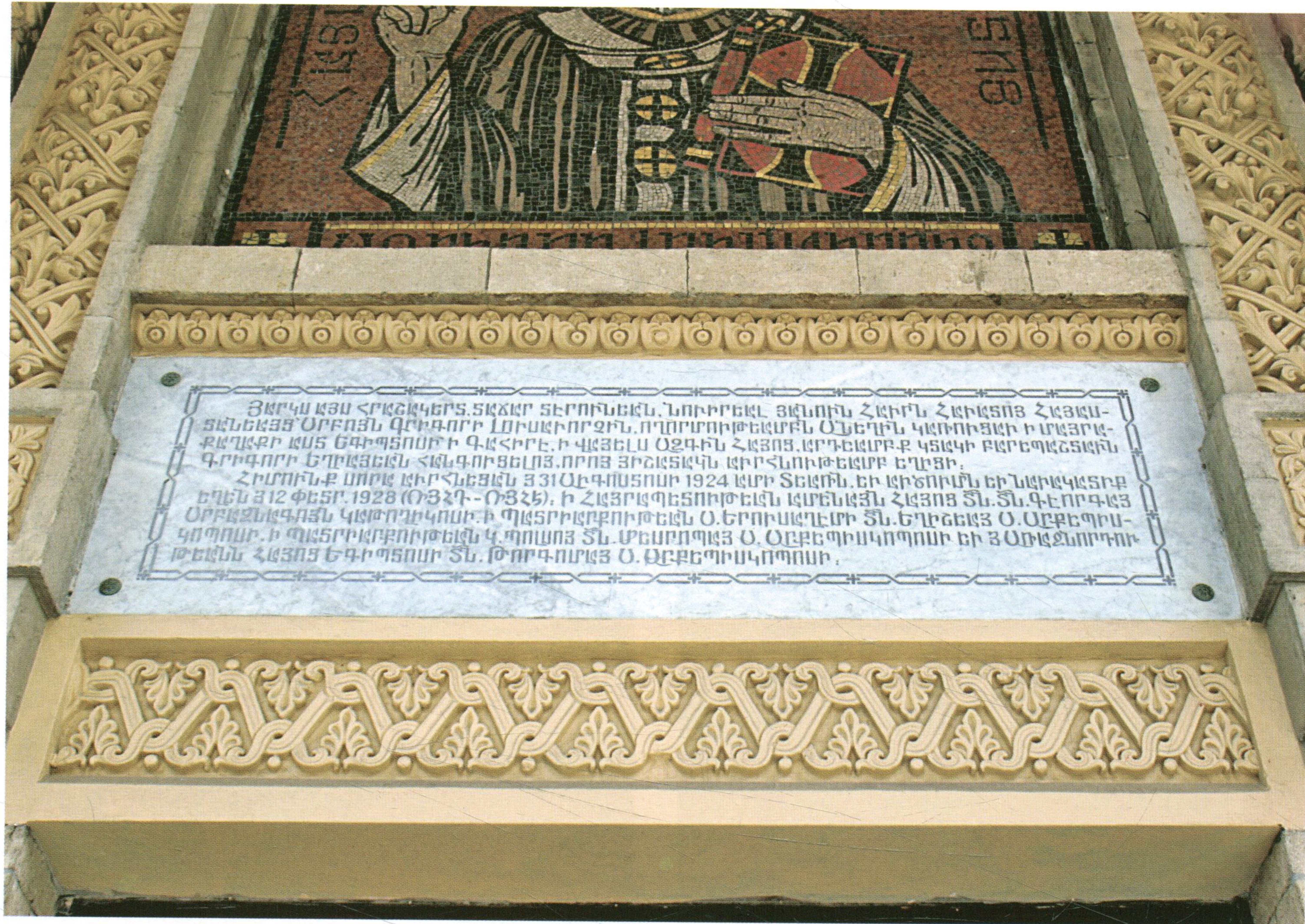
هذا بالكتابة الأشورية، ولذا تعتبر اللغة الأرمينية لغة هندو- أوروبية.

لقد لعبت الأبجدية الأرمينية دورًا هامًا في الحفاظ على الهوية الثقافية والقومية للشعب الأرميني، حيث ظهرت في أوائل القرن السادس عشر الميلادي أوائل المطبوعات الأرمينية، ومن ثمَّ ظهر الكتاب المقدس بالحروف الأرمينية في عام 1666.



(شكل 1) ميسروب وهو يتلقى الأبجدية الأرمينية.

دير سانت كاترين.



(شكل 2) نص تأسيس الكنيسة الأرمينية بالقاهرة.

تتميز الكتابة الأرمينية بأنها تكتب أفقيًا من اليمين إلى اليسار، كذلك تتميز ببعض الاختلافات الطفيفة الخاصة بالنطق بين لهجتيها: الشرقية والغربية، بالإضافة إلى أن معظم حروفها ذات قيمة عددية. (شكلا 2، 3)

الهوامش

1 M.E. Stone, *'Sinai Armenian Inscriptions'*, *The Biblical Archaeologist* 45, No. 1, (Winter 1982), 27-31.

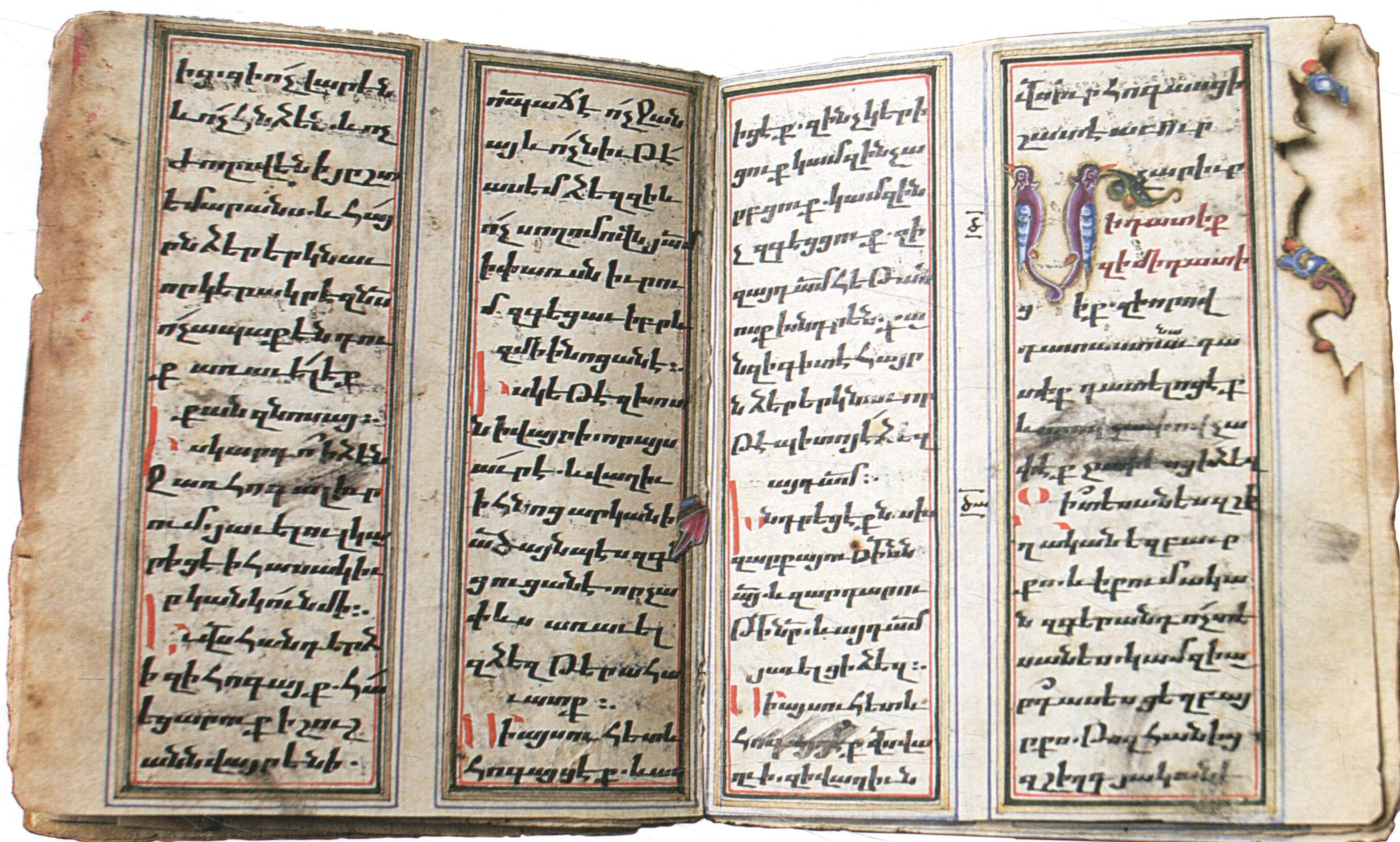
2 M.E. Stone, *The Armenian Inscriptions from Sinai*, (Cambridge, 1982).

3 يعد وادي مُكتب عن الطريق الفرعي بين وادي فران–أبو زنيمة بحوالي 25 كم، وعن وادي فران بحوالي 45 كم. لعب وادي مُكتب دورًا حيويًا خلال العصر المسيحي حيث كان طريق الحج الرئيسي إلى الوادي المقدس، وجبل موسى، ودير سانت كاترين. (قام المحرر بإضافة هذا الجزء).

4 Solomon A. Nigosian, 'Armenians and the Copts', in: Aziz Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia* 1 (New York, 1991), 234.

5 Stone, *The Biblical Archaeologist* 45, 27 -31.

6 شيد الإمبراطور جستنيان الأول كنيسة سانت كاترين عام 550 ميلاديًا. كانت الكنيسة تسمى في الماضي كنيسة التجلي وذلك



(شكل 3) كتاب ديني بالأحرف الأرمينية.

بحسب قطعة من الفسيفساء البيزنطي، ما زالت موجودة في الكنيسة. كانت الكنيسة نقطة التقاء للمتنسكين الذي كانوا يعيشون في قلالي منعزلة أو في جبل سيناء.

7 Simonian Simon, *The Armenian History*, (in Armenian) (Lebanon, 1927).

8 Mesrob Sevan, *Religious Book* (in Armenian) (Lebanon, 1955).

9 'Armenians in Egypt' in: *Armenian Soviet' Encyclopedia* (in Armenian), Vol. 3, 481.

10 Yeghiyan, Armenag, 'The sources of Mesrob's Alphabet' in: *Aztag Quotidien* (in Armenian), Vol. 245, (21587).

النقوش المروية في مصر*

أحمد منصور

يتدفق نهر النيل في ثنيتين كبيرتين عبر ستة شلالات من الخرطوم قرب وسط السودان إلى بحيرة ناصر وأسوان على الحدود الحالية بين السودان ومصر. هذه المنطقة الشاسعة تعرف للأثريين باسم بالنوبة، حيث كانت في العصور القديمة موطنًا لمملكة كوش –وهي كلمة غير معروفة الأصل– وكانت حاضرتها الأساسية هي مروي على الضفة الشرقية للنيل بين الشلالين الخامس والسادس.

لقد كانت الحضارة الكوشية أو المروية واحدة من أهم الدول المبكرة في جنوب الصحراء الإفريقية، وعلى الرغم من ذلك فإنه ظل يُنظر إليها حتى وقت قريب على أنها كانت مجرد دويلة تابعة لمصر القديمة، وتعود الأصول الأثرية لهذه الدولة إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، لكن الحضارة الكوشية أو المروية تدخل تاريخ مصر-عبر إشارات إليها في النقوش الهيروغليفية المصرية - في القرن الثامن قبل الميلاد فقط. في الفترة بين الأعوام من 712 إلى 656 قبل الميلاد، قام ملوك دولة كوش مصر، وتم الاعتراف بهم كـ 'فراعنة سود'، وقد عُرفوا تاريخيًّا بالأسرة الخامسة والعشرين، وقد حكم هؤلاء 'الفراعنة السود' إمبراطورية مترامية الأطراف امتدت من السودان الأوسط إلى حدود فلسطين (يلاحظ هنا أنه أشُير إلى اسم قائدهم تهاركو بإشارة عابرة في التوراة حيث ذكر باسم تيراهاتا Tirhakah). وبعدها، اضطر هؤلاء الفراعنة السود إلى الانسحاب، حيث تركز حكمهم في النوبة فقط، حيث تعرضوا لغزوات وهجمات دورية شنها المصريون والفرس، وفيما بعد الرومان (والذين سموا الكوشيين - خطأً - بالإثيوبيين، وهذا الاسم يعني الأشخاص ذوي البشرة المحترقة) - حتى القرن الرابع الميلادي، حين تفككت كوش نهائيًّا لأسباب غير معروفة وانقسمت إلى ثلاث ممالك صغيرة تحولت إلى المسيحية. هذه الممالك الثلاثة حل محلها في نهاية الأمر سلطنة فونج سنار Funj Sennar الإسلامية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

استخدم المرويون الكتابة الهيروغليفية المصرية حتى أواخر القرن الأول الميلادي، لكن هذه الكتابة الهيروغليفية كانت تظهر بصورة متزايدة إلى جانب الكتابة المروية، أو حلت محلها. استخدمت الهيروغليفية المصرية فقط في بعض النقوش في الجبانات الملكية في مروي، في حين أن الهيروغليفية المروية استخدمت في تدوين الاسم الملكي في نقوش أخرى، واستخدمت الكتابة المصرية لتدوين بقية النص، ومع ذلك فإن هناك نقوشًا أخرى كتبت بالكامل بالهيروغليفية المروية. وبمرور الوقت، استخدمت صيغة 'متصلة' من الهيروغليفية المروية في أغلبية النصوص الملكية.

تعود أولى النقوش المبكرة من الخط المروي إلى القرن الثاني قبل الميلاد،[1] (REM 1378-77) حيث عثر عليها شارل بونيه في Dukki Gel، في حين يعتقد أن آخر النصوص التي كُتبت بالخط المروي هو النص الشهير للملك خارامادويا (Kharamodoya (REM 0094، ويؤرخ ببداية القرن الخامس الميلادي.

إن فك رموز كل من الهيروغليفية المروية وهذه الكتابة الخطية كان الشغل الشاغل لعالم المصريات البريطاني فرانسيس ليلويلن جريفث Francis Llewellyn Griffith من جامعة أكسفورد الذي تمتع بمسحة من عبقرية شامبليون. اضطلع الباحثون الأوائل لاسيما الأثري الألماني كارل ريتشارد ليبسيوس (الذي ساعد في إثبات صحة فك الرموز الهيروغليفية الذي قام به شامبليون) بالخطوة الأولى، لكن جريفث–من خلال دراسته لعدد كبير من النقوش المكتشفة حديثًا من مروي ومواقع أخرى في السودان هو من قام بفك رموز الكتابة المروية في الفترة ما بين 1909-1911.

اتضح من تحليل العلامات الذي تم في القرن التاسع عشر، أن الهيروغليفية المروية احتوت حوالي 23 علامة ذات أشكال مختلفة، أي بمعنى آخر كانت ‹حروفًا أبجدية› وليست كتابة مقطعية معبرة عن كلمات مثل الهيروغليفية المصرية، واتضح أيضًا أن الكتابة المروية الخطية كانت تكتب من اليمين إلى اليسار، مثل كل الكتابات الخطية المصرية وسيرًا على نفس منوال توماس يونج Thomas Young –الذي فك رموز الديموطيقية المصرية– شرع جريفث مباشرة في القيام بمقارنة تفصيلية للكتابات المروية الخطية المتصلة والهيروغليفية، وسرعان ما أدرك أنه يمكن صياغة مترادفات بين العلامات الخطية والهيروغليفية، حيث كان المفتاح إلى ذلك نقشًا ذا خط مختصر وجد مكتوبًا حول حواف مذابح قرابين في مروي وأماكن أخرى، وهذا النقش هو:

وقد تبادر إلى ذهن جريفث مذبح مماثل من مروي في برلين (جمعه لبسيوس) نقش بالهيروغليفية بـ:

أحسن جريفث التخمين حين أدرك أن كلا النقشين ربما لهما نفس المعنى، وقد ضاهى بينهما حرفًا بحرف، ومن ثم فإن العلامات الثلاث التي تكررت مرتين في كل كلمة بدت متماثلة:

العلامة الخطية	العلامة الهيروغليفية
/	
3	
4	

كذلك أمكن أيضًا مماثلة أربع علامات أخرى هي:

العلامة الخطية		العلامة الهيروغليفية
	=	
	=	
	=	
///	=	

أثبت جريفث من خلال هذا التحليل أيضًا أن اتجاه قراءة الهيروغليفية المروية كان هو نفس اتجاه قراءة الكتابة الخطية المروية-أي من اليمين إلى اليسار مثل اتجاه الهيروغليفية المصرية، وذلك لأنه لو كان اتجاه قراءة الهيروغليفية المروية ليس هو نفسه اتجاه الهيروغليفية المصرية، فإن العلامات المكررة لن تظهر في نفس مواضعها في الكتابات الخطية والهيروغليفية:

وعلى أية حال فيمكننا أن نرى أن الهيروغليفية المروية تختلف عن الهيروغليفية المصرية في أن علامات الهيروغليفية المروية كانت تتجه مع اتجاه القراءة في حين كانت علامات الهيروغليفية المصرية تتجه عكس اتجاه القراءة.

تعرضت الكتابة الخطية المروية خلال ستة قرون، وهي فترة وجودها، لتغيرات مثيرة. تتمثل السمات الرئيسية لهذا التطور والتغير فيما يلي:

1 - تبدل الشكل السميك للعديد من العلامات القديمة ليصبح أقل سماكة.

2 - تحولت الهيئة المستقيمة العمودية للكتابة لتصبح أكثر ميلا تجاه اليسار.

3 - أصبح ذيل الأحرف a, k, n, p أكثر طولًا، ونازلاً عن السطر، وذلك في الفترة المتأخرة.

4 - أصبحت العديد من العلامات المختلفة أكثر تشابهًا.

وعلى الرغم من عدم معرفتنا بشكل كبير للسمات والمظاهر الاجتماعية للكتابة في مملكة مروي،[2] فإن هذا التحول والتطور الذي طرأ على الكتابة يمكن تفسيره من خلال تأثير الكتبة المحترفين على تقنيات الكتابة، ومن خلال انتشار التعليم، فعلى سبيل المثال:[3]

1 - أمكن كتابة العلامات الدقيقة إلى جانب بعضها البعض مما سمح للكتبة بالتوفير في استخدام مواد قيمة مثل البردي، وهو ما يظهر أيضًا أن ورق البردي كان مادة ذات انتشار واسع.

2 - تعتبر كتابة خط اليد المائلة من الأمور الشائعة بين الأشخاص الذين تعودوا على الكتابة السريعة.

3 - يمثل استخدام الذيل الطويل لبعض العلامات، على الرغم من انطوائها على ضياع الوقت، إلى ميل ورغبة في تجويد وتحسين الخط، وهو ما يمكن محاكاته من الوثائق الرسمية المدونة بالحبر، وربما توحي هذه السمات الثلاث إلى أن تعلم الكتابة كان يتم على أيدي كتبة محترفين، والذين انعكست تقنياتهم بشكل متزايد على كتابة خط اليد الخاصة بالشعب.

4 - أخيرًا، كانت العلامات التي يصعب التعرف عليها تمثل عائقًا فقط لأولئك الذين كان يقرءون الكلمة حرفًا بحرف، وليس لأولئك القراء المهرة الذين يمكنهم التعرف على الكلمة من الشكل العام لها، كما لو كانت رمزًا. إن هذه السمة الأخيرة تعتبر دليلاً على أن سرعة القراءة كانت من الأمور المعتاد عليها في الفترة المتأخرة من عمر مملكة مروي، وتعتبر دليلاً على عدم صحة الأفكار المسلم بها، وهو أن القرون الأخيرة من عمر مملكة مروي كانت بلا شك فترة انحدار فكري، بل

كانت هذه القرون العصر الذهبي للآداب المروية.

عُثر على النقوش والكتابات المروية في أماكن مختلفة في مصر، فلقد عُثر عليها في جزيرة إلفنتين، وجزيرة فيلة، وجزيرة كلابشة.

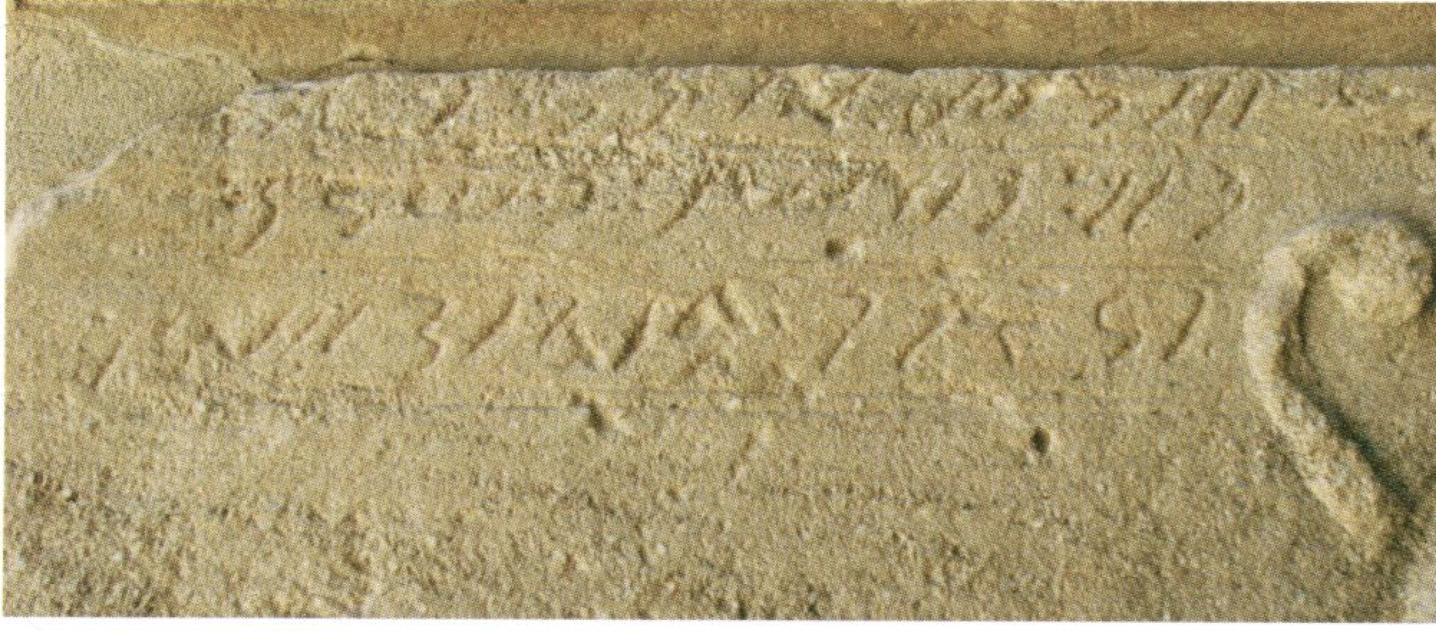
في جزيرة فيلة توجد النقوش المروية في بيت الولادة (الماميزي Mammisi)، وكذلك في الواجهة الشمالية من الجانب الغربي للصرح الجنوبي. أما أكبر هذه النصوص فقد عثر عليها على الوجه الخارجي (الغربي) لبوابة هادريان. أما سبب وجود هذا الكم الكبير من النقوش المروية في جزيرة فيلة فيرجع إلى كثرة وفود الحجاج الإثيوبيين إلى معبد فيلة.[4]

ونشير هنا إلى نقشين شهيرين:

النقش الأول: (REM 0119) نقش الملك يسبوخي-أماني Yesbokhe-Amani، والذي يعود، وفقًا لنوع الخط المستخدم وطريقة الكتابة، إلى الفترة من 300 - 350 ميلاديًا. ويوجد نقش مماثل له في الحائط المقابل، حيث كان النقشان يزينان ممر الحج في معبد إيزيس في جزيرة فيلة، والذي كان الملك يمر فيه.[5] (شكل 1)

النقش الثاني: (REM 0121) نقش تعبدي كرسَّه شخص يدعى Yebye، والذي ورد ذكره كمبعوث وب واووت. كرس هذا النقش إلى إيزيس، ويعود إلى فترة مبكرة من القرن الرابع الميلادي وفقًا لنوع الخط المستخدم وطريقة الكتابة. (شكل 2)

أما أهم النقوش المروية التي وجدت في مصر فهو نقش الملك خارامادويا Kharamodoya في معبد كلابشة، وقام جريفث بتأريخ هذا النقش إلى الفترة المتأخرة، ويتعلق هذا



(شكل 1) نقش الملك يسبوخي-أماني، جزيرة فيلة. (REM 0119)



(شكل 2) نقش تعبدي كرسه شخص يدعى Yebye إلى إيزيس، (REM 0121)

النص ببعض الحقائق: أولاً ينظر الملك إلى نفسه وفقًا للتقاليد المروية، والذي يعزو نصره إلى معبودات مروي. ثانيًا تمت الإشارة إلى بعض الملوك الآخرين في سياق النص، إما على أنهم أعداء، أو خاضعين، أو حلفاء. ثالثًا هناك بعض الأشخاص الذين ورد ذكرهم في النص تمتعوا ببعض الألقاب المعينة، ومن الملاحظ غياب بعض من الألقاب المتعارف عليها في الإدارة المروية لمنطقة النوبة ضمن هذه الألقاب. كذلك ورد اسم شخص تحديدًا وهو يدعى Yisameniaya/e على أنه عدو، على الرغم من التأكد من هذا الأمر، وإذا ما تم النظر إلى هذا الاسم على أنه مترجم على الطريقة المروية لاسم أجنبي، فمن الممكن أن نحذف اللاحقة ye حيث من المعروف

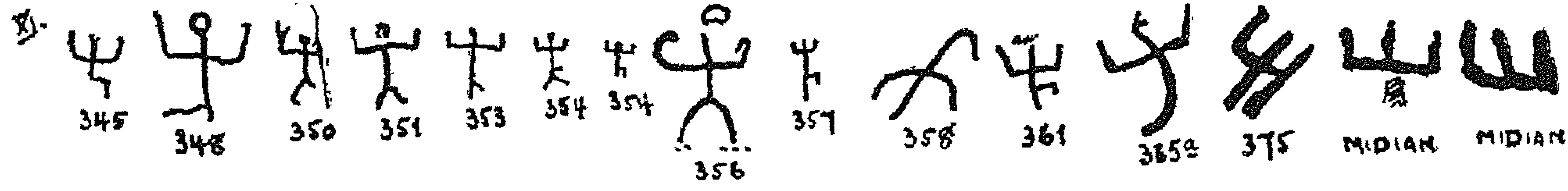


(شكل 3) نقش الملك خارامادويا، معبد كلابشة.

أنها زائدة أو لاحقة تضاف إلى نهاية أسماء الأشخاص، وعادة ما تحذف. إذًا يمكن أن يكون الاسم هو Yisáměni أو Isáměni والذي يتماثل بشدة مع الاسم Isemne، وهو اسم لملك نقش باليونانية على قاعدة أحد أعمدة معبد كلابشة. وفقًا لماسبيرو، فإن هذا الاسم يعود لأحد الملوك البليميز، ويرجح تاريخه بالقرن الخامس وأوائل القرن السادس، لكن الباحث مييه اقترح أن تاريخه يعود إلى أوائل القرن الرابع، وهو الأرجح.[6] (شكل 3)

جدير بالذكر أن الكتابة المروية تشابهت مع الكتابة السينائية المبكرة في بعض السمات الخطية، فيذكر ليبوفيتش Leibovitch 'بما أن مُدَّوِني النقوش السينائية هم من أصل حام، فمن المرجح أنهم استخدموا لغة حامية، وبالتالي ربما كانت لغة قريبة من اللغة المروية'.[7]

لاحظ ليبوفيتش Leibovitch بعض التشابه بين الكتابة المروية والكتابة السينائية، فعلى سبيل المثال العلامة 𓅱، والتي توجد في كل من الكتابتين الهيروغليفية المروية، والسينائية المبكرة، بالإضافة إلى تشابهها مع العلامة الهيروغليفية 𓃒. كذلك العلامة 𓀁 التي تمثل رجلاً يصلي، وهي تشبه العلامة ⁴ في الكتابة الخطية المروية (الديموطيقية)، بالإضافة إلى أن قيمتها الصوتية تتوافق مع



(شكل 4) توضح العلامة رجلاً يصلي. انظر: Leibovitch, *Les inscriptions Protosinaitiques*، 40.

العلامة الهيروغليفية، ويقترح ليبوفيتش Leibovitch أن الأوضاع المختلفة للأقدام في العلامة السينائية تمثل اختلافًا في النطق.[8] (شكل 4)

الهوامش

* اعتمد المؤلف في تحرير هذا المقال بصفة أساسية على كتاب اللغات المفقودة، مع إضافة بعض الأجزاء.

1 Claude Rilly, 'Les graffiti archaïques de Doukki Gel et l'apparition de l'écriture méroitique', *Meroitic Newsletter* 30 (2003) 46-48.

2 N. B. Millet, 'Writing and literacy in Ancient Sudan' in A. M. Abadalla (ed.), *Studies in Ancient Languages of the Sudan, the second international colloquium on language and literature in the Sudan 7-12 December 1970* (Khartoum, 1974), 49-53.

3 http://www.arkamani.org/arkamanilibrary/meroitic_conference_paris/rilly_paleography.htm#2.2.%20Examples%20of%20signs%20evolution#2.2.%20Examples%20of%20signs%20evolution

4 David Frankfurter, *Pilgrimage and holy space in Late Antique Egypt* (Leiden, 1998), 252.

5 أتوجه بالشكر والتقدير للدكتور كلود ريلي Claude Rilly لمساعدته في التعريف بهذه النقوش.

6 Millet, in: Abadalla, (ed.), *Studies in Ancient Languages of the Sudan*, 54-55.

7 J. Leibovitch, *Les inscriptions Protosinaitiques* (Cairo, 1934), 35.

8 Leibovitch, *Les inscriptions Protosinaitiques*, 40, 41, 60, 61, 62.

نقوش التيفيناغ في مصر

أحمد منصور

كان يعيش إلى الجوار من مصر جنسان مختلفان من الليبيين، وذلك وفقًا لجون أ. ويلسون John A. Wilson، فقد كان هناك الليبيون السود ذوو الأصل الإفريقي، والليبيون الشقر ذوو الأعين الزرقاء.[1] لقد استخدم هيرودوت المصطلح الجغرافي 'الليبيين' للتعبير عن شعوب شمال إفريقيا، والتي تعني في المجمل المنطقة الواقعة غرب حوض نهر النيل وشمال خط الاستواء.[2]

تعود أصول الليبيين الأوائل، التحنو، إلى الليبيين ذوي الأصل الأفريقي، ثم حُوِّرت تلك اللفظة 'تحنو' للتعبير عن كافة أجناس الليبيين، ولقد ظهرت قبل عصر الأهرامات مجموعة عرقية، يطلق عليها 'التمحو'، تعيش على تخوم الحدود الغربية. وإبان عصر الأسرة التاسعة عشرة ظهر على مسرح الأحداث مجموعة أخرى من الليبيين ذوو البشرة الفاتحة تسمى 'ريبو' أو 'ليبو'، تعيش إلى الغرب الأقصى في منطقة برقة، (شكل 1) ثم أخيرًا هناك 'المشواش'،[3] الذين عاشوا إلى الغرب من برقة، وينتمون إلى الليبيين ذوي الأصول الإفريقية.[4]

بدءًا من الألفية الثانية قبل الميلاد، بدأ الليبيون في التحرك ناحية أراضي الدلتا الخصبة في مصر، مما جعل الحدود



(شكل 1) منظر للتحنو من مقبرة ستي الأول، الأسرة التاسعة عشر.

الليبية مصدرًا مثيرًا للمشاكل لمصر، وعليه تبنى ملوك عصر الأسرات المبكر سياسة العقاب ضد هؤلاء الليبيين. إن أولى الوثائق التي تشير إلى ذكر اسم 'التحنو' في مصر القديمة، هي اللوحة الليبية. قُسم سطح اللوحة إلى أربعة صفوف أفقية، تشغلها مجموعة من الثيران، والحمير، والماعز، والأشجار، ربما كانت هذه الأشجار هي أشجار الزيتون، ثم نجد مجموعة من العلامات الهيروغليفية، وهي: العلامة الدالة على العصا، والعلامة الدالة على الأرض، وهاتان العلامتان تكونان مع بعضهما البعض كلمة 'التحنو'.[5] (شكل 2)

في حين أن أولى الإشارات التي تذكر اسم 'التمحو' في النصوص المصرية القديمة تعود إلى عصر الملك ببي الأول، من الأسرة السادسة، حيث جاء وصفهم في مقابر بني حسن في المنيا، في صعيد مصر.[6] في الوقت نفسه، نجد أن الليبيين في نزاعات وصراعات مع الملوك المصريين مثل الملك مرنبتاح من الأسرة التاسعة عشرة، والملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين.

علاوة على ذلك، اعتلى شيشنق الأول عرش مصر في عام 950 قبل الميلاد بعد وفاة الملك بسونس الأول، مؤسسًا بذلك الأسرة الثانية والعشرين، ومتخذًا من تل بسطة عاصمة لملكه. انتهى حكم الأسرة الثانية والعشرين بوفاة الملك شيشنق الخامس (730 - 767) قبل الميلاد، بعد أن استمرت 191 عامًا تحكم مصر.[7]

من ناحية أخرى، خلّف لنا المصريون القدماء أكثر الأدلة التاريخية أهمية فيما يخص شعوب غرب ليبيا، فلم يكتفِ المصريون بوصفهم، بل تركوا لنا سجلات مصورة لهم. فلقد ضمت المجموعة الخاصة بالعالم أ. بيتس أجناسًا مختلفة من الرجال، ومن المحتمل أن أحد هذه الأجناس يصور الطوارق، وهو نفس الجنس الذي يشير إليه المصريون باسم 'التمحو' أو 'التحنو'. من المحتمل أن هذين الاسميين يشيران إلى جنس واحد حيث تخضع الأسماء لقاعدة التبديل والتحريف، وعليه نجد أن كلمة 'تمحو' تتشابه مع الأمازيغ التي تعني 'الطوارق'.[8]



(شكل 2) اللوحة الليبية، الظهر، JE 27434،© المتحف المصري.



اللوحة الليبية، الوجه، JE 27434، © المتحف المصري.



(شكل 3) حروف التيفيناغ، واحة سيوة.



(شكل 4) حروف التيفيناغ، واحة سيوة.

أطلق على السكان الأصليين لشمال إفريقيا اسم البربر، وهو اسم أطلقه اليونانيون والرومان على كل الشعوب التي لا تتحدث اليونانية أو اللاتينية،[9] وكان من ضمن هذه الشعوب بعض البدو الذي كانوا يقطنون الصحراء الكبرى، ولذلك أطلق عليهم الرحالة الأوروبيون اسم 'الطوارج'[10] أو 'الطوارك' مستعيرين بذلك الاسم العربي.[11]

يتحدث الطوارق ثلاث لغات: لغة القبائل المستخدمة في شمال الجزائر، ولغة الأمازيغ في وسط المغرب، ولغة التماشق، والتي اشتق منها العديد من اللهجات.[12] لقد استخدم الاسم الأمازيغ أو مشتقاته للتعبير أحيانًا عن لغات البربر، وبالرغم من ذلك تميز الطوارق بطريقة كتابة غير مستخدمة في أي آخر من العالم، ويطلق عليها كتابة التيفيناغ.

خط التيفيناغ

يُعتقد أن خط التيفيناغ قد اشتق من الخط الليبي القديم، وحُفظ لنا من خلال استخدام الطوارق له. ويقال أن الفرنسيين هم أول من اكتشف هذه الخط، وكان هذا في عام 1882 على يد العالم أوديني، الذي اكتشف هذا الخط في منطقة مرزاك في جنوب ليبيا،[13] ويعني هذا الاسم 'الحروف الفينيقية'،[14] حيث من المحتمل أنه اشتق من الكلمة اليونانية 'Pinks' التي تعني لوحة الكتابة.

تشكلت هذه الكتابة على منوال الكتابات السامية في القرن السادس قبل الميلاد، حيث جاء الحروف لتعبر عن الصوامت فقط دون الصوائت.[15]

استخدمت كتابة التيفيناغ من خلال الطوارق في واحة سيوة في مصر،[16] حيث ما زالت اللهجة الشرقية من اللغة الأمازيغية مستخدمة حتى الآن. وعُثر في واحة سيوة على بعض المخربشات من كتابة التيفيناغ، بالقرب من صخرة سيجا، وبالقرب من المقابر الرومانية.[17] (شكلا 3 . 4).

كُتب التيفيناغ في اتجاهات مختلفة، كما حدث مع الكتابات والخطوط القديمة؛ فلقد كُتب من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، وكذلك من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى، وفي بعض الأحيان كُتب بطريقة المحراث. استخدم النظام الألفبائي[18] للتعبير عن هذا الخط، واستخدم 22 حرفًا.[19]

الهوامش

1 John A. Wilson, 'The Libyans and the End of the Egyptian Empire', *The American Journal of Semitic Languages and Literatures*, Vol. LI, No. 2 (Chicago, 1935), 73.

2 Fancis Rodd, 'The Origin of the Tuareg', *The Geographical Journal*, Vol. 67, No. 1 (Oxford, 1926), 27، انظر: عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي (بيروت،1971)، 9.

3 يعتقد رود (Rodd) أن اللفظ (مشواش) هي أصل كلمة (أمازيغ) انظر: Rodd, 'The origin of the Tuareg', *GJ* 67, 41

4 Wilson, 'The Libyans and the End of the Egyptian Empire', *AJSLL*, 74.

5 *Catalogue of the Egyptian Museum* (Cairo, 1987), 42 - 43.

6 عبد العزيز الدميري، سيوة الماضي والحاضر (الإسكندرية، 2005)، 29، 30.

7 http://www.isp.msu.edu/afrlang/Berber-root.html

8 Rodd, *GJ* 67, 41.

9 عبد العزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي (بنغازي، 1999)، 108، 109

10 Concerning the origin of the 'Tuareg' name; انظر: الصويعي، أصول الحرف الليبي، 315؛ محمد سعيد القشاط، التوارق..عرب الصحراء، ط2، (طرابلس، 1989)، 27.

11 Rodd, *GJ* 67, 27

12 http://www.isp.msu.edu/afrlang/Berber-root.html

13 الصويعي، أصول الحرف الليبي، 330.

14 إذا ما طبقنا قاعدة 'الإبدال' فسوف نجد أن أصل تلك الكلمة هو 'FNK' 'تيفيناك' أي الحروف الفينيقة. انظر: الصويعي، أصول الحرف الليبي، 320.

Jean Perrot, *Les langues dans le Monde Ancien et Moderne, III. Les langues Chamito-Semtiques* (Paris, 1988), 211.

15 Florian Coulmas, *The Blackwell Encyclopedia of Writing Systems* (Oxford, 1999) 503, 504; انظر كذلك: George L. Campbell, *Handbook of Scripts and Alphabets* (London, 1997), 14.

16 كانت سيوة تسمى في العصور القديمة 'بنتا' أو 'ثا'، وذلك وفقًا للنصوص التي وردت في معبد إدفو. وخلال العصر الروماني، كانت تسمى واحة آمون (أمونيون). كما ذكرها اليعقوبي باسم 'سوة' أو 'تسوة'. أما في القرنين الحادي عشر والثاني عشر فقد أشار إليها الجغرافي الإدريسي باسم 'سنترية'. ومؤخرًا ذكر كولمان أن اسم سيوة مشتق من *sꜣ n drw sꜣ ntr.* والتي نقشت في قدس الأقداس بمعبد الوحي بأغورمي. انظر: عبد العزيز الدميري، سيوة الماضي والحاضر، 25، 26.

17 عبد العزيز الدميري، سيوة الماضي والحاضر، 65.

18 ما زال عدد تلك الحروف مثار جدل بين الباحثين. عندما اكتشف أوديني حروف التيفيناغ، استطاع أن يحدد 19 حرفًا، ثم نجد بعد ذلك هانوتو يشير إلى 23 حرفًا، فحين يعتقد هيبو أن عدد تلك الأحرف يصل إلى 24 حرفًا، وهو في ذلك يتفق مع دابوز في العدد لكن يختلف معه في أشكالها، أخيرًا يعتقد القشاط أن عدد أحرف التيفيناغ هو 22 حرفًا. انظر: الصويعي، أصول الحرف الليبي، 331

19 الصويعي، أصول الحرف الليبي، 331:333.

الكتابات السريانية والكتابات ذات الصلة في مصر

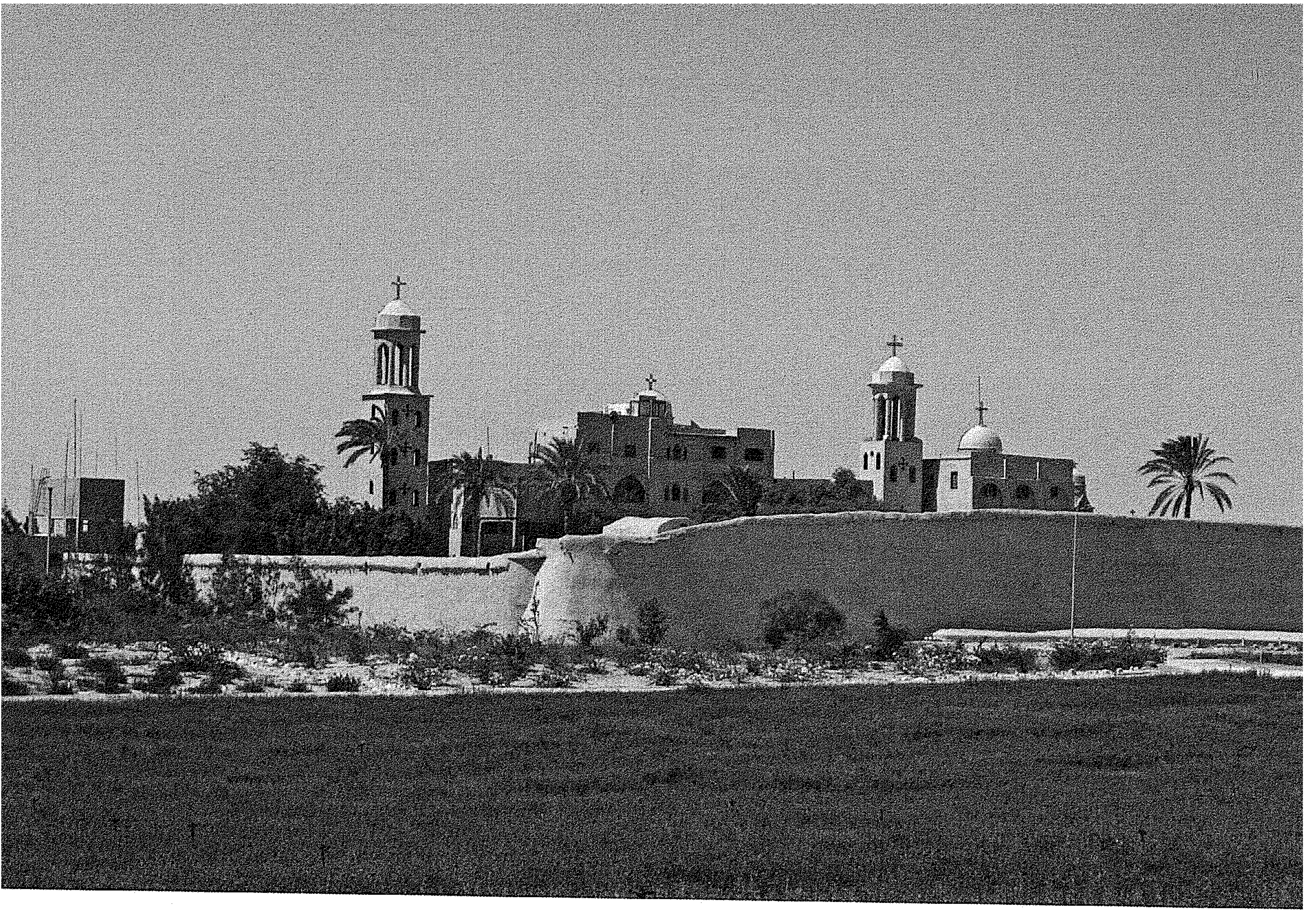
لوكاس فان رومباي

حفظت لنا أرض الكنانة كمية كبيرة من القرائن والبراهين على وجود الكتابات السريانية (وهي لغة آرامية شرقية، يتحدثها المسيحيون في سوريا وبلاد ما بين النهرين)، كما حفظت لنا قرائن على وجود الآرامية المبكرة التي تعود إلى فترة الدولة الأخمينية، وكذلك على وجود الآرامية العبرانية.

عندما ندرس وندقق في مسألة وجود الكتابات السريانية في مصر، يتضح لنا عاملان مهمان؛ الأول متمثل في جفاف الجو والجودة الاستثنائية للتربة المصرية، والتي ساعدت على حالة الحفظ المثالية لتلك الكتابات. أما العامل الثاني فهو العامل البشري: ويتمثل في كرم الضيافة والاستضافة التي تمتع بها المسيحيون في مصر خلال العصر البيزنطي وكذلك خلال العصر الإسلامي. في الحقيقة، هناك بعض النصوص السريانية قد دُونت بواسطة بعض الزائرين العرضيين، فحين أن هناك الكثير منها قد دون من قبل أناس رحلوا إلى مصر بغرض الإقامة إما لفترات طويلة أو قصيرة. لكن لماذا رحل هؤلاء الناس إلى مصر؟

في العصر المسيحي المبكر، كانت مصر وسوريا (بالإضافة إلى أجزاء من بلاد ما بين النهرين) جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية، لذا كان السفر فيما بينهما سهلاً ويسيرًا. من ناحية أخرى، بينما كانت الإسكندرية أحد مراكز الفكر المسيحية الرئيسية (قد أخرجت لنا شخصيات مهمة أمثال: كليمنت، أوريجين، أثناسيوس)، ظهر لنا في الصحراء المصرية، في جنوب وجنوب شرق الإسكندرية وكذلك في صعيد مصر بالقرب من البحر الأحمر، نمط جديد من القادة المسيحيين: وهم آباء الصحراء أو رهبان الصحراء. كان آباء الصحراء أو كهنة الصحراء مسيحيين تركوا حياة المجتمع والمدينة وانتهجوا حياة التوحد والانزواء، منقطعين فقط للصلاة والتأمل. وقد أصبحت حياة الرهبنة واسعة الانتشار، وجذبت أناسًا كثيرين من كل أنحاء العالم المسيحي. ولذلك فقد أراد البعض الالتحاق بالنمط الجديد للحياة المسيحية؛ بينما جاء البعض الآخر لزيارة المتنسكين والمتوحدين راغبين في بركاتهم وصلواتهم.

هناك قرائن تثبت افتتان السريان بحياة الرهبنة المصرية، فقد ورد ذكر السريان أحيانًا في النصوص الأدبية اليونانية والقبطية التي تتعامل مع حياة الرهبنة المصرية، كذلك ترك السريان بصماتهم في بعض الأديرة؛ فهناك نص قبطي يقع بالقرب من مدخل دير الباويط يذكر اثنين من الكهنة؛ جاء



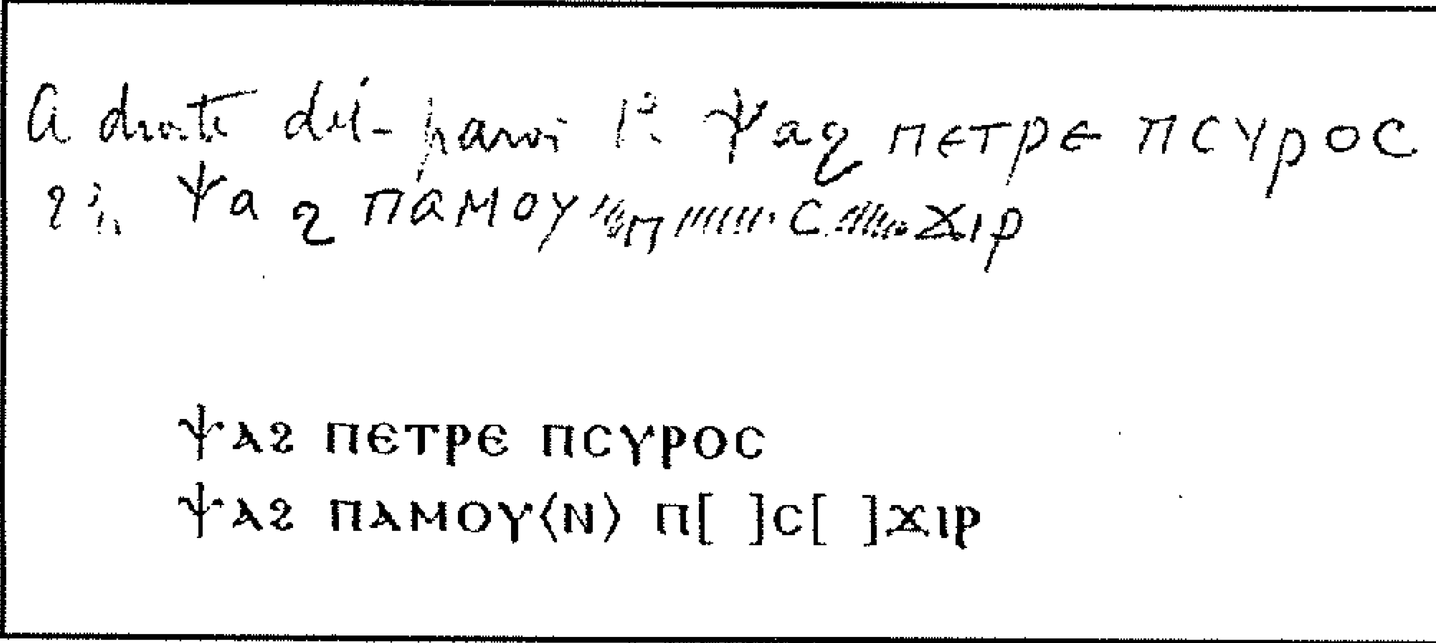
ذكر أحدهما تحت اسم 'الأب بيتر، السرياني'.[1] (شكل 1) وفي دير إبيفانيوس في طيبة نجد 'الأب السرياني' وهو أحد أهم المتنسكين المسيحيين مصورًا على الحائط،[2] كذلك هناك آثار لكتابات سريانية في بعض الأديرة الأخرى،[3] ويعود بعض هذه الآثار إلى العصر الروماني المتأخر أو العصر البيزنطي.

توطدت العلاقات المصرية-السريانية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، فلقد رفض غالبية المسيحيين المصريين وعدد كبير من مسيحيي سوريا قرار مجمع خلقدونية (451 ميلاديًّا)، القاضي بأن المسيح ذو طبيعتين: واحدة إلهية والأخرى بشرية، لكن المصريين والسريان اعتقدوا في تجسد المسيح أي أن المسيح يجسد الرب في شخص يسوع، وبذلك يكون المسيح ذا طبيعة واحدة: إلهية وبشرية في نفس الوقت، وهي طبيعة لا تقبل القسمة أو الازدواجية. تسمى هذه النظرية باسم الميتافيزيقية 'نظرية الطبيعة الواحدة'، وهي لاتزال عقيدة كنيستي الأقباط

الأرثوذكس، والسريان الأرثوذكس بالإضافة إلى بعض الكنائس الأخرى. لقد تقارب كل من المصريين والسريان نتيجة مقاومتهم لمذهب مجمع خلقدونية، وهو مذهب كنيسة الإمبراطورية البيزنطية. وقد تعرض السريان لتعذيب واضطهاد البيزنطيين أكثر مما تعرض له المصريون، ولذلك لجأ كثير منهم إلى الفرار إلى مصر، وأبرز الأمثلة هي هجرة سيفيروس Severus بسبب اعتناقه المذهب الميتافيزيقي، وتقلد سيفيروس Severus منصب بطريرك أنطاكية عام 518 ميلاديًا، وقضى آخر عشرين عامًا من حياته منفيًا إلى مصر، حيث مات فيها عام 538 ميلاديًا. ثم جاء كثير من الرهبان والقساوسة السريان إلى مصر للعيش بها؛ فكانت اليونانية هي اللغة الرسمية للتعامل والتواصل، لكن كانت هناك بعض النصوص تترجم إلى القبطية والسريانية.

في العصر الإسلامي المبكر، أصبحت الكنيستان القبطية والسريانية أكثر استقلالاً، وأصبحتا منفصلتين عقائديًا عن الكنيسة البيزنطية، ولقد قويت العلاقات فيما بينهما (بين الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية)، وتدريجيًا حلت العربية محل اليونانية كلغة رسمية للتعامل والتواصل.

توجد إشارات وقرائن عديدة على تواجد السريان في العديد من الأديرة القبطية، فدير القديس مرقص في صعيد مصر، والذي لم يعد له الآن أي أثر، ضم بين جنباته رهبانًا سريانًا، خطَّ أحدهم إحدى المخطوطات السريانية في عام 816 ميلاديًا، وهي محفوظة الآن في المكتبة البريطانية في لندن تحت رقم 14.582.[4] بالإضافة إلى ذلك، نجد في مكان ما من إقليم طيبة، راهبًا من مدينة دارا من شمال بلاد الرافدين قد أعاد في عام 822-823 ميلاديًا استخدام مخطوطًا سريانيًا من القرن السادس ليصدر مجموعة جديدة



(شكل 1) نقش قبطي يوجد بالقرب من مدخل دير الباويط.

من النصوص السريانية، والتي نطلق عليها اسم اللوح المسيح. وهذا المخطوط محفوظ الآن في المكتبة البريطانية تحت رقم 14.623، كان قد نقل إلى دير (يونس)، والذي لم يعد موجودًا الآن، وبدوره نقل هذا المخطوط إلى دير السريان مع تسع مخطوطات سريانية أخرى، كان بعضها قد دُوِّن في بلاد الرافدين.[5] بالإضافة إلى وجود كهنة سوريان في دير القديس بولس في بالقرب من محافظة البحر الأحمر، ويوجد لدينا دليل على وجود مخطوطات سريانية خُطت في هذا الدير حوالي نهاية القرن التاسع الميلادي، وهي محفوظة في المكتبة البريطانية تحت رقم 5021.[6]

إنَّ كل من هذه الحالات الفردية تلقي الضوء على تواجد الرهبان السريان في الأديرة القبطية، وفي بعض الأحيان تمكن هؤلاء الرهبان من إنشاء وتأسيس حجرات نسخ للمخطوطات الخاصة بهم، وكذلك تأسيس مكتبات تضم هذه المخطوطات. لكن يوجد دير واحد يتميز عن كل هذه الأديرة، حيث يتجلى لنا تواجد وتعايش الرهبان السريان مع النساك الأقباط لقرون عديدة: وهو دير السريان في وادي النطرون. (شكل 2)

يعود تأسيس هذا الدير إلى القرن السادس الميلادي، ومن المحتمل أن تكون كنيسة هذا الدير قد شُيِّدت في منتصف القرن السابع الميلادي. على الرغم من ذلك، لا يوجد أي



(شكل 2) دير السريان، وادي النطرون.

دليل على تواجد أو حضور السريان في هذا الوقت المبكر، فلقد سمعنا فقط عن حضور مجموعة من الرهبان السريان الأرثوذكس إلى منطقة وادي النطرون مع بداية القرن التاسع الميلادي، حيث استقروا في هذا الدير مع بداية العقد الثاني من القرن التاسع الميلادي. يعود مسقط رأس هؤلاء الرهبان إلى مدينة تكريت في العراق، ويُربط حضورهم إلى مصر بتأسيس جالية للتجار التكريت في مدينة الفسطاط. بدأ هؤلاء النساك أو الرهبان في إنشاء مكتبة خاصة بهم داخل الدير من خلال تحريرهم للكتب في مصر (بما في ذلك الكتب والمخطوطات السالفة الذكر)، وكذلك من خلال تلك التي أحضرت من بلاد ما بين النهرين. خلال القرون التالية استمرت المكتبة الخاصة بالرهبان السريان في التوسع خاصة مع تولي الأب موسى النصايبيني رئاسة الدير في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي. سافر الأب موسى إلى بغداد في الفترة من 927-932 ميلاديًّا، وعاد منها بمائتين وخمسين مخطوطة،[7] ثم توالت عمليات اقتناء المخطوطات في القرون المتعاقبة حتى بواكير القرن السابع عشر الميلادي، حيث استقر تمامًا الرهبان السريان من سوريا ولبنان في الدير.[8]

وبينما تعود أصول بعض المخطوطات إلى بلاد ما بين النهرين كتلك التي أحضرها الأب موسى، أو تعود أصولها

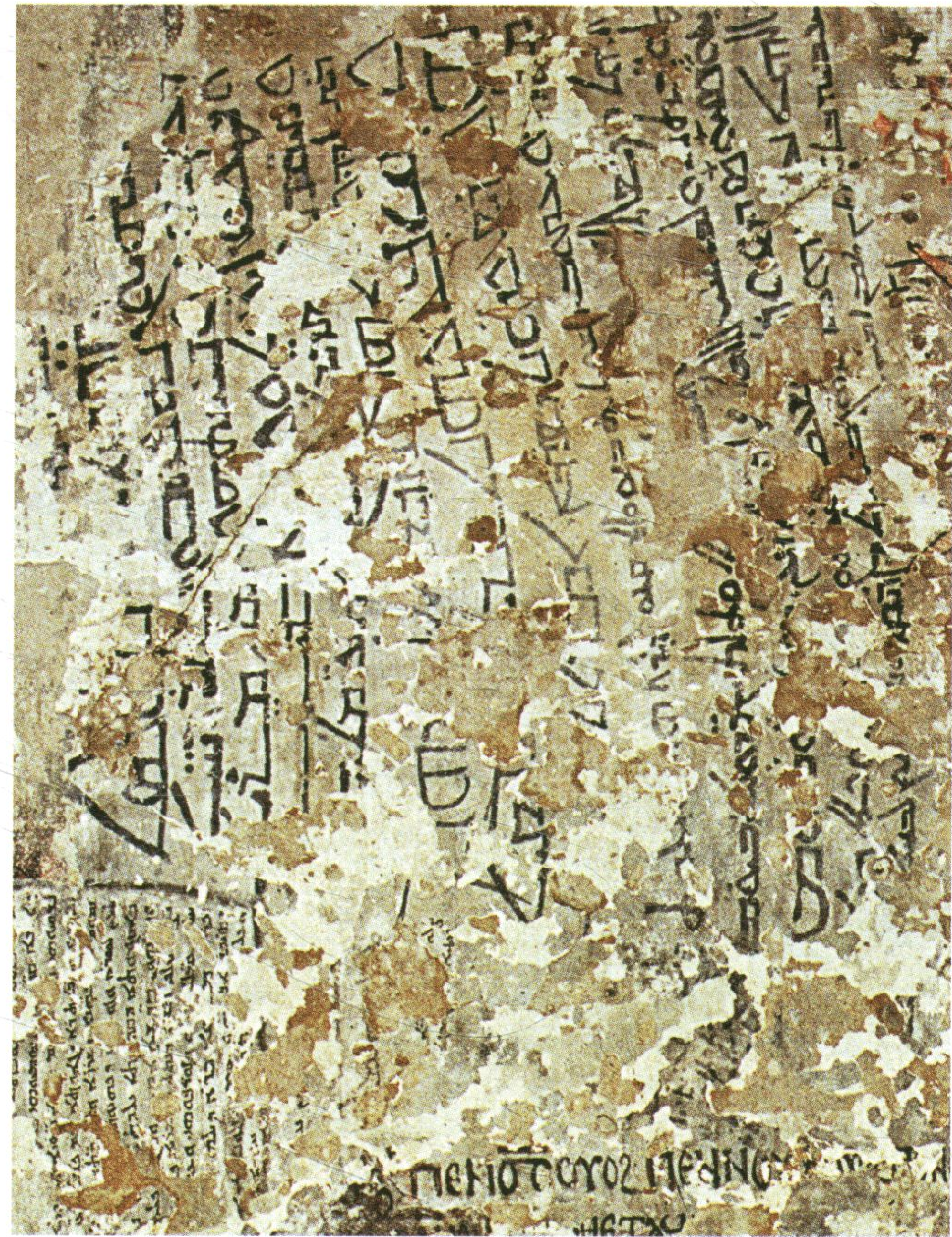
إلى سوريا، فإن بعض منها قد دُونت في مصر. من الواضح أن الرهبان اهتموا في أول الأمر بنسخ المخطوطات لأغراضهم الخاصة مثل نسخ النصوص الدينية، والطقسية، واللاهوتية، والروحية، أو التنسكية بالإضافة إلى سير القديسين. ومن الجدير بالذكر أن المخطوطات السريانية قد صنعت من مواد ثلاثة مختلفة، فبالإضافة إلى الرَّق (وهو المادة الأكثر شيوعًا)، لم يستخدم الورق قبل القرن العاشر الميلادي، ولقد خرجت إلى النور في السنوات الأخيرة بعض قطع البردي المدونة بالكتابة السريانية. في أغلب الحالات، يبدو لنا أن نتعامل مع ما تبقى من مدونة برديات وليس مع مجموعة من اللفائف. وبما أن البردي يعتبر أكثر عرضة للتلف من الرَّق، فإن الأدلة والقرائن التي لدينا عبارة عن مجموعة من الكسرات أو القطع الصغيرة. يتباين تاريخ هذه الكسرات أو القطع الصغيرة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي،[9] ولا يوجد أدنى شك أن هذه المخطوطات قد أنتجت في مصر، بل في أكثر من حالة يعتبر دير السريان هو مكان إنتاج هذه المخطوطات.

سواء كان البردي من إنتاج الرهبان أنفسهم، أو مُشتَرَى من السوق، فلا يمكن تحديد مصدره، وفي أي من الحالتين، فلقد أخذ الرهبان السريان معرفتهم عن هذا التخصص المصري من خلال أقرانهم المصريين. في الحقيقة يوجد كمية ضخمة من الأدلة الدامغة والقرائن الجلية على ذكر اسم 'دير السريان'، من منتصف القرن التاسع الميلادي فصاعدًا، أما عن سكان الدير فقد كانوا خليطًا من الرهبان السريان والرهبان المصريين.[10] هذا التعايش بين لغتين وثقافتين (بالإضافة إلى العربية التي كانت هي لغة التعامل اليومي بين المجتمعين) انعكس على التصوير الجداري للدير، وكذلك على النصوص الجدارية للكنيسة، وأيضًا على تاريخ غرفة النساخ.[11] كما أشرنا من قبل أن التوافق العقائدي بين كنيسة السريان الأرثوذكس وكنيسة الأقباط الأرثوذكس قد سمح بتزاوج واندماج الخصائص اللغوية والثقافية بينهما وهو ما انعكس على جدران دير السريان. يمكن أن نجد إشارات أخرى إلى هذا الاندماج في العديد من الكولوفونات والنقوش السريانية التي تذكر بطريركي كلتا الكنيستين.[12] تمدنا المكتشفات الحديثة بما فيها رسوم ونصوص جدران كنيسة العذراء بقرائن تقوض من الافتراضات الزاعمة بأن الدير قد اشتراه أحد المسيحيين السريان في وقت مبكر من إنشائه من مدينة تكريت. ترتكز هذه الفرضية على ملحوظة وُجدت في ثلاث مخطوطات تعود إلى تاريخ متأخر، تدعي بملكية سريانية للدير، وتذكر بكل وضوح وجلاء تاريخ وثمن الشراء وهو 12.000 دينار. هذه الملحوظة تم تدوينها في وقت كان فيه حضور السريان يتضاءل في الدير، وكانت حقوقهم تتقلص، ولا يمكن النظر إلى محتوى هذه الملحوظة على أنها ذات مغزًى تاريخي أو تأريخي، فلا يوجد أي مصدر من المصادر المبكرة تتحدث أو تذكر عملية شراء الدير، أو أن هذه المصادر تحدثت عن ملكية سريانية للدير.[13]

دعونا الآن نتحول بأنظارنا إلى النقوش السريانية المكتشفة في الدير. هناك قائمة مؤقتة تحتوي على ستة وعشرين عنصرًا، تتضمن جميع النقوش الكبيرة الحجم التي تمت دراستها.[14] نقشت بعض هذه النصوص على مواد صلبة، والرخام، والخشب، أو البرونز، لكن الغالبية العظمى منها رُسم أو كُتب على الجص الذي يغطي جدران كنيسة العذراء، وهي إما ملاحظات تفسيرية على الرسوم الجدارية، وإما في أغلب الأحيان عبارة عن نصوص مستقلة، وباستثناء نص سرياني واحد فقط نُقش على مروحة مصنوعة من البرونز، يعود إلى عام 1203/1202 ميلاديًّا وربما قد صُنع في شمال العراق،[15] فإن جميع النقوش السريانية الأخرى قد نُفذت داخل الدير.

تعتبر النقوش المستقلة المرسومة على جدران الكنيسة، والتي تم اكتشافها في السنين العشرة الأخيرة، ذات أهمية كبيرة. ويحتوي العديد من هذه النقوش على أسماء أشخاص وأسماء أماكن بالإضافة إلى تواريخ، وهي بذلك تساعدنا على إعادة صياغة تاريخ الدير. وسوف نقوم بإعطاء بعض الأمثلة.

عُثر على أقدم نقش سرياني على الحائط الشمالي للكنيسة، حيث يعود بوضوح إلى العام 1130 'وفقًا للتأريخ اليوناني' أي العام 819/818 ميلاديًا. يسجل هذا النقش عمليات (إعادة) البناء التي تمت بواسطة أو تحت رعاية بعض الرجال، والذين تم ذكر أسمائهم بالتحديد (شكل 3) كذلك جاء ذكر اسم البطريك المصري يعقوب (819-830 ميلاديًا)، متبوعًا باسم البطريك السرياني ديونسيوس (818-845 ميلاديًا). كانت عمليات البناء خلال تلك الفترة (التي تلت هجمات البدو عام 817 ميلاديًا) معروفة من خلال المصادر الأدبية، لكن هذا النقش يجيء كتأكيد لها ويثبت أنها تمت في العام 819/818 ميلاديًا.[16] وفي الحقيقة، ربما نتعامل مع أول الأعمال الرسمية التي قام السريان بتنفيذها في الدير. تشير أسماء البنائين إلى الرهبان التكريت، الذين قاموا في العام 816 ميلاديًا بشراء مخطوطة (محفوظة في المكتبة البريطانية تحت رقم 14.582) من دير القديس مرقص في صعيد مصر.[17]



(شكل 3) أقدم نقش سرياني، ويعود إلى عام 819/818 ميلاديًا.

هناك نقش آخر (غير مؤرَّخ) يحتل مكانًا بارزًا في الجزء الأمامي من صحن الكنيسة. من المحتمل أن يكون هذا النقش معاصرًا للنقوش السابقة، أو مبكرًا إلى حدٍّ ما. (شكل 4) يتكون هذا النقش من أربع كلمات مكتوبة بطريقة جميلة من أعلى إلى أسفل، معكوسة على الجانب الأيمن لخط القاعدة، ويقرأ هذا



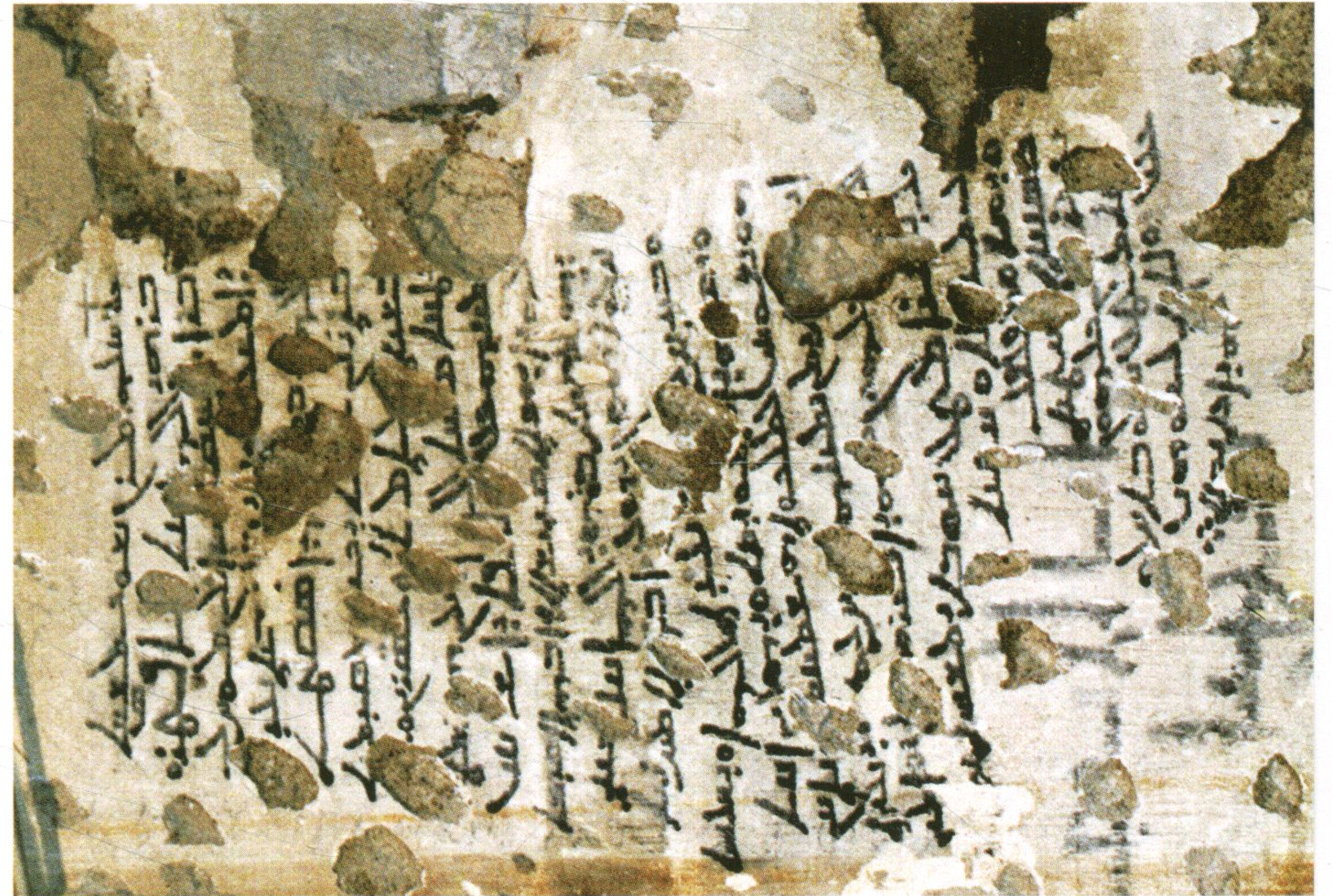
(شكل 4) أربع كلمات سريانية مكتوبة رأسيًا، ومعكوسة على الجانب الأيمن لخط القاعدة.

النقش كالتالي: 'المقدس سرياقوس، بطريرك أنطاكية'.[18] كان سرياقوس، ذو الأصل التكريتي، هو بطريرك كنيسة السريان الأرثوذكس في الفترة بين عامي 793 و817 ميلاديًّا. هل كان الأب سرياقوس متداخلاً، في السنوات العشرة الأخيرة من ولايته للبطريركية، في مهمة الرهبان السريان وفي خططهم للاستقرار في وادي النطرون؟ ربما كان هو سبب تكريمه والتعبير عن العرفان بالجميل له في الكنيسة، حتى وإن كان النقش يعود إلى سنة أو سنتين بعد مماته، فهو يعني بعد إتمام عمليات البناء التي تمت في عام 819/818 ميلاديًّا. يذكرنا الطراز الزخرفي لهذا النقش المتعاكس بطراز 'المرآة' المشابه له في جماليات الخط العربي، لكن الطراز السرياني يسبق الطراز الإسلامي بقرون عدة.[19]

يوجد على الحائط الجنوبي للكنيسة نقش ذو طبيعة مختلفة كلية عن النقوش الأخرى، وهو نقش طويل نسبيًّا (25 سطرًا)، حتى أسلوب الكتابة يختلف عن المعتاد حيث استخدم الخط السرطو المختصر أو السريع، بعيدًا عن الخط الإسطرنجيلي المربع الخاص بالنقوش السريانية الأخرى، وهو ما يدل على أننا نتعامل مع نقش غير رسمي. (شكل 5) يتحدث النقش عن زيارة شخص يدعى 'بيتر بن إسحق' إلى الدير، وهو من مدينة الموصل العراقية. تمت هذه الزيارة في عام ثلاثمائة وعشرين و ... هجريًّا (التاريخ غير مكتمل)، والذي يوافق ما بين عامي 932 و940 ميلاديًّا. نحن لا نعرف إذا ما كان 'بيتر' راهبًا (توجد في السطر الثالث كلمة محورية يستغلق فهمها أو قراءتها)، أو إذا ما كان زائرًا عابرًا أو مقيمًا في الدير.[20]

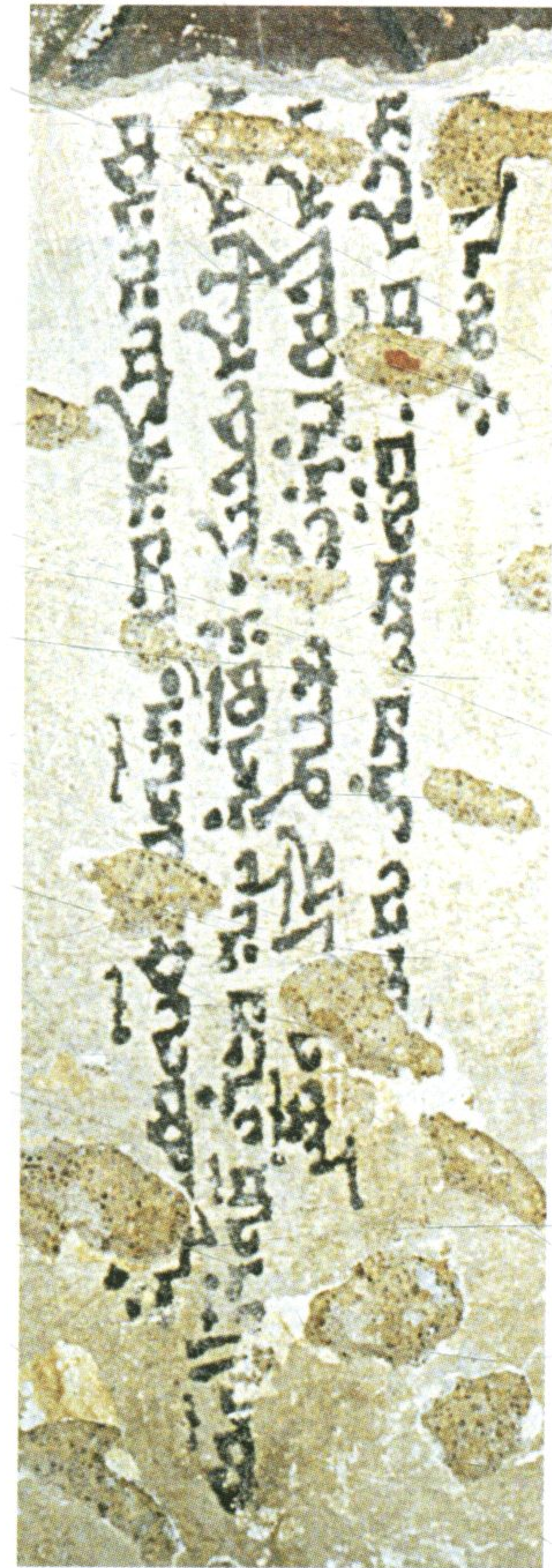
شهد الدير فترة ازدهار في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، أي فترة زيارة 'بيتر' للدير. كان الأب موسى رئيسًا للدير، ويعود مسقط رأسه إلى مدينة في شمال بلاد ما بين النهرين تسمى نصايبين. قام هذا البطريك بتوسيع قاعدة مقتنيات مكتبة الكنيسة من المقتنيات السريانية فور عودته من بغداد في عام 932 ميلاديًّا. سُجلت مجهودات البطريك موسى في إعادة بناء الدير من خلال نقش سرياني محفور على بابين من الخشب ما زالا موجودين داخل الكنيسة (جزء منها حفر بالنقش البارز). يعود تاريخ النقشين إلى العام 1225 و1238 'من التأريخ اليوناني'، والذي يوافق العام 914 والعام 927/926،[21] وقد ذكر في كليهما اسم البطريك القبطي والبطريك السرياني، وجاء ذكر اسم البطريك القبطي أولاً.

كانت النقوش السريانية داخل الكنيسة ذات استخدام مختلف، فبالإضافة إلى استخدامها في التدوين الرسمي لأعمال إعادة الإعمار، وإتاحة المعلومات للمعرفة العامة، وتدوين الملحوظات من جانب الزائرين، فقد استخدمت



(شكل 5) نقش بالخط السرطو المختصر (يعود إلى الفترة من 932-940 ميلاديًّا)

لتسجيل صلوات من أجل بعض الأشخاص (ربما كانوا بعض المتبرعين أو المحسنين)، أو نعيًا للميتين، أو إعلانًا عامًا (مثل ذلك المؤرخ بعام 1079/1078، والخاص بتبادل الخطابات الكنسية بين البطاركة الأقباط والسريان،[22] (شكل 6) كذلك وجدت النقوش السريانية في الرسوم، وهي تمدنا بأسماء بعض الشخصيات مع ترجمة مختصرة لسيرتهم الذاتية، حيث سمحت لنا النقوش السريانية على الحائط الشرقي من الخوروس بالتعرف على رسومات أشخاص شديدة التلف خاصة بالإمبراطور قسطنطين والملك أبجار[23] (شكلا 7، 8) مؤخرًا بدأت الدراسة التصنيفية والنظامية للنقوش السريانية، وبفضل الاكتشافات المستقبلية في الكنيسة سوف يتحقق وفرة في النقوش -سريانية، وقبطية، ويونانية، أو حتى عربية- وهو ما سيساهم بدرجة كبيرة في فهم تاريخ الدير كنقطة التقاء بين المجتمع المصري والمجتمع السرياني.



(شكل 6) نقش سرياني يعود إلى عام 1079 / 1078 ميلاديًا، حيث يشير إلى تبادل المراسلات بين البطاركة الأقباط والسريان.

لقد استطعنا من خلال خواتيم المخطوطات والنقوش أن نحصل على معلومات حول الخطوط الرئيسية لتاريخ وحياة الدير حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وهي فترة تنفيذ الرسومات على ثلاثة أنصاف قباب في الكنيسة (وهي تحتوي على عدد من الأسماء السريانية). لم توثق النقوش في كل من القرن الرابع عشر الميلادي والخامس عشر الميلادي بشكل كامل، ويفترض أنهما كانا فترة اضمحلال، لكن تمت عملية بعث وإحياء له في نهاية القرن الخامس عشر مع قدوم الرهبان السوريين واللبنانيين.[24] اكتشف مؤخرًا نقش سرياني مؤرخ بالعام 1286/1285 ميلاديًا منفذ على دعامة خشبية، ربما كانت عتبًا أو عضادة، يحمل هذا النقش أسماء البطاركة الأقباط والسريان،[25] (شكل 9). كذلك عُثر على نقش



(شكل 7) الملك أبجار، الحائط الشرقي للخوروس.



(شكل 8) الإمبراطور قسطنطين، الحائط الشرقي للخوروس.



(شكل 9) نقش سرياني على دعامة خشبية مكتشف حديثًا، يعود إلى عام 1286/1285 ميلاديًا.

منفذ على عمود من الرخام، ربما كان عضادة مذبح تعود إلى نفس الفترة،[26] ولا يعكس هذان النصان مهارة أو أناقة الفترة المبكرة.

أصبح الدير تدريجيًا في العصر المتأخر قبطيًا أكثر منه سريانيًا، وتوجد قرائن على ازدياد الأنشطة الكتابية باللغتين القبطية والعربية في القرن التاسع عشر الميلادي،[27] حيث بدأ دور السريان يضمحل في الدير، ليصبح الدير أحد أبرز أديرة الكنيسة القبطية.

كما رأينا أن سبب ثراء التاريخ السرياني لدير السريان يعود إلى الارتباط الوثيق بين الكنيستين الأرثوذكسيتين القبطية والسريانية.

أما مكتبة الدير (والتي وُزِّع القسم الأكبر منها الآن بين المكتبة البريطانية في لندن، والمكتبة الوطنية الفرنسية في باريس، ومكتبة الفاتيكان في روما، ومكتبة سان بطرسبرج) فقد ضمت بين جنباتها القليل من المخطوطات المكتوبة من خارج الكنيسة السريانية الأرثوذكسية. من ناحية لا توجد الكثير من المعلومات حول الجاليات السريانية الأخرى في مصر، حتى مع وجود ذكر لجالية سريانية شرقية في المصادر المختلفة.[28]

تجدر الإشارة في الوقت ذاته إلى أن آثار الكتابات السريانية لم تقتصر فقط على دير السريان، لكن يمكن العثور على آثار لهذه الكتابات في الأديرة القبطية الأخرى.

فبالإضافة إلى الأديرة السالفة الذكر (الفقرة الثانية، وغالبية هذه الأديرة لم تعد قائمة)، والتي يمكن العثور فيها على قرائن على تواجد السريان بها، إلا أنه يمكننا أن نجد نقوشًا أو مخربشات في دير القديس مقاريوس[29] وكذلك في دير باراموس. يوجد في دير أبو حنس في مصر الوسطى –وهو متهدم الآن– نقش يذكر اسم الكاهن يوسف يعود تاريخه إلى القرن العاشر الميلادي، وهناك نقش آخر على سقف إحدى قلايات الرهبان، لكن هذا النقش موضع جدل ونقاش وربما لم يمكن نقشًا سريانيًا بالمرة.[30] يوجد كذلك في كنيسة دير القديس أنطونيوس في البحر الأحمر عدد من المخربشات السريانية، بعضها سرياني اللغة، وبعضها عربي اللغة مدوَّن



(شكل 10) دير القديس أنطونيوس: رسم للقديس برسوما ممسكًا بنص سرياني وقبطي.

بالكتابة السريانية مثل Garshuni.[31] وهناك نقش آخر في نفش الدير، ولكنه أكثر دلالة. وقد دُوِّن هذا النقش على أحد رسومات الحائط الجنوبي لصحن الكنيسة، حيث نجد القديس السرياني بارسوم يحمل لفة بردي في يديه، يخرج من الجزء العلوي منها نص سرياني مكون من خمسة أسطر، فحين يخرج من الجزء السفلي نفس النص لكن باللغة القبطية.[32] (شكل 10)

وعندما نغادر دير القديس أنطونيوس لنعبر خليج السويس، نجد أنفسنا في شبه جزيرة سيناء، حيث دير سانت كاترين وهو الموقع التاريخي الرئيسي في سيناء، ويملك هذا الدير قصة خاصة به جديرة بالذكر بقدر ما للوجود السرياني من اهتمام. بادئ ذي بدء يختلف دير سانت كاترين عن الأديرة المصرية الأخرى، فهو يتبع منذ تأسيسه في القرن السادس الميلادي وحتى الآن الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية أي أنه دير خلقيدوني. يعتبر الدير اليوم يوناني اللغة، لكن حتى فترة مبكرة من العصر العثماني، تعايشت فيه عدة لغات مختلفة منها: اليونانية، والسريانية، والعربية، والجورجية، والسلافونية، وما زالت مخطوطات هذه اللغات محفوظة في مكتبة الدير. تعتبر المقتنيات السريانية داخل مكتبة الدير ذات أهمية بالغة، لكنها لم تفهرس كلها.[33] لقد جُلبت المخطوطات السريانية المبكرة إلى الدير من أماكن متفرقة من سوريا، حيث كُتبت أو أُحضرت هذه المخطوطات بواسطة المسيحيين الخلقيدونيين السريان، وعادة ما يطلق عليهم الملكانيين، مثل (مخطوطة الاتفاق على مذهب الكنيسة البيزنطية)، إذًا كان هناك تواز وتساوق لأحداث دير السريان، حتى وإن كانت المخطوطات مجلوبة من الدوائر السريانية الأرثوذكسية. في الحقيقة لا يمكن تحديد بداية كتابة المخطوطات السريانية في سيناء بشكل دقيق، لكن أقدم القرائن المؤكدة تعود إلى العام 886 ميلاديًّا، ويعتبر القرن الثالث عشر أكثر الفترات إنتاجًا- بعد الفجوة الكبيرة التي حدثت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين- حيث دُونت تسع وثلاثون مخطوطة في سيناء، يعود تاريخها بين العامين 1234 و1299 ميلاديًّا.[34] ارتبط معظم النساخ بمنطقة تقع بين دمشق وحماة (تضم هذه



(شكل 11) مقتطفات من الصلوات. مخطوط سينائي رقم 111، ويعود إلى عام 1251 ميلاديًّا.



(شكل 12) مخطوط سينائي رقم 30. لوح مسيح. الكتابة السابقة: الأناجيل الأربعة (كتابة سريانية قديمة)، الكتابة اللاحقة: سير القديسين. 779 ميلاديًّا.

المنطقة العديد من الأماكن مثل معلولا وصيدانيا)، والتي لايزال بها حتى يومنا هذا طائفة يونانية أرثوذكسية، وطائفة كاثوليكيًا أرثوذكسية. (شكلا 11، 12)

هناك سبب آخر يجعل من دير سانت كاترين مهمًّا في تتبعنا للوجود السرياني في مصر، وهو أن دير سانت كاترين لم يجذب فقط المسيحيين الخلقيدونيين ذوي الخلفية السريانية، لكنه جذب رهبان فلسطين والمناطق المتاخمة والذين استخدموا الآرامية الفلسطينية. تعتبر الآرامية الفلسطينية، على عكس السريانية التي تعتبر لغة آرامية شرقية، لغةً آراميةً غربيةً لكن تعتبر كتابتها شديدة القرب من الخط الإسطرنجيلي السرياني المبكر. لذلك يعتبر دير سانت كاترين أهم مأوى أو مجمع للمخطوطات المسيحية الفلسطينية. دُون عدد قليل من المخطوطات إبان الفترة المبكرة للأدب الآرامي الفلسطيني المسيحي (من القرن الخامس إلى القرن الثامن الميلادي)، لكن تم إحضار العديد منها من الخارج إلى الدير، ثم محيت وتمت إعادة استخدامها كلوح ممسوح للكتابة عليه بالسريانية، أو العربية، أو الجورجية. في فترة لاحقة، بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، حدثت انتعاشة أو ثورة أدبية في الأدب الآرامي الفلسطيني المسيحي، وتركز محوره عند دير سانت كاترين. من ناحية أخرى، تم إنتاج العديد من المخطوطات الطقسية داخل الدير، حيث يظهر بها دائمًا Garshuni مثل (العربية المكتوبة بالخط الآرامي المسيحي الفلسطيني)، وهو ما يشير إلى استخدام الخط الآرامي الفلسطيني المسيحي في الطقوس ليس فقط من قبل المسيحيين، لكن كذلك من قبل العرب.

لم يكن دير سانت كاترين هو المكان الوحيد الذي تم العثور فيه على النصوص والآرامية الفلسطينية المسيحية. أولاً نُقلت بعض أوراق المخطوطات إلى مكتبة دير السريان، إما أنها ذات أصل سوري وإما أنها ذات أصل مصري. كذلك أعيد استخدام عدد كبير من صفحات المخطوطات المسيحية الفلسطينية الآرامية كألواح ممسوحة في تدوين المخطوطات العبرية في جنيزة القاهرة.[35] أخيرًا، يوجد لوحة خشبية، معروضة الآن في متحف اللوفر في باريس، تحتوي على فقرات مدونة بالآرامية الفلسطينية المسيحية، وأخذت هذه الفقرات من أناجيل لوقا، ويوحنا، ومن الرسالة إلى أهل رومية (للقديس بولس)، هذا وربما قد أعيد استخدام هذه اللوحة في القرن السابع الميلادي لرسم قبطي (مصحوبًا بنقش قبطي) اكتشف مؤخرًا في مدينة إدفو في صعيد مصر،[36] وليس من المؤكد في كل هذه الحالات إذا ما كان النص الآرامي الفلسطيني المسيحي قد حُرِّر في مصر. يشار إلى الوجود والآرامي الفلسطيني المسيحي في مصر من خلال صلاة طقسية خاصة بمباركة مياه النيل مدونة في خمس وعشرين مخطوطة، ومن الراجح كانت هذه الجالية جزءًا من البطريركية الأرثوذكسية اليونانية بالإسكندرية.[37]

يجب إضافة مجموعة أخرى إلى جموع الجاليات التي استخدمت اللغات والخطوط السريانية والآرامية الفلسطينية المسيحية، وهم المانويون. كما هو معروف ومثبت أن اللغة المانوية الأصلية هي لهجة آرامية ظهرت في القرن الثالث في بابل، وهي شبيهة إلى حد ما باللغة السريانية. أحضرها المبشرون المانويون إلى مصر، ومنها ترجموا العديد من الكتابات المانوية إلى اللغة القبطية. وقد ألقى اكتشاف مهم في واحة الداخلة الضوء على بعض الألواح الخشبية المنقوش عليها قاموس سرياني-قبطي بالإضافة إلى بعض الكتابات

السريانية واليونانية المدونة على الرَّق، وبما أن البيئة الأثرية تشير إلى وجود بعثة مانوية في هذه المنطقة، فيمكننا القول بأننا نتعامل مع الدليل الوحيد على وجود كتابات مانوية سريانية.[38]

لقد ازدهرت على أرض مصر كل الكتابات التي ذكرناها باختصار: السريانية (كما استخدمها السريان الأرثوذكس، والمسيحيون الملكانيون)، والآرامية الفلسطينية المسيحية، والسريانية المانوية. لعبت العقيدة دورًا في جلب نصوص هذه الجاليات من أوطانهم إلى مصر حيث وجدوا فيها الظروف الملائمة لاستقبالهم، وسمحت لهم هذه الظروف بحفظ وإثراء تراثهم الأدبي. إن القرائن والبراهين الموجودة في مصر، أينما كانت محفوظة سواءً في المكتبات، أو على الأرفف، أو تحت الرمال أو على الجص، فهي ذات أهمية قصوى في دراسة هذه محتوى هذه الكتابات.

الهوامش

1 J. Clédat, *Le Monastère et la Nécropole de Baouit.* Notes mises en œuvre et éditées par D. Bénazeth et M.-H. Rutschowscaya, *MIFAO* 111 bis (Cairo, 1999), 9.

2 W.E. Crum, H.G. Evelyn White, *The Monastery of Epiphanius at Thebes,* part I (New York, 1926), 152, 342, and plate 17.

3 H.E Winlock, *et. al, The Monastery of Epiphanius at Thebes,* part II, 140-142.

4 L. Van Rompay, A. B. Schmidt, 'Takritans in the Egyptian Desert: The Monastery of the Syrians in the Ninth Century', *Journal of the Canadian Society for Syriac Studies* 1 (2001), 43-44.

5 Van Rompay, Schmidt, *Journal of the Canadian Society for Syriac Studies* 1, 46-48.

6 S.P. Brock, '*Notulae Syriacae: Some Miscellaneous Identifications*', *Le Muséon* 108 (1995), 74-76.

7 Brock, 'Without Mushê of Nisibis, Where Would We Be? Some Reflections on the Transmission of Syriac Literature', *Journal of Eastern Christian Studies* 56 (2004), 15-24.

8 Evelyn White, *The Monasteries of the Wâdi'n Natrûn,* Part II, *The History of the Monasteries of Nitria and of Scetis* (New York, 1932), 439-458.

9 J.M. Sauget, '*Le Fragment de Papyrus Syriaque Conservé à Florence*', *Annali dell'Istituto Universitario Orientale di Napoli* 45 (Napoli, 1985), 1-16, with 2 plates; Brock, 'Two Syriac Papyrus Fragments from the Schøyen Collection', *Oriens Christianus* 79 (1995), 9-22; Wm. Brashear, 'Syriaca', *Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete* 44 (1998), 1: 86-127. Brock, 'A Syriac Letter on Papyrus: P. Berol. Inv. 8285', *Hugoye: Journal of Syriac Studies* 2/2 (1999), http://syrcom.cua.edu/Hugoye/index.html; Fr; Bigoul el-Souriany, Van Rompay, 'Syriac Papyrus Fragments Recently Discovered in Deir al-Surian' *Hugoye* 4/1 (2001) http://syrcom.cua.edu/Hugoye/index.html.

10 K.C. Innemée, Van Rompay, 'La Présence des Syriens dans le Wadi al-Natrun. À propos des découvertes récentes de peintures et de textes muraux dans l'église de la Vierge du Couvent des Syriens', *Parole de l'Orient* 23 (1998), 167-202; J. den Heijer, 'Relations between Copts and Syrians in the Light of Recent Discoveries at Dayr as-Suryân', in: M. Immerzeel and J. van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium,* Part II, *Orientalia Lovaniensia Analecta* 133 (2004, Leuven), 923-938.

11 Bigoul el-Souriany, '*The Manuscript Collection of Deir al-Surian: Its Survival into the Third Millennium*', in: M. Immerzeel and J. van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium, Orientalia Lovaniensia Analecta* 133, 281-294.

12 H. Kaufhold, '*Kirchliche Gemeinschaft und Schisma im Spiegel syrischer Schreibervermerke*', *Oriens Christianus* 85 (2001), 107-115; Van Rompay, 'Les inscriptions syriaques du Couvent

des Syriens (Wadi al-Natrun, Égypte), in: F. Briquel Chatonnet, M. Debié et A. Desreumaux (eds.), *Les inscriptions syriaques, Études syriaques* 1 (Paris, 2004), 62.

Innemée, Van Rompay, *Parole de l'Orient* 23, 191-193. 13

Van Rompay, in: Briquel Chatonnet, Debié et 14
Desreumaux (eds.), *Études syriaques* 1, 58-60.

B. Snelders, M. Immerzeel, *'The Thirteenth-Century* 15
Flabellum from Deir al-Surian in the Musée Royal de Mariemont (Morlanwelz, Belgium. With an Appendix on the Syriac Inscriptions by Van Rompay), *Eastern Christian Art* 1 (2004), 113-139.

U. Monneret de Villard, *Les Églises du Monastère des* 16
Syriens au Wâdî en-Natrûn, (Milan,1928), 20; J. M. Fiey, 'Coptes et Syriaques. Contacts et échanges', *Studia Orientalia Christiana Collectanea* 15 (1972-1973), 325-326; den Heyer, in: Immerzeel and van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium*, Part II, 925-927.

Van Rompay, Schmidt, *Journal of the Canadian* 17
Society for Syriac Studies 1, 50-51; Van Rompay, in Briquel Chatonnet, Debié et Desreumaux (eds.), *Études syriaques* 1, 64-66; den Heyer, in Immerzeel and van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium*, Part II, 927-929.

Van Rompay, Schmidt, *Journal of the Canadian* 18
Society for Syriac Studies 1, 49-50; Van Rompay, in: Briquel Chatonnet, Debié et Desreumaux (eds.), *Études syriaques* 1, 66-68; den Heyer, in Immerzeel and van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium*, Part II, 925-927.

A. Schimmel, *Islamic Calligraphy, Iconography of* 19
Religions 22/1 (Leiden,1970), 11.

K.D. Jenner, Van Rompay, 'New Syriac Texts on the 20
Walls of the al-ᶜAdrâ' Church of Dayr as-Suryân', *Mitteilungen zur christlichen Archäologie* 4,(1998), 96-99; Innemée, Van Rompay, *Parole de l'Orient* 23, 174-175.

J. Leroy, 'Le Décor de L'église du Couvent des Syriens 21
au Ouadi Natroun (Égypte)', *Cahiers archéologiques* 23 (1974), 151-167.

Innemée, and Van Rompay, *'Deir al-Surian (Egypt):* 22
New Discoveries of January 2000', *Hugoye* 3/2 (2000), par. 26-32; Van Rompay, in: Briquel Chatonnet, Debié et Desreumaux (eds.), *Les Études Syriaques* 1, 55-73; den Heyer, in: Immerzeel and van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium*, Part II, 930-933.

Innemée, and Van Rompay, *'Deir al-Surian (Egypt):* 23
New Discoveries of 2001-2002', *Hugoye* 5/2 (2002), par. 30-40.

Innemée, *Van Rompay, Parole de l'Orient* 23, 190-191. 24

Van Rompay, and Schmidt, *'A New Syriac Inscription* 25
in Deir al-Surian (Egypt)', *Hugoye*: 4/1 (2001).

M. J. Martin, *'A Syriac Inscription from Deir al-* 26
Surian', *Hugoye* 5/2, (2001).

Bigoul el-Suriany, *'The Manuscript Collection of Deir* 27
al-Surian: Its Survival into the Third Millennium', in: M. Immerzeel and J. van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on the Threshold of a New Millennium*, *Orientalia Lovaniensia Analecta* 133, 284-286.

O. Meinardus, *'The Nestorians in Egypt'*, *Oriens* 28
Christianus 51 (1967), 112-122.

Evelyn White, *The History of the Monasteries of Nitria* 29
and of Scetis, Part II (New York, 1932), 74, 76, 81.

J. Jarry, *'Les Inscriptions Syriaques de Deir Abu Hennes* 30
en Moyenne Égypte', *BIFAO* 68 (1969), 121-131, and plates 37-46; Jarry, *'Nouvelles Inscriptions Coptes, Grecques, Arabes et Syriaque de Deir Abou Hennes'*, *Bulletin de la Société d'Archéologie Copte* 21 (1971-1973), 55-81; A. Gasse, 'Rapport préliminaire d'une mission épigraphique à Deir Abou Hennes', *ASAE* 69 (1983), 96-102.

S.H. Griffith, 'The Handwriting on the Wall. Graffiti 31
in the Church of St. Antony', in: E.S. Bolman and P. Godeau (eds.), *Monastic Visions. Wall Paintings in the Monastery of St. Antony at the Red Sea* (New Haven and London, 2002), 189.

P. van Moorsel, *Les Peintures du Monastère de Saint-* 32
Antoine près de la Mer Rouge MIFAO 112, (1995), 130-131; van Moorsel, *MIFAO* 112/2, 67-68; B. A.

Pearson, 'The Coptic Inscriptions in the Church of St. Antony', in: E.S. Bolman and P. Godeau (eds.), *Monastic Visions*, 222.

Brock, *Catalogue of Syriac Fragments (New Finds) in the Library of the Monastery of Saint Catherine*, Mount Sinai (Athens,1995); M. Philotea du Sinaï, 'Les nouveaux manuscrits syriaques du Mont Sinaï', in: R. Lavenant (ed.), *III[e] Symposium Syriacum 1980, Orientalia Christiana Analecta* 221 (Rome, 1983), 333-339. 33

Brock, '*Syriac on Sinai: The Main Connections*', in: V. Ruggieri and L. Pieralli (eds.), *EYKOΣMIA. Studi miscellanei per il 75o di Vincenzo Poggi S.J. Soveria Mannelli*: Rubbettino (2003), 109 and 113-116. 34

M. Sokoloff, J. Yahalom, 'Christian Palimpsests from the Cairo Geniza', *Revue d'histoire des textes* 8 (1978), 109-132. 35

A. Desreumaux, 'Une inscription araméenne melkite sous une peinture copte du musée du Louvre. Le texte araméen melkite', *Oriens Christianus* 80 (1996), 82-97. 36

G. Margoliouth, 'The Liturgy of the Nile', *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (1896), 677-731; C. Müller-Kessler, *Grammatik des Christlich-Palästinisch Aramäischen* 1, *Texte und Studien zur Orientalistik* 6 (Hildesheim, 1991), 25. 37

M. Franzmann, I. Gardner, 'Section B: Syriac Texts', in: I. Gardner (ed.), *Kellis Literary Texts* 1, *Dakhleh Oasis Project* 4, (Oxford, 1996), 101-131; I. Gardner, 'The Manichaean Community at Kellis: A Progress Report', in: P. Mirecki and J. BeDuhn (eds.), *Emerging from Darkness. Studies in the Recovery of Manichaean Sources. Nag Hammadi and Manichaean Studies* 43 (Leiden, 1997), 165-166. Franzmann, 'Addenda et Corrigenda', in: Gardner, A. Alcock, and W.-P. Funk (eds.), *Coptic Documentary Texts from Kellis* 1, *Dakhleh Oasis Project* 9 (Oxford, 1999), 344-364. حول القطع القليلة السابق معرفتها، انظر: R. Contini, 'Hypothèses sur l'araméen manichéen', *Annali di Ca' Foscari, Rivista della Facoltà di Lingue e Letterature Straniere dell'Università di Venezia* 34 (1995), 3: 65-107. 38

الكتابات الأمهرية في مصر*

شيرين رمضان

الأمهرية هي اللغة الرسمية لإثيوبيا، والتي يتم التحدث بها على نطاق واسع في الجزء الشمالي الغربي والجزء الأوسط للبلاد.[1] وهي تنتمي لعائلة اللغات السامية، وهي اللغة الوحيدة في تلك العائلة التي تُقرأ من اليسار لليمين.[2] ويتم التحدث باللغات السامية في أثيوبيا منذ ألفي عام، وقد تأثرت الأمهرية كثيرًا خلال هذه الفترة باللغات الأخرى للمناطق التي كانت لأثيوبيا اتصال معها.[3] (شكلا 1، 2)

(شكل 1) نظام الكتابة السبئية.

اشتقت الأبجدية الإثيوبية المقطعية من الكتابة العربية الجنوبية الصامتة التي كانت مستخدمة في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية من حوالي 1500 قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، وقد أصبحت إثيوبيا خلال القرن الأول قبل الميلاد تدريجيًا مستعمرة للتجار والمستوطنين السبئيين،[4] لذلك أصبحت اللغة العربية الجنوبية السبئية هي لغة الأدب والكتابة لإثيوبيا، بيد أن اللغة الإثيوبية كانت هي لغة الحديث، علاوة على أن فرعًا من الخط السبي شكل أساسيات الإثيوبية الكلاسيكية 'الجعزية' الأمهرية الحديثة.[5]

هذا بالإضافة إلى أن 'الجعزية' أخذت 24 رمزًا من الكتابة السبئية.

(شكل 2) تطور الخط السبئي إلى الخط الجعزي.

لم تعرف الجعزية الحروف الليّنة قبل القرن الرابع الميلادي، أما مع بدايات النصف الأول من القرن الرابع الميلادي[6] فقد تم استخدام اللهجة الإثيوبية والخط المنطوق في الأغراض الأدبية على يد ملوك أكسوم.[7]

ويرجع تاريخ العلاقات الإثيوبية مع مصر ووادي النيل إلى مصر القديمة، الذين بعثوا العديد من الحملات لجنوب البحر الأحمر للبحث عن الصمغ والمنتجات المحلية الأخرى.[8] وبعد ذلك بعدة قرون ،وبعد مجيء المسيحية لإثيوبيا في بداية القرن الرابع، كانت مصر القبطية هي الأرض التي منها أخذت إثيوبيا معظم البطاركة. ومن الموثوق به أن الكنيسة الإفريقية الأرثوذكسية كانت تحت زعامة الكنيسة المصرية القبطية حتى القرن العشرين، حيث كان رأس الكنيسة الإثيوبية يتم اختياره بواسطة البطريرك القبطي من الرهبان المصريين. وتشير الدلائل البيليوجرافية بوضوح إلى أن الإثيوبيين لابد وأن يكونوا قد تعلموا كتابة مخطوطاتهم على الرَّق النفيس من أسلافهم المسيحيين في مصر.[9]

وفي مصر، لاتزال الأمهرية يتم التحدث بها وكتابتها بالخط الجعزي داخل الكنيسة الإثيوبية الأرثوذكسية. (شكلا 3أ-ب، 4)

أما في القرن السادس فقد تم ترجمة وإعادة كتابة سيرة 'تكلا هيمانوت'[10] أشهر وأهم القديسين الأحباش (سياسيًا ودينيًا) من اللغة الإثيوبية للعربية.[11]

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار العهد القديم الإثيوبي، إلى جانب الكتب التي تحتويها الترجمة السبعينية، وتضم من بينها كتابين من كتب الأبوكريفا[12] لم تعد موجودة لا في نسختنا من العهد القديم، ولا في كتبنا غير القانونية، وخاصة كتاب اليوبيل، وكتاب أخنوخ. وللكتاب الأخير أهمية خاصة لاحتوائه على اقتباسات من إنجيل يهوذا. غير إنه قد فقد

(شكل 3أ) نص كهنوتي مكتوب باللغة الأمهرية، حيث يشير إلى العلاقة بين الكنستين القبطية والإثيوبية.

(شكل 3ب) ترجمة النص إلى العربية.



(شكل 4) مجموعة من الأيقونات الإثيوبية تصور السيدة العذراء والمسيح. اللوحة محفوظة في الكنيسة البطرسية في القاهرة.

بالكامل باستثناء بعض من اقتباسات سينسيليوس، إلى أن جاء جيمس بروس ببعض مخطوطات منها من الحبشة في عام 1773، وقام بتحرير إحداها المطران لورانس في عام 1821. وقد ظل الأصل اليوناني غير معروف حتى عام 1886 حين وجدت قطعة من الرَّق تم اكتشافها في مدينة أخميم بمصر تحتوي على الإصحاحات الستة والثلاثين مع أجزاء من الإنجيل وأبوكريفا بطرس.[13]

الهوامش

1 Richard Pankhurst, *The People of Africa, The Ethiopians* (Oxford, 1998), 8.

2 وهذه كانت من التطورات التي حدثت نتيجة التأثيرات اليونانية، حيث تم تغيير اتجاه الكتابة. انظر: Fischer R. Steven, *A History of Writing* (London, 2003), 105

3 David Appleyard, *Colloquial Amharic: A Complete Language Course* (London, 1995), 2.

4 George L. Compbell, *Handbook of Scripts Alphabets* (London, 1997), 55.

5 John F. Healey, *Reading the Past, The Early Alphabet* (London, 1990), 47.، يذكر أن الخط الحبشي مأخوذ من الخط الحميري (المسند)وهو خط النقوش العربية الجنوبية. وقد كتب هذا الخط مثل غيره من الأبجديات السامية بالحرف الصامت فقط، أما الخط الحبشي فقد أضيفت إليه الحروف المتحركة، ولهذا فلكل صامت منه له سبعة أشكال حسب حركته. انظر في ذلك: جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربي، (القاهرة، 1969)، 172-171. وكذلك: سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، (القاهرة، 1997).

6 http://www.omniglot.com/writing/ethiopic.htm

7 نشأت مملكة أكسوم حوالي 300 قبل الميلاد، ووصلت لقمتها تحت حكم الملك إيزانا، ثم انحدرت في القرن الـ 12 الميلادي بسبب انتقال مركز القوة للإمبراطورية الأثيوبية إلى الجنوب. وقد طورت المسلة العملاقة كمثال معماري مميز.

8 Pankhurst Richard, *The People of Africa*, 9.

9 Aziz Atya, *The Coptic Encyclopedia* 3, (New York, 1991), 975-984.

10 تكلا هيمانوت: اسمه يعني بالحبشية 'نبتة الإيمان'، ينحدر من أسرة عبرية عاشت في أثيوبيا، والده يدعى 'صِجَا زأبْ' أي 'عطية الآب'، ووالدته سارة، قام بعمل العديد من المعجزات، وعلى سبيل المثال زيادة الدقيق والزيت عندما كان صغيرًا، ومعجزة الجناحين وتلاشي الروح الشريرة للشجرة. انظر: See: http://www.st-takla.org/Story-index.html

11 Aziz Atya, *The Coptic Encyclopedia* 3, 978.

12 كلمة الأبقريفا أتت للإنجليزية من اليونانية وأساسًا تعني الخفي، واستخدمت للإشارة إلى الشيء الخفي أو غير المعروف، ولكنها استخدمت أيضًا للإشارة إلى الكتاب غير المعروف مصدره أو غير المعلوم، وفي النهاية أخذت الكلمة معنى الكتاب غير الموافق للقوانين الكنسية. انظر: http://www.bibletopics.com/biblestudy/23.htm

13 www.katapi.org.uk

الكتابات العربية في مصر*

خالد عزب

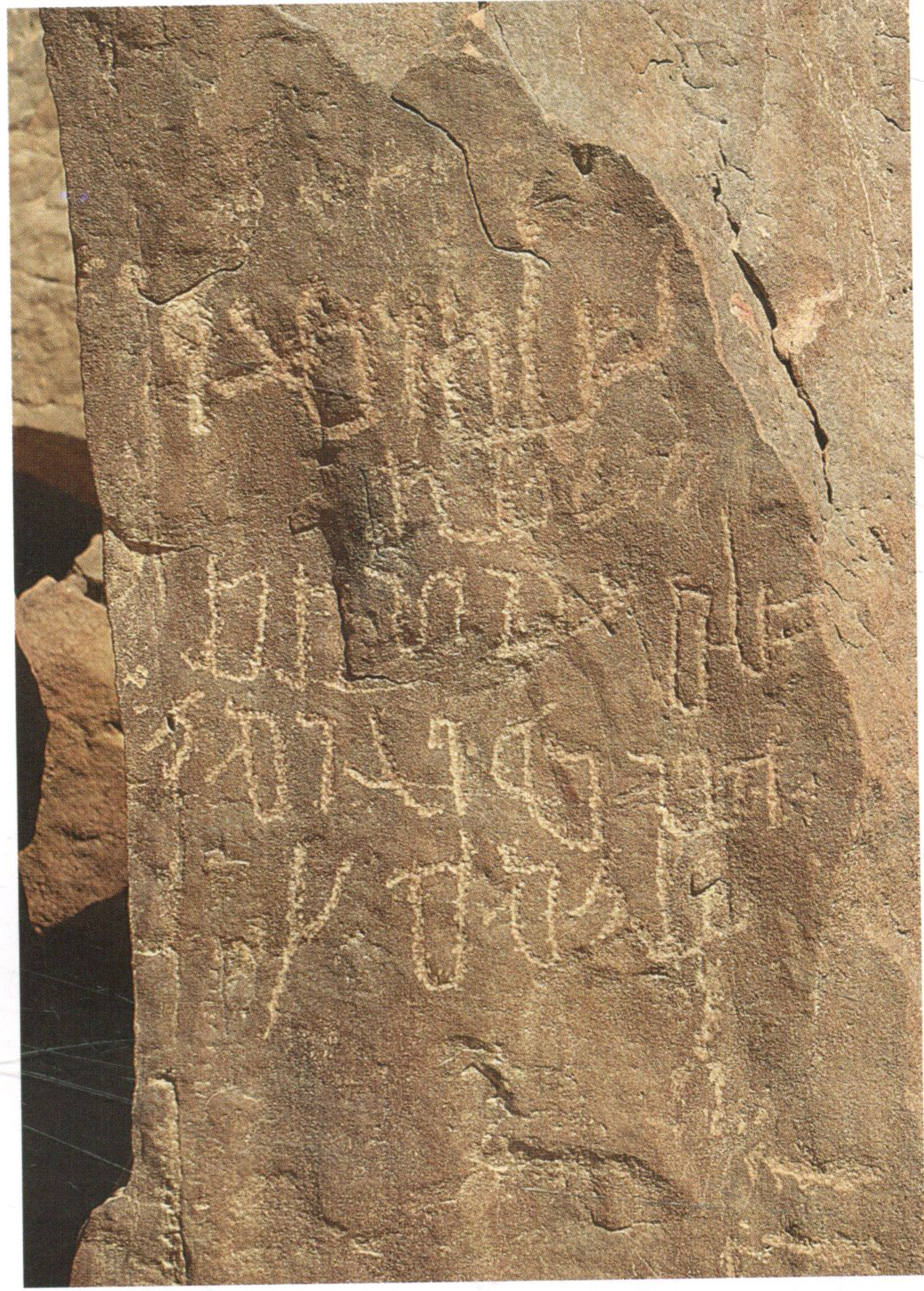
للخط ثلاث صفات بحسب أهميتها هي: وضوح قراءة الخط وفهمه -فقد قالوا لا أحسن الخط ما يقرأ- وسهولة كتابته، وجمال منظره.

تعود أهمية الخط في الإسلام إلى كونه الفن الذي احتفظ عبر القرون وإلى عصرنا بأعلى المستويات الجمالية والفنية، وتعود أصول وجذور الخط والكتابة العربية إلى الكتابة والخط النبطي. والأنباط هم شعب عربي الأصل يتكون من عدة قبائل هاجرت من بوادي الحجاز نحو الشمال إلى منطقة مدين واستقروا في منطقة البتراء، حيث استنبطوا المياه، واسمهم يتفق مع هذه الكلمة، فكلمة 'نبط' عربية قديمة بمعنى استنبط الماء بحفر الآبار، وكان دافعهم للهجرة إلى هذه المنطقة هو السيطرة على الشريان الاقتصادي الحيوي في غرب الجزيرة العربية، المسمى بـ 'الطريق التجاري العظيم' أو 'طريق الذهب و البخور'.

احتلت البتراء[1] - عاصمة دولة الأنباط- موقعًا استراتيجيًا هامًا، يُمَكِّن لمن يستولي عليه من السيطرة على هذه التجارة الثمينة. عثر من خلال الاكتشافات الأثرية في مدينة البتراء على مساكن وقلاع، كما توجد بها أيضا مقابرهم المنحوتة في الصخر التي لاتزال واجهاتها ماثلة حتى اليوم وكثير منها في حالة جيدة. استخدم الأنباط الثروة التي تدفقت عليهم نتيجة تمكنهم في الطريق التجاري العظيم وتعاملهم مع أسواق الشام في تكوين دولة قوية خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد، والتي امتدت حدودها من مدائن صالح جنوبًا إلى دمشق شمالاً، وأصبحت مدائن صالح هي العاصمة الثانية بعد البتراء.[2]

في تلك الأثناء كانت لغة المعاملات التجارية في أسواق الشام في ذلك الوقت (مع بداية ظهور قوة الأنباط) هي اللغة الآرامية والخط الآرامي الذي طوروه إلى الخط النبطي، ويبدو أن استخدام الأنباط تلك اللغة الأجنبية جعلهم ينفتحون على الثقافات والحضارات المحيطة بهم فأخذوا من كل من الحضارة اليونانية والرومانية والعراقية والمصرية، ولكن تأثرهم بالحضارة اليونانية الرومانية كان أكثر شمولاً وعمقًا. غير أن الأنباط ما لبثوا أن غلبت عليهم سماتهم العربية الأصلية، وظهر ذلك واضحًا في لغتهم فقد دخلتها الكثير من الكلمات والتغيرات العربية، وبذلك صارت لهم لغة خاصة بين الآرامية والعربية ويطلق عليها الباحثون اللغة النبطية.

ظهر العديد من النظريات حول اشتقاق الخط العربي فمنها من يقول بأنه قد اشتق في الأصل من الخط المسند،



(شكل 1) نقش نبطي، وادي مكتب.

أو من الخط الحميري، أو الخط السرياني، لكن الأقرب إلى الصواب أنه اشتق من الخط النبطي، بحسب رأي الدكتور عبد المنعم سيد، والأدلة على صحة هذا الرأي هي:[3]

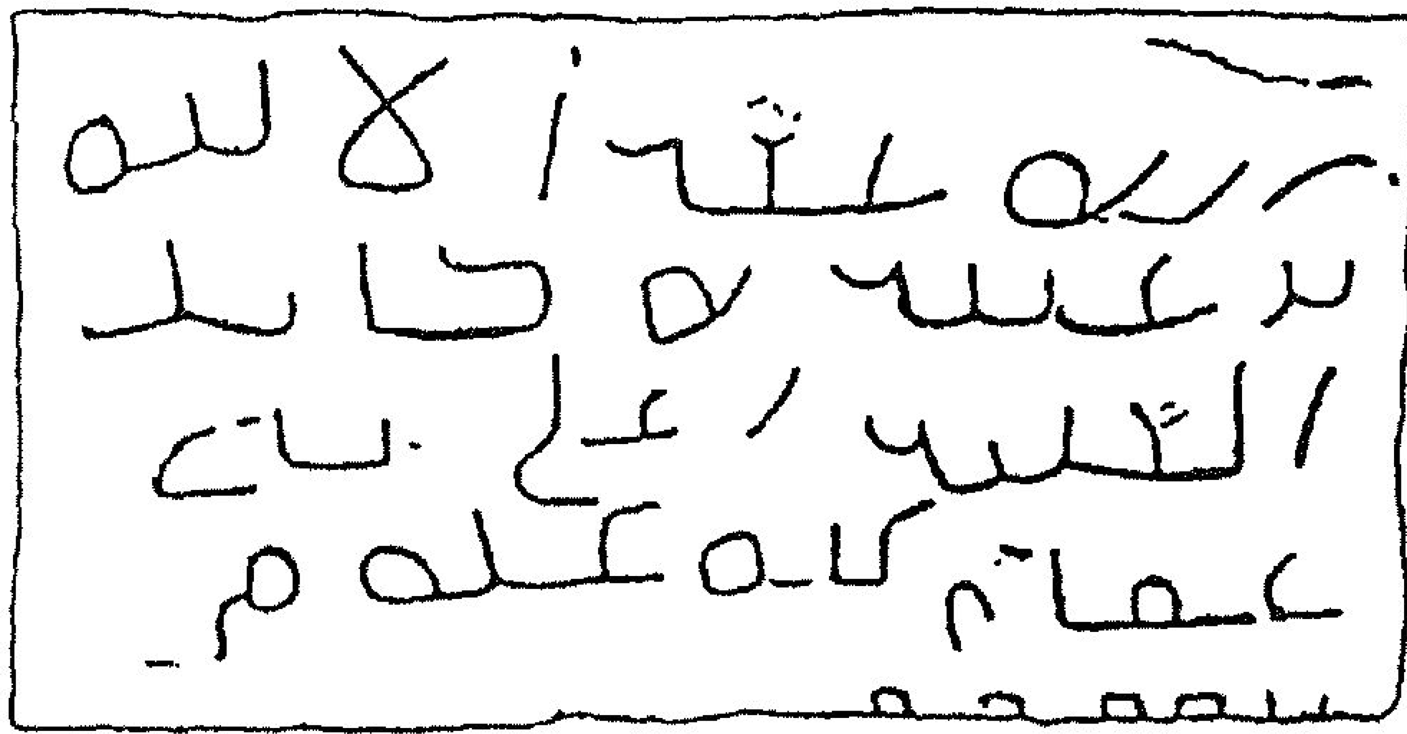
1 - التشابه الواضح بين الخط العربي المبكر والخط النبطي.

2 - وجود الأربطة التي تميز الخط العربي في الخط النبطي المتأخر. (شكل 1)

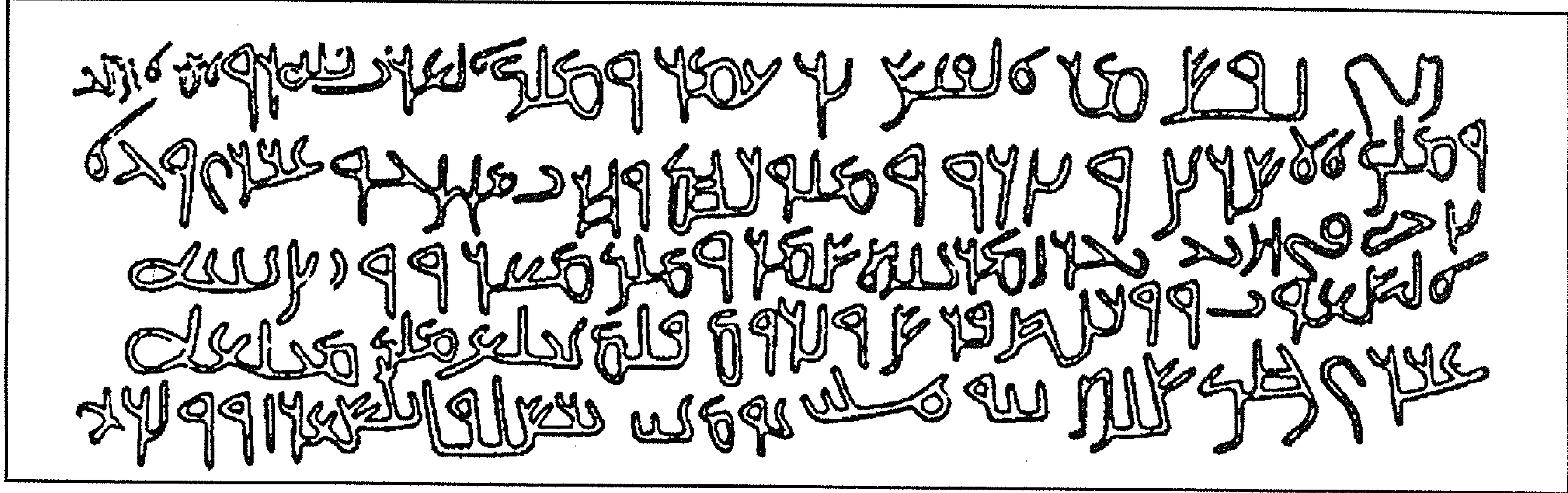
3 - عدم وجود تنقيط للحروف في الخط النبطي مثل الخط العربي المبكر.

4 - جاء ترتيب الحروف في الأبجدية العربية متطابقًا مع ترتيبها في الأبجدية النبطية وهو الترتيب المعروف بـ (أبجد هوز).

لا يزال موطن نشأة الخط العربي موضع خلاف وانقسام بين العلماء، فهناك من ينادي بأن الشام هو الموطن الأول لنشأة الخط العربي بدليل العثور على نقوش نبطية تظهر الخصائص العربية في خطها ولغتها، وأقدمها نقش أم الجمال المبكر الذي يرجع إلى حوالي عام 250م، (شكل 2) ثم نقش النمارة الذي يعود لعام 328م (شكل 3)، اعتمادًا على أن الخط النبطي السينائي هو همزة الوصل بين الخط النبطي في الشام والخط العربي. أما الفريق الثاني فيرى أن الحجاز هي موطن نشأة الخط العربي، بدليل العثور على نقوش نبطية متزامنة مع نقوش الشام، وهي نقش مدائن صالح الذي يعود إلى عام 267م، ونقش العلا الذي يرجع لعام 307م، وقد انتقل هذا الخط المتطور إلى مكة ويثرب حين نشأ الخط العربي المبكر، ومن ثمَّ نقل العرب المسلمون هذا الخط إلى الحيرة عند فتح العراق وتأسيس الكوفة عام 17هـ/638م، وأن كُتَّاب الكوفة طوروه وحسَّنوه وكتبوا به المصاحف فسُمِّي بالخط الكوفي.[4]

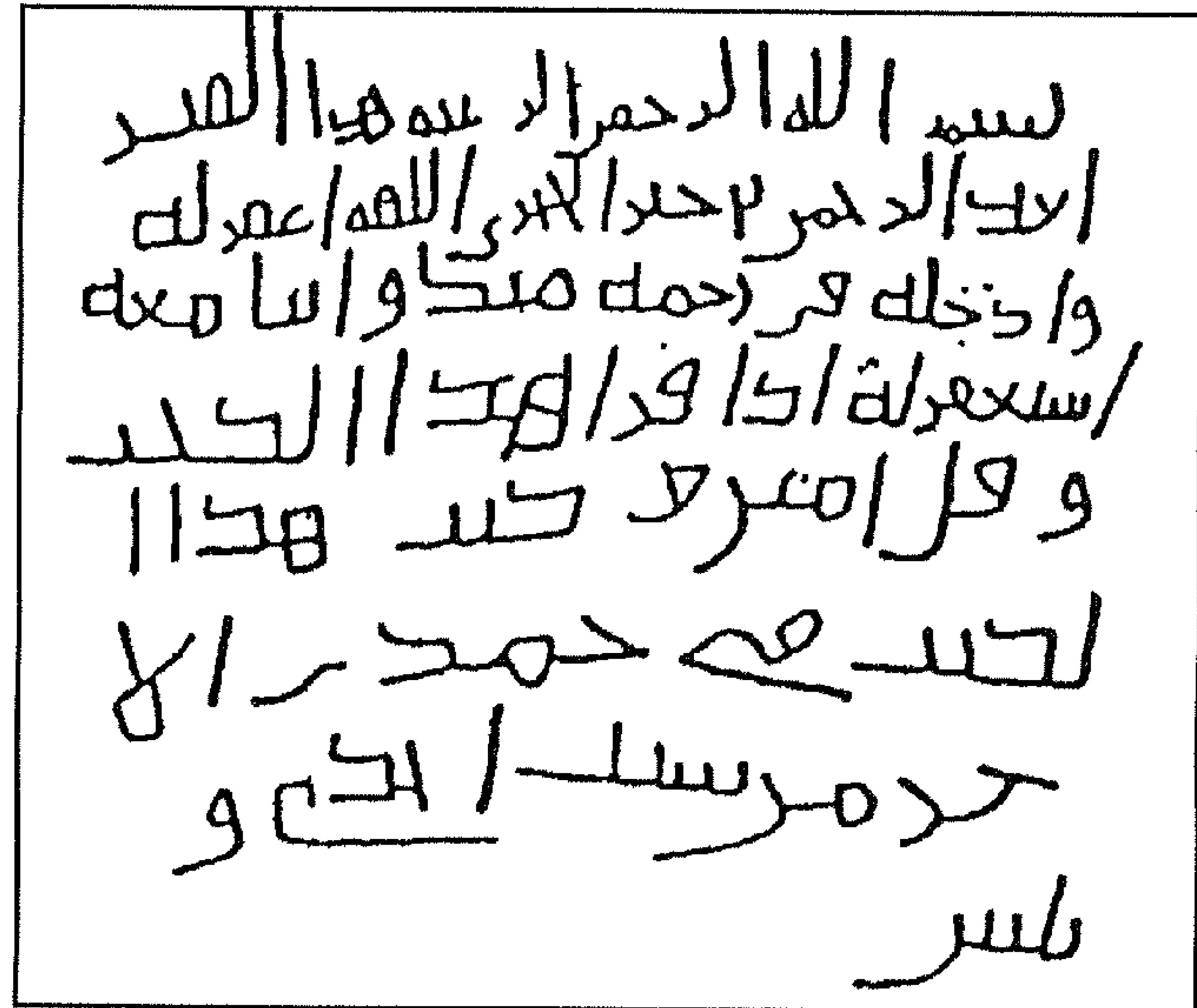


(شكل 2) نقش أم الجمال.



(شكل 3) نقش نمارة.

من ناحية أخرى نجد أن العرب تركوا أثناء رحلاتهم إلى مصر أو خلال إقامتهم فيها مجموعة من النقوش بلغ عددها ثلاثة عشر نقشًا، تختلف فيما بينها من حيث خطوطها و لهجاتها، وقد عُثر على بعض منها على مسارات الطرق التجارية المؤدية إلى المراكز الحضارية في مصر والبعض الأخر كُشف النقاب عنه ضمن مواقع أثرية في مصر. هذه النقوش هي المعينية، والحضرمية، والثمودية، واللحيانية.[5]



(شكل 4) شاهد قبر عبد الرحمن خير الحجري من القرن الأول الهجري كتب بالخط الكوفي البدائي عثر عليه في مقابر أسوان

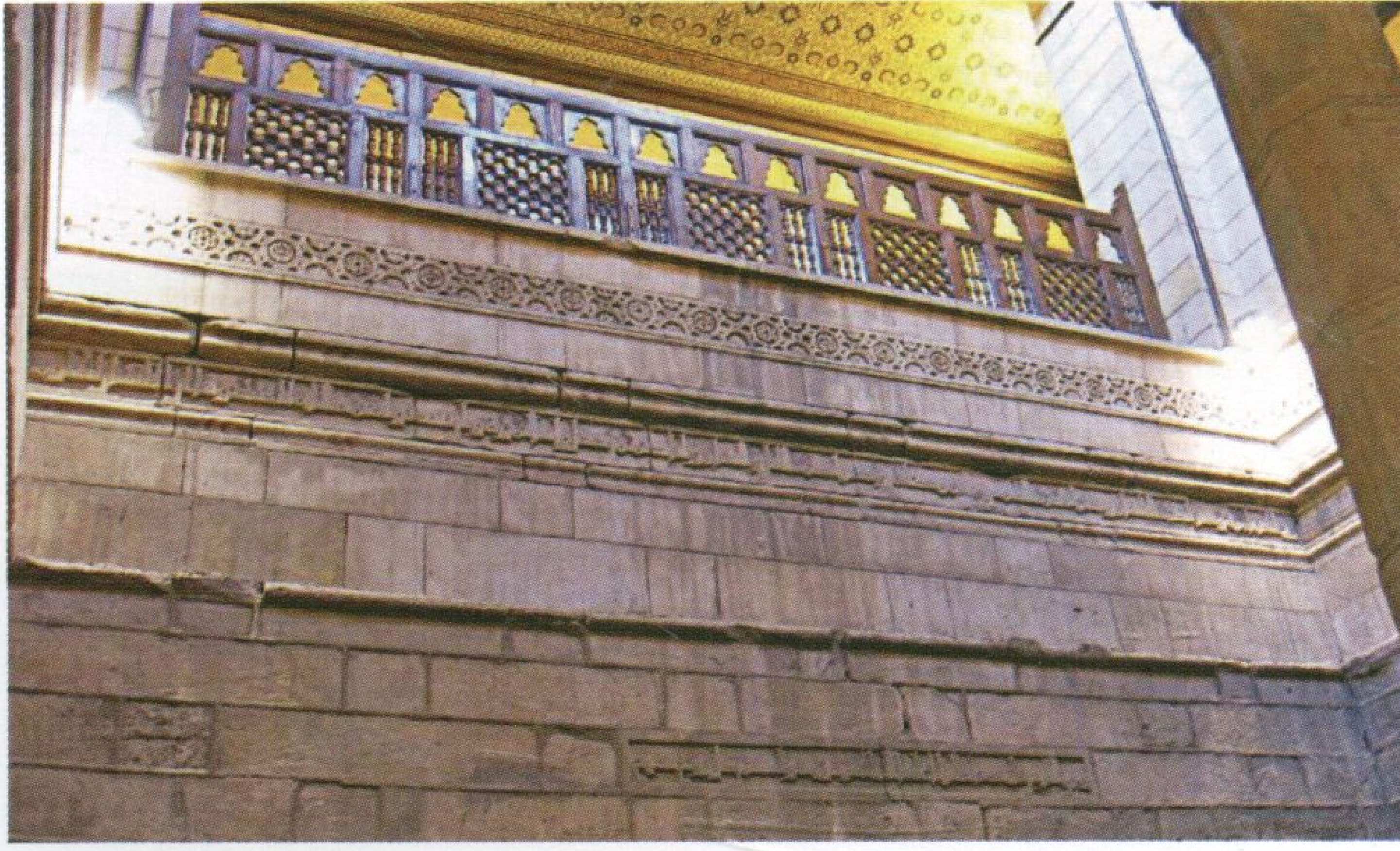
لقد استخدم المسلمون منذ مطلع التاريخ الإسلامي نوعين من الخط يمثلان الأسلوبين الرئيسيين للخط العربي هما الخط الجاف الذي عرف بالكوفي ذي الحروف المستقيمة والزوايا القائمة والحادة، والخط اللين ومنه النسخ المرن ذو الحروف المقوسة والمستديرة، وشهد كل منهما مراحل عديدة من التطور والابتكار. لكن أدى شيوع الخط اليابس أو الكوفي في بدايات الحضارة الإسلامية خاصة في المكاتبات الرسمية، والمصاحف، وشواهد القبور، والنصوص التأسيسية، والتحف الفنية إلى اعتباره الخط الرئيسي، ومن أقدم النصوص التي كتبت في مصر بهذا الخط شاهد قبر عبد الرحمن بن خير الحجري الذي يعود إلى سنة 31هـ/652م (شكل 4)، فخط هذا الشاهد يعبر عن الخط الكوفي في بداياته *Primitive Kufic*، ومن أبرز مظاهره عدم الدقة في رسم الحروف حتى يكاد الإنسان يتصور أن نقوش هذا النوع أولى مراحل تطور الكتابة العربية، حيث لم تدركها مزايا الخط الجيد كالتفريج بين السطور وعدم التساوي بينهما، مما يشير إلى أن قواعد الخط لم تستقر بعد. كذلك يوجد في جبل الناقوس في مدينة الطور بجنوب سيناء ثاني أقدم نقش عثر عليه في مصر، ويعود إلى عام 35هـ/656م (شكل 5). بدأ الخط الكوفي رويدًا رويدًا

يميل نحو التأنق والتجميل، دون أن تدخل على الحروف نفسها أية زيادات أو لواحق زخرفية، إلا أنه يبدو عليه التناسق بين الحروف والكلمات، واستقامة الأسطر، والالتزام بعدد معين من الكلمات في كل سطر تتناسب مع مساحة أو عرض السطر نفسه، وهذا يعني أن الخطاط يضع لنفسه خطة هندسية كتابية قبل أن يشرع في الكتابة. عرف هذا النوع من الخط الكوفي بالكوفي البسيط *Simple or plain kufi*، ومن أبرز نماذجه نص تأسيس مقياس النيل في جزيرة الروضة بالقاهرة الذي يعود لسنة 247هـ/861م، ويعد أقدم نص تأسيس في العمارة الإسلامية بمصـر. (شكل 6)، ونص تأسيس مسجد أحمد بن طولون الذي يعود لسنة 265هـ/871م. (شكل7)

تستمر رحلة الخط الكوفي نحو التطور فيظهر لنا منه الخط الكوفي البسيط ذو الهامات الزخرفية *Kufi with elaborate Apices*، وفي هذا النوع بدأ الخط الكوفي يتحول عن الخط الكوفي التقليدي الذي كتبت به المصاحف خلال القرون الأولى من الهجرة، ليأخذ شكلاً زخرفيًّا حيث رسمت هامات الحروف في نقوش هذا النوع ذات حافة مائلة على شكل قطة القلم، تطورت هذه الهامات لتأخذ شكلاً زخرفيًّا، خاصة على العمائر والتحف الفنية، فيما ظلت خطوط المصاحف تحتفظ بالصورة التقليدية للخط الكوفي، وعرف هذا التطور في الخط الكوفي بالكوفي البسيط ذي الهامات الزخرفية *Kufi with Elaborate Apices*. فلقد رسمت هنا هامة الحروف على شكل خطاف أو هلب أو صنارة، وهذه



(شكل 5) نقش جبل الناقوس، جنوب سيناء.



(شكل 6) نص تأسيس مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة. يعود هذا المقياس إلى سنة 247هـ/861م، حيث يعتبر أقدم نقش تأسيس باقٍ في العمارة الإسلامية.



(شكل 7) نقش تأسيس جامع أحمد بن طولون (265-263 هـ/879-876 م). ويشتهر الجامع بنقوش الكوفية الجميلة.

الصفة في الحروف وجدت في النقوش النبطية المتأخرة والنقوش السينائية، وظهرت في العديد من شواهد القبور منها شاهد قبر مؤرخ بسنة 191هـ/807م وآخر مؤرخ بسنة 196هـ/812م.

تستمر رحلة تطور الخط الكوفي لنرى الكوفي المورق Floriated kufi حيث تتحول هامة الحرف إلى نصف ورقة نخيلية Half palmette وبدأت تنشأ الأوراق النباتية من الحروف وأحيانًا أخرى من إطار الكتابة وهي عبارة عن أنصاف مراوح نخيلية، أو أوراق ثلاثية الفصوص three lobed leaves، ويلاحظ أن العناصر النباتية تتصل بالحرف مباشرة، وبعد أن زخرفت الحروف الطالعة بالزخارف السابقة عرفت بعض الحروف ذات القوائم القصيرة مثل حرف 'الباء' وما في مستواها الزخارف النباتية، كما رُسمت بعض الحروف على هيئة زخارف نباتية-7 نقش تأسيس جامع أحمد بن طولون. مثل: رسم حرف 'العين' وأختها على شكل زهرة اللوتس أو ورقة نباتية ثلاثية الفصوص three lobed leave أو حرف 'الميم' الذي رُسم على هيئة زهرة محورة، غير أن أكثر الحروف إبهارًا وأكثرها ملاءمة في بنيتها وهيئتها للتحول إلى الكوفي المورق حرف 'اللام ألف'، حيث تحول قائمتها إلى أوراق نباتية كما تحولت قاعدتها إلى أوراق ثلاثية الفصوص، وهذه الظواهر تعكسها مجموعة من شواهد القبور محفوظة في متحف الفن الإسلامي في القاهرة تعود للقرن 3هـ/ 9م.

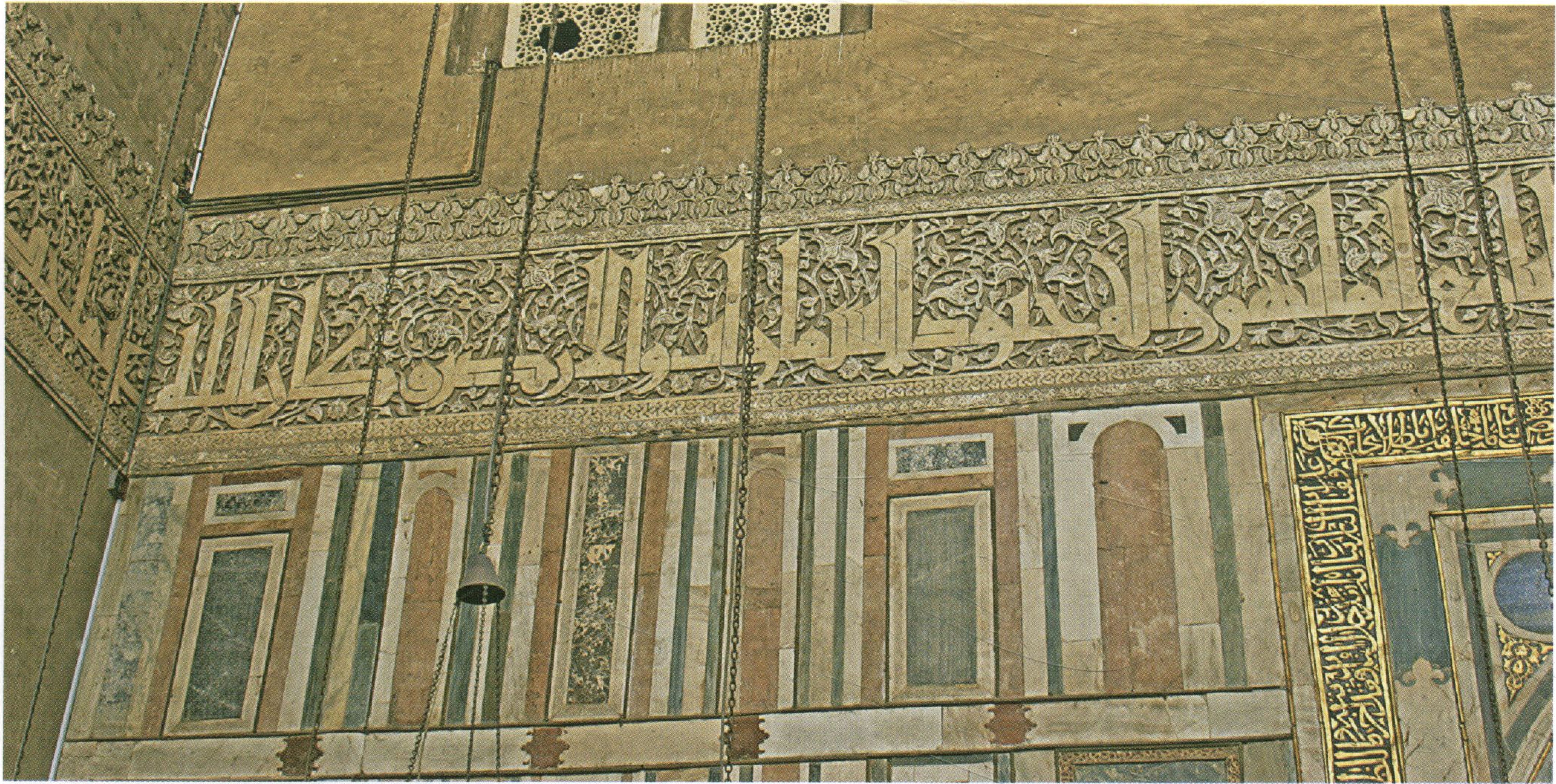
انتقل الخط الكوفي بعد ذلك إلى مرحلة الكوفي المزهر *Floriated Kufi*؛ فبعد أن كانت الورقة النباتية جزءً لا يتجزأ



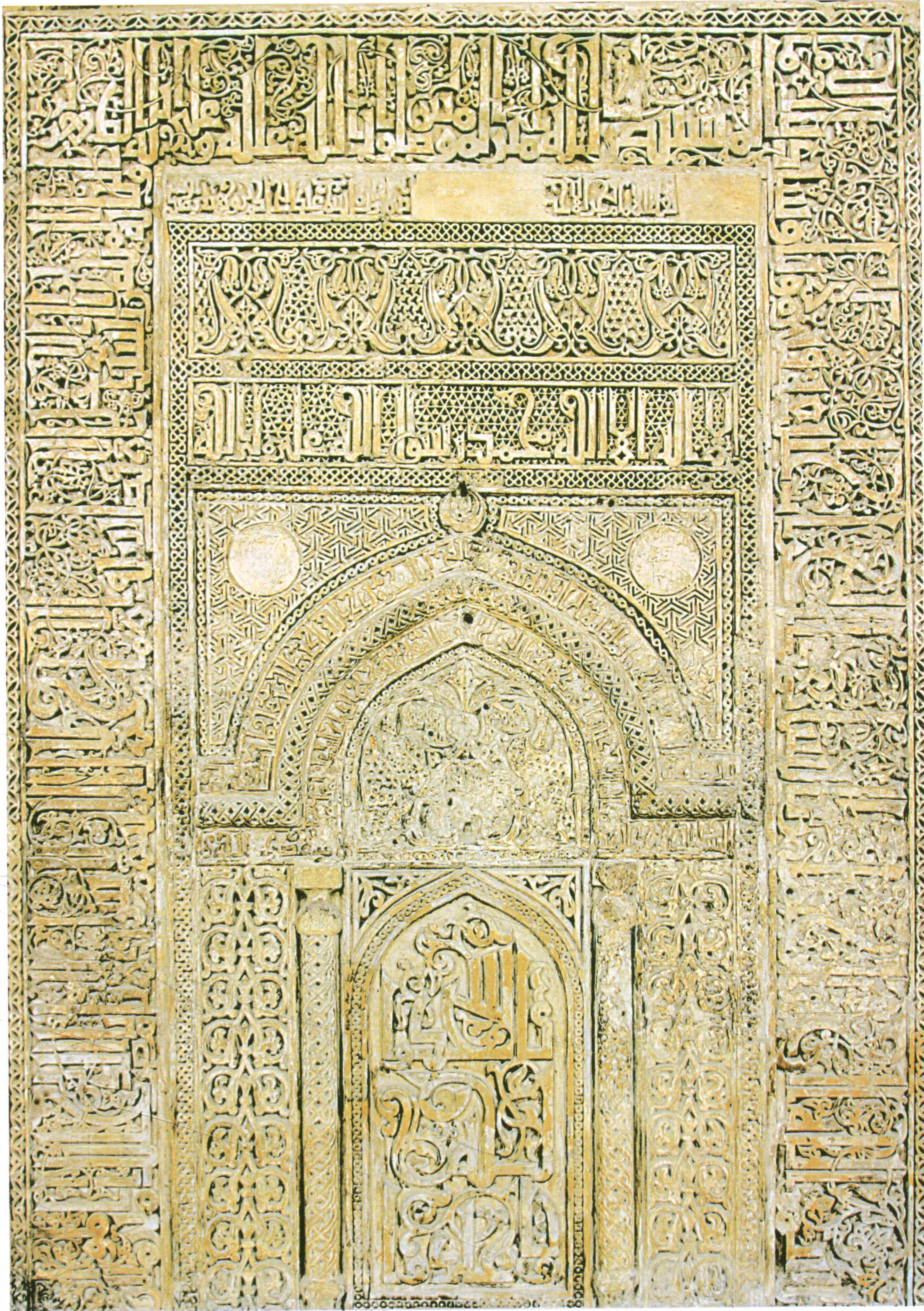
(شكل 8) يعد الجامع الأزهر المسجد الجامع لمدينة القاهرة، تعود أهمية نقوشه إلى أنها تمثل نقله نوعية في الخط الكوفي.

من الحرف، بدأ تحوير عراقات الحروف، وتحويلها إلى هيئة فروع نباتية، فامتدت وطالت وخرجت منها الأوراق النباتية، ومن أمثلة هذا الخط نقوش وكتابات الجامع الأزهر (359هـ - 361هـ) (شكل 8). جذب الخط الكوفي ذو الأرضية النباتية انتباه مؤرخي الفنون لروعته، ففيه يكتب الخط الكوفي على أرضية تزخرفها وحدات متكررة من الأفرع النباتية المتموجة التي تخرج منها أوراق نباتية مختلفة الشكل. يختلف هذا الشكل من الخط الكوفي المزهر في أن الزخرفة النباتية في النوع الأخير تخرج من الحروف نفسها، أي أنها تتصل فعلاً بالحروف وتعتبر جزءًا منها، في حين أنها في الخط الكوفي ذي الأرضية النباتية تنفصل الكتابة انفصالاً تامًّا عن الزخرفة النباتية بالأرضية، وإن كانت الزخرفة النباتية تضفي على الخط الكوفي رونقًا، وتخفف بما فيها من أقواس وانحناءات وحركات من جمود الخط الكوفي المزوي، وبذلك يحدث نوع من التوازن الزخرفي الجميل والمتناغم بين الجمود والليونة. تعددت نماذج هذا الخط خاصة في العصر الفاطمي، لكن أروع نماذجها ظهر في إيوان مدرسة السلطان الناصر حسن في القاهرة 757هـ/1356م (شكل 9). ظهرت أيضًا كتابات كوفية ذات أرضيات هندسية، من أمثلتها الشريط الكتابي الذي يوجد بمحراب الأفضل شاهنشاه بجامع أحمد بن طولون، والذي يحمل عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). (شكل 10)

يعد الخط الكوفي المضفر *The interlaced or plaited Kufi* من أطرف أنواع الخط الكوفي التي ظهرت في مصر، ففيه تضفر قوائم الحروف العمودية، فتصبح كالضفائر أو الجدائل ذات الأفرع المتداخلة، ويوجد بين الثنيات



(شكل 9) تعد مدرسة السلطان حسن درة العمارة المملوكية في مصر، وهي تعود إلى سنة 727هـ/1362-1356م.



(شكل 10) كتابات كوفية بمحراب الأفضل شاهنشاه بجامع أحمد بن طولون بالقاهرة.

عقد صغيرة كثيرة، بالإضافة إلى أنواع وأشكال كثيرة من العناصر المجدولة. لا يقتصر التضفير على قوائم الكلمة الواحدة، بل كثيرًا ما تضفر معًا قوائم عديدة من الكلمات، ومن ثم تتكرر الأشكال على قوائم الكلمة الواحدة، بل كثيرًا ما تضفر قوائم عديدة من الكلمات، ومن ثمَّ تتكرر الأشكال المضفرة على طول شريط الكتابة بحيث تكون شريطًا زخرفيًّا. ويرجح أن هذا الشكل ابتكر في إيران في القرن 3هـ/9م، ومن أروع أمثلته الباقية في مصر النصوص الكتابية المكونة من أجزاء من آية الكرسي بداخل قبة الإمام الشافعي، المؤرخة 608هـ/1211م، وكذلك في نقش تأسيس مشهد السيدة رقية (527هـ/1133م). (شكل 11) يقودنا هذا النوع من الخط إلى نوع آخر هو الخط الكوفي ذي الإطار الزخرفي *Kufi with decorative border*، وفي هذا النوع يتم تحوير هامات الحروف الطالعة ومدها حتى إطار الكتابة العلوي فتنكسر عند اصطدامها بإطار الكتابة وتسير في خط موازٍ لإطار الكتابة العلوي حتى تلتقي بطرف آخر ويتم ربطهما بتضفير خطي، ويضاف هذا الإطار الزخرفي فتتكون بذلك منطقتان أفقيتان متوازيتان ومنفصلتان، وقد يتكون الإطار الزخرفي من زخارف نباتية تتكون من هامات الحروف الطالعة أسفل إطار الكتابة العلوي، وترسم متراصة لتكون إطارًا نباتيًّا يحتل الجزء العلوي من الشريط الكتابي، أو يتم تضفير هامات الحروف الطوالع ليكون إطارًا من التضفير. اكتسب الخط الكوفي أيضًا من العمارة بعض أشكالها، فظهر منه نوع عرف بالخط الكوفي المعماري *Kufi with architectural decorative*، ويمتاز هذا الخط بأن قمته تتكون من زخارف متداخلة على شكل زوايا كالكوابيل أو على شكل عقود من أنواع مختلفة مستديرة أو مدببة، بدأ هذا النوع برسم أقواس صغيرة بين الحروف، ثم انتهى بتطويع أطراف الحروف الطالعة ومدها لتشكيل أشكال معمارية متعددة الأشكال، كما يقوم الخطاط في هذا النوع بترتيب الحروف بشكل متماثل بحيث يتساوى الجزء الأيمن مع الأيسر في الشكل المعماري.



(شكل 11) محراب السيدة رقية.

بدأت هذه الظاهرة في لفظ الجلالة، حيث لعبت قدسية هذا اللفظ وما يمثله في العقيدة الإسلامية، وما يتبوأه في نفوسهم في الاهتمام بشكله، ومحاولة إكسابه جمالاً ورونقًا، فقام الفنان بزخرفته بالأشكال المعمارية وخاصة العقود التي تشير إلى معنى ديني، فربما تشير إلى كونها بابًا مفتوحًا في لفظ الجلالة وكأن الفنان المسلم يرمز إلى أن رحاب الله مفتوحة لعباده.

ظهرت أول نماذج هذا الخط في شواهد القبور، وبالتحديد في النقوش بين 'لامَي' لفظ الجلالة في شاهد قبر مصري مؤرخ بعام 191هـ/1806م، ثم في مشاهد قبر مؤرخ بعام 201هـ/1816م، ولقد تطور هذا الشكل ليأخذ شكل عقد ذي ثلاثة فصوص three foiled arch، وذلك في شاهد قبر مؤرخ بعام 199هـ/ 814م.

ظهر أيضًا نوع آخر من الخط الكوفي عرف بالخط الكوفي ذي الأشكال الهندسية Kufic with rectangular forms، وتميز هذا الخط عن بقية الخطوط الكوفية الأخرى، بأن حروف الكتابة فيه ذات شكل قائم الزوايا، متناهي الدقة شديد الاستقامة، بحيث تعطي الكتابة في شكلها الكامل بهذا الأسلوب مظهر الرسم لرسم أو تخطيط هندسي منظم أو مرتب، أو بمعنى آخر ذو طابع هندسي بحت، هذا إلى جانب أنه في مجموعة أيضًا زخرفي بحت، وربما تتعذر قراءة عباراته لشدة تداخلها واشتراك حروفها المرتبة والمحصورة داخل إطار هندسي الشكل يحيط بها، يبلغ غاية قصوى من الدقة والروعة، تثير الإعجاب بقدرة مبدعيها من الفنانين المزخرفين وعلى ما بذلوه فيها من قوة التركيب والتأليف والتصميم. وتتعدد الأشكال الهندسية التي نفذ خلالها منها، الكتابات الكوفية الهندسية المستطيلة 'الكوفي المستطيل'



(شكل 12) نقش كوفي هندسي على واجهة منبر مسجد السلطان أبو العلا ببولاق.

oblong geometrical Kufic inscriptions وتعني الكتابة الكوفية قائمة الزوايا المحصورة والمرتبة داخل شكل هندسي مستطيل، ومن أبرز أمثلتها حشوة خشبية بواجهة منبر مسجد السلطان أبو العلا ببولاق 890هـ/1485م، (شكل 12) والكتابات الكوفية الهندسية المربعة: 'الكوفي المربع' square geometrical Kufic inscriptions ويقصد بها الكتابة الكوفية قائمة الزوايا المحصورة والمرتبة بداخل شكل هندسي مربع أو المنظمة داخل مساحة مربعة، ومن أمثلة الكوفي الهندسي الكتابات الكوفية الهندسية المثلثة والكوفي المثلث triangle geometrical kufic inscriptions، وتعني الكتابة الكوفية قائمة الزوايا المرتبة بداخل شكل هندسي مثلث الأضلاع. يوجد أيضًا نوع من الكتابات الكوفية المخمسة 'الكوفي المخمس' pentagon geometrical kufic inscriptions ويقصد بها الكتابات الكوفية قائمة الزوايا والمرتبة داخل شكل هندسي مخمس الأضلاع، لكننا سنتوقف قليلاً أمام نموذج من الكتابات الكوفية الهندسية المثمنة أو ما يعرف بالكوفي المثمن octagonal geometrical kufic inscriptions، وهي كتابة كوفية قائمة الزوايا بداخل شكل هندسي مثمن الأضلاع، وأروعها لوح رخامي مثمن يعود للعصر المملوكي، يؤرخ بالقرن 8هـ/14م وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عليه كتابة بالخط الكوفي المثمن، تتشابك فيها الكلمات في تكوين هندسي رائع، حيث تتضمن اللوحة لفظ الجلالة 'الله' واسم الرسول 'محمد' وأسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وتتميز حروف هذه الكلمات بأنها عمودية، وباستطالتها وتشابكها مع بعضها تشابكًا كليًّا في انسجام وتناظر.

اشتهرت الأنواع السابق ذكرها من الخط الكوفي الهندسي، بالكوفي المربع وعرفت في اللغة الإنجليزية بـ Rectangular kufic - Square kufic-Quadrangular kufic وفي الفرنسية بـ le Kufique carré -Écriture kufique quadrangulaire، وظهرت نماذج من هذا النوع من الخط في العصر الفاطمي، كتشكيل كلمة محمد في قطب قبة مشهد الجيوشي 478هـ/1085م، وانتشر انتشارًا واسعًا في عمائر العصر المملوكي، حيث رأى فيه الفنانون تنوع أشكاله العمودية والأفقية، وهو ما يمكن استغلاله من الناحية الزخرفية، فأقبلوا عليه وأبدعوا فيه أيما إبداع.

يعتبر ضريح السلطان قلاوون 683-684هـ/-1285 1284م أقدم مثال معماري قائم معروف في مصر، بالنسبة لاستخدام الخط الكوفي الهندسي المربع كحلية كتابية يعود للعصر المملوكي، وذلك في ثماني لوحات رخامية بوزرة



(شكل 13) ثماني لوحات رخامية بوزرة ضريح السلطان قلاوون.

الضريح في أوضاع رأسية وأفقية منتظمة، بحيث يوجد على جانبي كل جدار من الجدران الأربعة للضريح لوحتان، وتنقسم اللوحات المذكورة إلى مجموعتين الأولى تتميز بكبر حجمها، ومساحة لوحاتها الأربعة المستطيلة. تشتمل كل لوحة على ثلاث وحدات مربعة، تتكرر في كلٍّ منها الزخرفة الخطية، والمجموعة الثانية تتميز بصغر حجمها، وتشتمل كل لوحة على وحدتين مربعتين فقط. حلِّيت كل وحدة من الوحدات المربعة في اللوحات الثماني بكتابة هندسية مربعة، متماثلة في الشكل والمضمون في كل وحدة مربعة منها حيث تتألف من كلمة 'محمد' تتكرر أربع مرات بداخل مساحة كل وحدة مربعة بشكل زخرفي منظم ومرتب. كتبت كلمة



(شكل 15) البلاطة الخزفية التي تحمل توقيع الخزاف المملوكي الشهير غيبي بن التوريزي بالخط الكوفي المربع.



(شكل 14) إيوان مدرسة السلطان حسن.

‘محمد’ في كل سطر من السطور الأربعة، بحيث تكون قاعدة الكلمة مرتبة بحذاء كل ضلع من أضلاع الوحدة المربعة، كما رتبت في نفس الوقت بحيث تتلاقى معًا رؤوس حرف الميم الأول في كلمة محمد من الكلمات الأربعة في وسط الوحدة. (شكل 13).

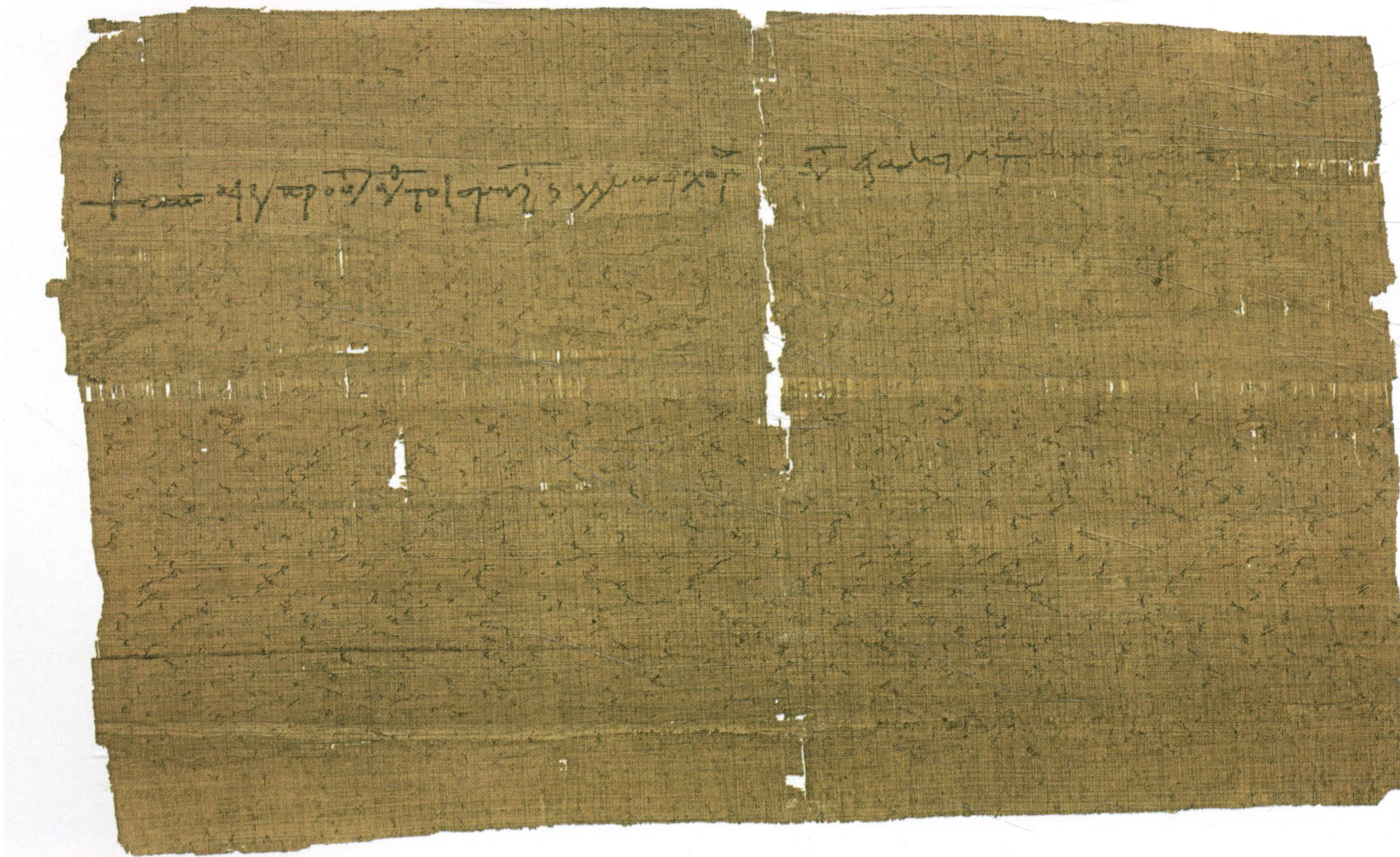
ويعد نموذج الخط الكوفي الهندسي في مدرسة السلطان حسن (شكل 14) وفي البلاطة الخزفية التي تحمل توقيع غيبي عن التوريزي من أبدع نماذج هذا الخط (شكل 15)

منذ القرن 6هـ/12م، بدأ الخط الثلث ينافس الخط الكوفي وينتزع منه مكان الصدارة كخط تسجيلي رسمي، بعد أن كانت له السيادة طوال هذه الفترة، غير أن الخط الكوفي كما يتضح من بعض الأمثلة السابق ذكرها كان له حضوره فكتبت به فواتح السور القرآنية في المصاحف، واستخدم على بعض التحف الفنية بالاشتراك أحيانًا مع خط الثلث، كما استخدم كعنصر زخرفي في العمائر.

الخط اللين

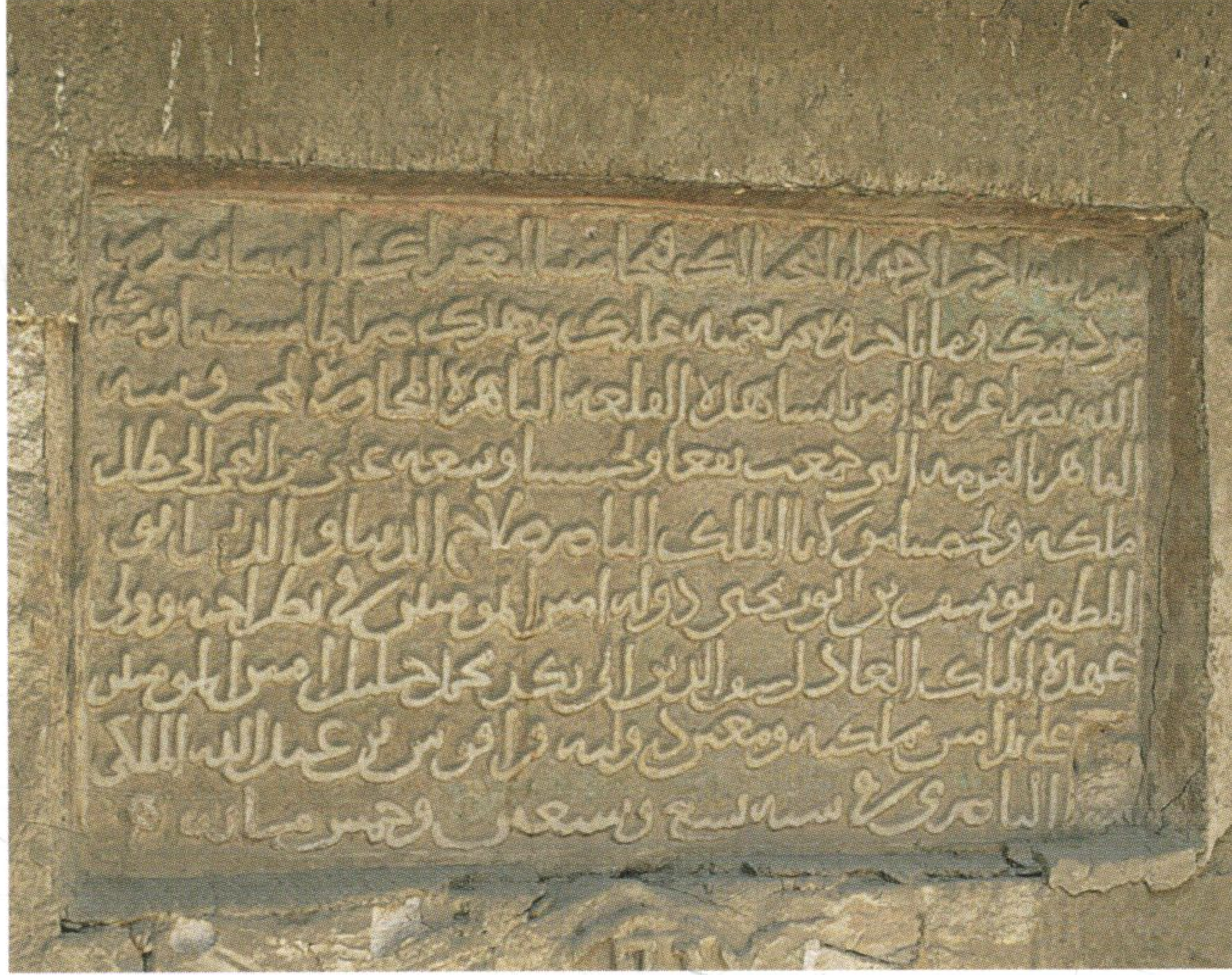
عرفت مصر منذ فتحها الخط اللين الذي عرف أيضا بالمشق وكذلك ‘خط التحرير المخفف’ وهو خط مستدير تُؤدى به الأغراض اليومية السريعة، أفضل أمثلته البرديات العربية المبكرة.

كان الخط في القرون الأولى للهجرة -خاصة القرن الأول الهجري- متواضعًا من حيث المستوى الفني وإخراج هيئات الحروف؛ فأحيانًا يلاحظ كتابة بعض العبارات بطريقة متواصلة أو مختصرة بكيفية لا يمكن تصورها. تعتبر بردية

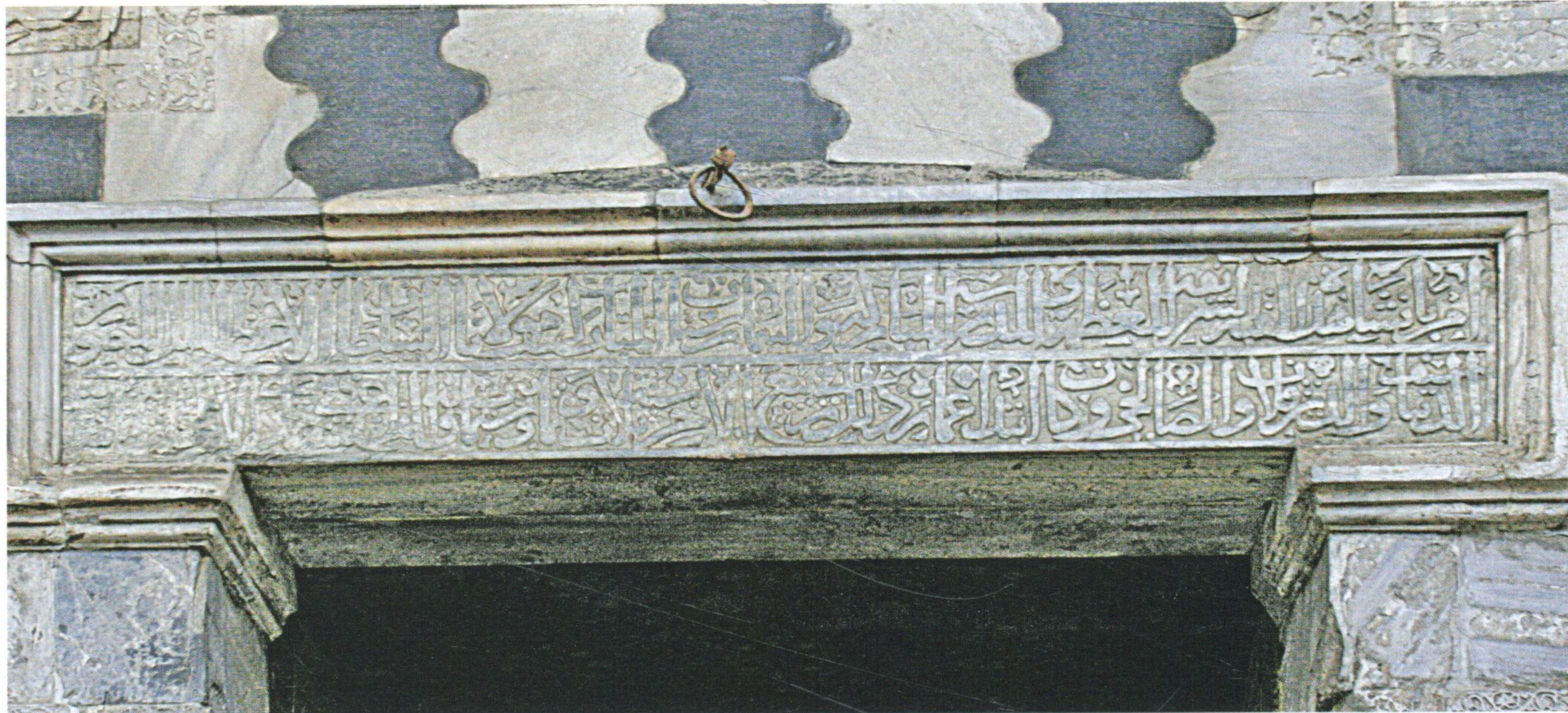


(شكل 16) بردية ثنائية اللغة تعود لسنة 22هـ/642م كتبت بلغتين: يونانية وهي الكتابة العلوية، والعربية وهي الكتابة السفلية. Inv. G39.726 (RIV) © Osterreichische Nationalbilbiothek Reproabeilung.

إهناسيا هي أقدم بردية عربية معروفة حاليًا، حيث تعود لسنة 22هـ/642م. تكشف هذه البردية بوضوح عن العلاقة الطيبة التي ربطت العرب الفاتحين لمصر بأهلها من القبط، وهي تعد أقدم مستند عربي مصري. كتبت البردية باللغتين العربية واليونانية (شكل 16) تتميز حروف هذه الوثيقة بليونة عدد من حروفها سواءً المبتدئة أو المتوسطة أو الأخيرة. فضلاً عن وجود بعض حركات الإعجام أي تنقيط الحروف على نحو ما ورد في كلمات حميس، شاه، واستخدام التنقيط جاء ليميز بين الحروف المتشابهة في الأبجدية العربية مثل الباء، والتاء، والثاء، وكذلك الجيم والحاء وغيرها من المتشابهات، والإعجام أو التنقيط يهدف إلى إزالة اللبس أو الخطأ الناتج عن غياب النقاط. وقد كان الشائع أن الإعجام وُضع على يد نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني بأمر من والي العراق الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي (40-95هـ/660-714م)، غير أن المستقر عليه الآن أن هذا الأمر جاء ليضع تنظيمًا لكتابة المصحف منقطًا حتى لا يحدث خلل أثناء قراءته خاصة من قبل المسلمين من غير العرب.



(شكل 17) نص تأسيس القلعة كتب بالخط الثلث.



(شكل 18) نص تأسيس المجموعة المعمارية للسلطان المنصور قلاوون 684-683هـ/1285-84م، من أعظم العمائر الإسلامية في مصر وهي تحتوي على تسعة عشر نصًا تأسيسيًا، أهمها النص على طول الواجهة الذي يمثل ذروة نضوج الخط الثلث في العصر المملوكي.

يعود الفضل في وصول أعداد كبيرة من أوراق البردي العربية إلينا والمتناثرة في أنحاء شتى إلى انتهاج الدولة نظام تدوين مراسلاتها، وهو ما ترتب عليه استعمال أمهر الخطاطين في تدوين هذه المراسلات التي كشفت لنا من خلال توقيعاتهم عن حلقة متصلة مسلسلة لمدرسة الخط العربي المصرية، ومن أوائل رواد هذه المدرسة (جرير، عمر، راشد، يزيد، محمد بن عقبة، مسلم بن لبن، الصلت، راشد، سرحان، عبد الله) وغيرهم.

وقد تميزت أساليب هؤلاء الرواد بالدقة والإتقان، خاصة من ناحية مراعاة النسب بين الحروف، وانتظام السطور، والمسافات فيما بينها -هذا بالإضافة إلى أنها لم تخلُ من بعض اللمسات الفنية و الزخرفية، وأبرز أمثلة ذلك تتضح في إحدى البرديات المذيلة بتوقيع جرير والمحفوظة في دار الكتب المصرية.

استخدم المعنى الاصطلاحي للقلم عند الحديث عن الخطوط اللينة، وذلك لأن أنواعها تعددت وتشعبت، فكل خط من الخطوط اللينة يخضع لقواعد ومقاسات ونسب معينة بين حروفه وحرف الألف بل وله مقاسات محددة بالنسبة لسمك سن القلم وطريقة قطته أي بريه وكيفية إمساك القلم عند الكتابة، بل وحجم الخط بالنسبة لحجم الورق، وذلك على عكس الخط الكوفي ذي الزوايا الذي لا يعتمد فيه الخطاط سوى على الطابع الجمالي الزخرفي والتناسق الهندسي بين حروفه، وزخرفتها برسوم هندسية ونباتية تخضع لقدراته الفنية الإبداعية على الخلق والابتكار، لذلك لا تطلق كلمة قلم بمعنى خط سوى على أنواع الخطوط اللينة فقط لأن سمك القلم فيها يلعب دورًا أساسيًا جوهريًا في تحديد نوعها، ومن أنواع الخط اللين خط النسخ الذي شاع استخدامه في كتابات المخطوطات والكتابات الدارجة كما هو الحال في المكاتبات الرسمية على البردي ثم على الورق بعد أن شاع انتشاره.

الخط الثلث

أما الخط الثاني الذي تميزت به مصر وعُرف خطاطوها بإتقانه فهو خط الثلث وهو ذو مدات أو سيقان طويلة مستقيمة هكذا تميز في العصر المملوكي. نشأ الخط الثلث على يد قطبة مُحرر، المُتوفَّى 154هـ، الذي وضع قواعد الخط الموزون باعتماد قلم الطومار وهو أصغر أقلام الجليل الشامي والذي قدر رأسه المصنوع من الجريد والقصب بحيث تساوي 24 شعرة من شعر البرذون، فكان قلم الثلثين 16 شعرة وقلم النصف 12 شعرة وقلم الثلث 8 شعرات.

تطور هذا الخط بسرعة فائقة على يد مجموعة من كبار الخطاطين، خاصة في العصر العباسي، وأشهرهم ابن مقلة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، وشاع هذا الخط على العمائر والتحف الفنية بصورة خاصة، وطور فيه الخطاطون المصريون وأبدعوا فيه حتى قال عنه الصيداوي في منظومته:

من أدمن الثلث على الدوام   أعانه في سائر الأقلام

ومن أقدم نماذج هذا الخط على التحف الفنية في مصر تابوت الإمام الشافعي 571هـ/1178م، وعلى العمائر نص تأسيس المدرسة التي خصصت للمذهب الشافعي والتي بناها بجوار قبر الإمام الشافعي والمؤرخ سنة 575هـ/1179م، غير أن أهم النصوص الأيوبية التي كتبت على العمائر بالخط الثلث نص تأسيس قلعة صلاح الدين 579هـ/1183م؛ لما يحمله من مضامين سياسية وتاريخية وحربية هامة (شكل 17). خط هذا النقش تستقيم فيه الحروف وسطور الكتابة،

وتخلو من النقط والتشكيل، كما أن الكتابة ليست مركبة ولا متداخلة ولا متقاطعة حروفها بعضها مع بعض؛ كما هو الحال في نماذج كتابات الخط الثلث التالية لها في التاريخ، بل هي كتابة مرسلة كلماتها، إلى جانب بعضها ولعل هذا من الفروق التي تميز بين الخط الثلث في العصر الأيوبي في بداياته وخط الثلث في العصر المملوكي.

لعل أبرز ما امتازت به العلاقة بين العمارة المملوكية في مصر والخط الثلث هو تنوع أشكال وأنواع النصوص التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية. وكانت معظم هذه النصوص التأسيسية تمتد على الواجهات الرئيسية للمنشآت فهي عبارة عن شريط كتابي محفور حفرًا بارزًا على الحجر الثلث المملوكي أروعها على وجه الإطلاق نص تأسيس مجموعة السلطان قلاوون المعمارية، (شكل 18) وهو يمتد بطول الواجهة المطلة على القصبة التأسيسية ويقتصر تسجيلها على جانبي المداخل الرئيسية أو في لوحات مستطيلة أعلى المداخل الرئيسية للمنشآت مباشرة، وقد تتعدد النصوص التأسيسية داخل المنشأة الواحدة. وقد اشتملت كتابات هذه النصوص على اسم صاحب المنشأة وتاريخ الإنشاء وتاريخ الفراغ كما كانت تتضمن ماهية المنشأة سواءً أكانت مدرسة أو جامع أو خانقاه، بل إنها في بعض الأحيان اسم المباشر للعمل.

أخذ الخط الثلث على بعض التحف المعدنية أشكالاً طريفة ففي شمعدان ينسب للأمير كتبغا الذي تولى السلطنة في أواخر القرن 7هـ/13م. نرى في قاعدة رقبة الشمعدان المصنوع من النحاس والمكفت بالفضة أشكال راقصات مستخدمة في الوقت نفسه كجذوع حروف كتابة بخط الثلث



(شكل 19) شمعدان من النحاس ذو تجويف بارز على رقبة ضيقة مزخرفة بكتابة بخط الثلث يعود لعصر السلطان قايتباي (1486-1496م)، وتجسد زخارف الشمعدان الخصائص الفنية لزخارف هذا العصر.



(شكل 20) شمعدان للأمير كتبغا الذي تولى السلطنة في القرن 7هـ/13م يبين مدى براعة الخطاط في استخدام أشكال رؤوس حيوانات وطيور إلى حروف بينما استغل الأشكال الآدمية لتحل محل الألفات واللامات.



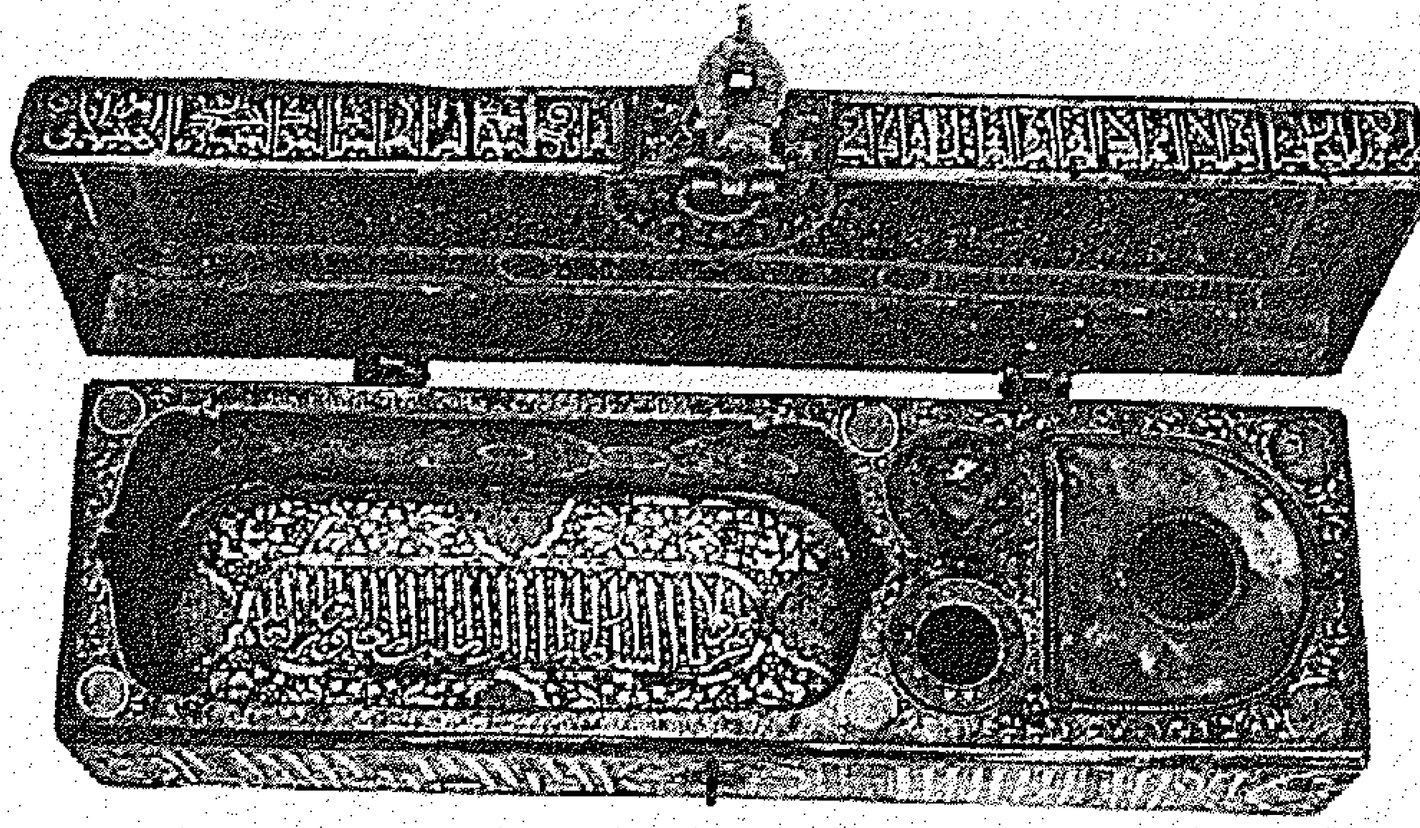
(شكل 21) مشكاة السلطان حسن ترجع إلى العصر المملوكي. وهي من الزجاج المموه بالمينا. محفوظة بمتحف مكتبة الإسكندرية.

نصها: وللأمير العزاء، والنقاء، والظفر بالأعداء. وقد استخدمت بعض الحروف كذلك في هيئة رؤوس حيوانات وطيور. (شكل 19) والألفات واللامات تأخذ أشكالاً آدمية، وتبدو صور الآدميين مفعمة بالحيوية وفي حركة قصيرة. وفي شمعدان للسلطان قايتباي نص دعائي باسمه، حروفه في هيئة ألسنة اللهب وهي متقاطعة في القمة، وهذه الكتابة تقع بين شريطين ضيقين من الزخارف المورقة والمزهرة (شكل 20).

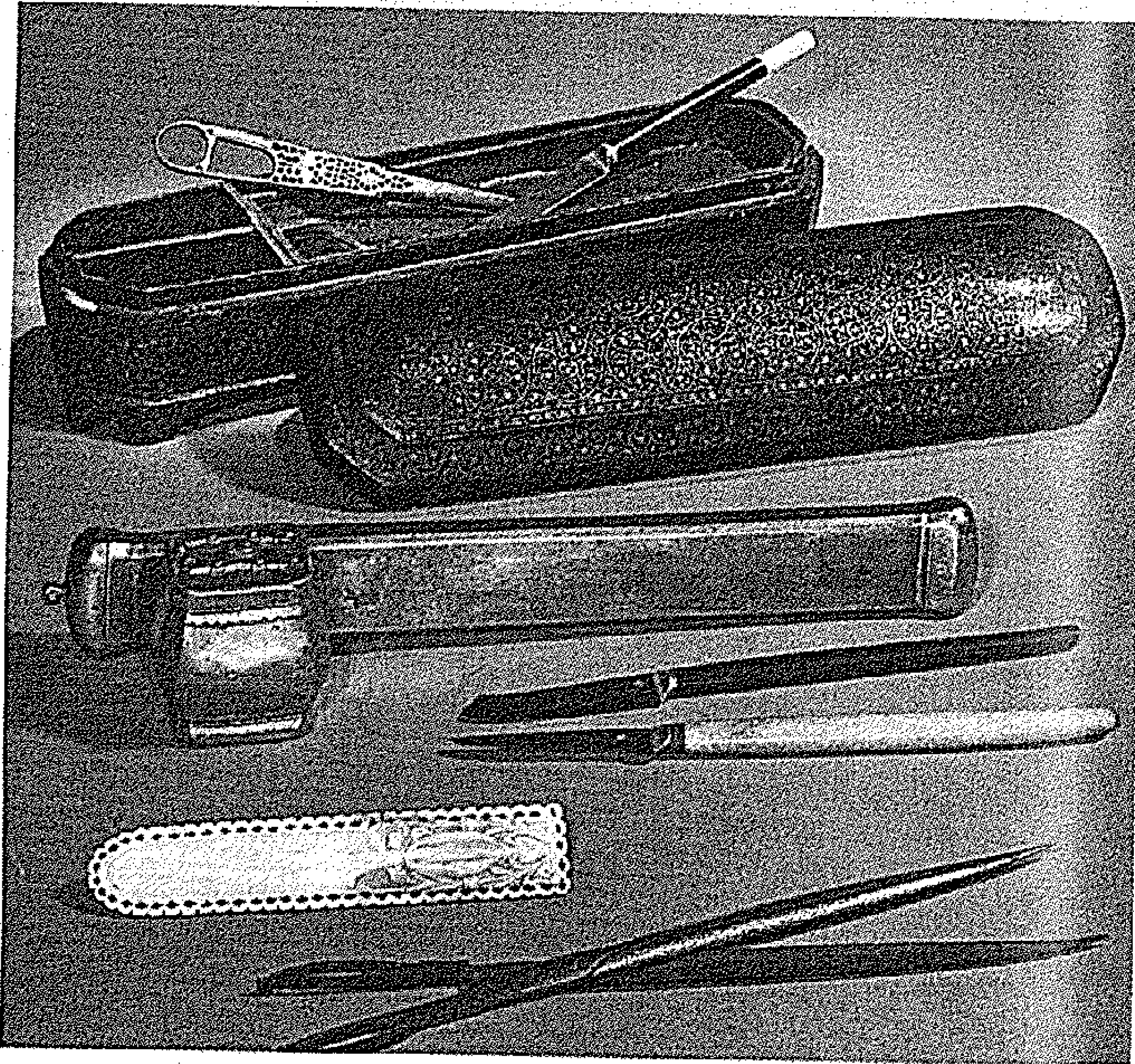
وقد حظيت باقي أدوات الإضاءة في الفن الإسلامي باهتمام بالغ، وزخرفتها الخطاط بروائع الخط العربي، ومن أروع نماذجها، الخط الثلث على المشكوات المملوكية، والمشكاة لغة هي الكوة التي توضع فيها وسيلة الإضاءة، من مسرجة إلى قنديل قراءة أو شمعة وما إليها، ثم أخذ من شكل الكوة وبداخلها وسيلة الإضاءة شكل المشكاة الزجاجية التي وضع بداخلها وسيلة الإضاءة، وزخرفت معظم المشكوات لهذا بالآية القرآنية:

(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ)

كما في رقبة مشكاة السلطان حسن المحفوظة في متحف مكتبة الإسكندرية، أما بدن المشكاة فيحتوي على ألقاب السلطان حسن واسمه بخط الثلث أيضًا (شكل 21). فصنع معظمها من القصب، نالت الأقلام حظها أيضًا من الاهتمام، لما له من مزايا، فالأقلام المصنوعة من القصب تظهر قواعد الخط، وهي سهلة الاستعمال، وطوع يد الكاتب يقطعها كما يشاء بحسب حجم الكتابة ونوع الخط، بالإضافة إلى أن مكانته تسمح بكتابة رفيعة جدًا. سعى المسلمون إلى تطوير القلم، بحيث يكون أداة متكاملة لا حاجة إلى الدواة التي تمده

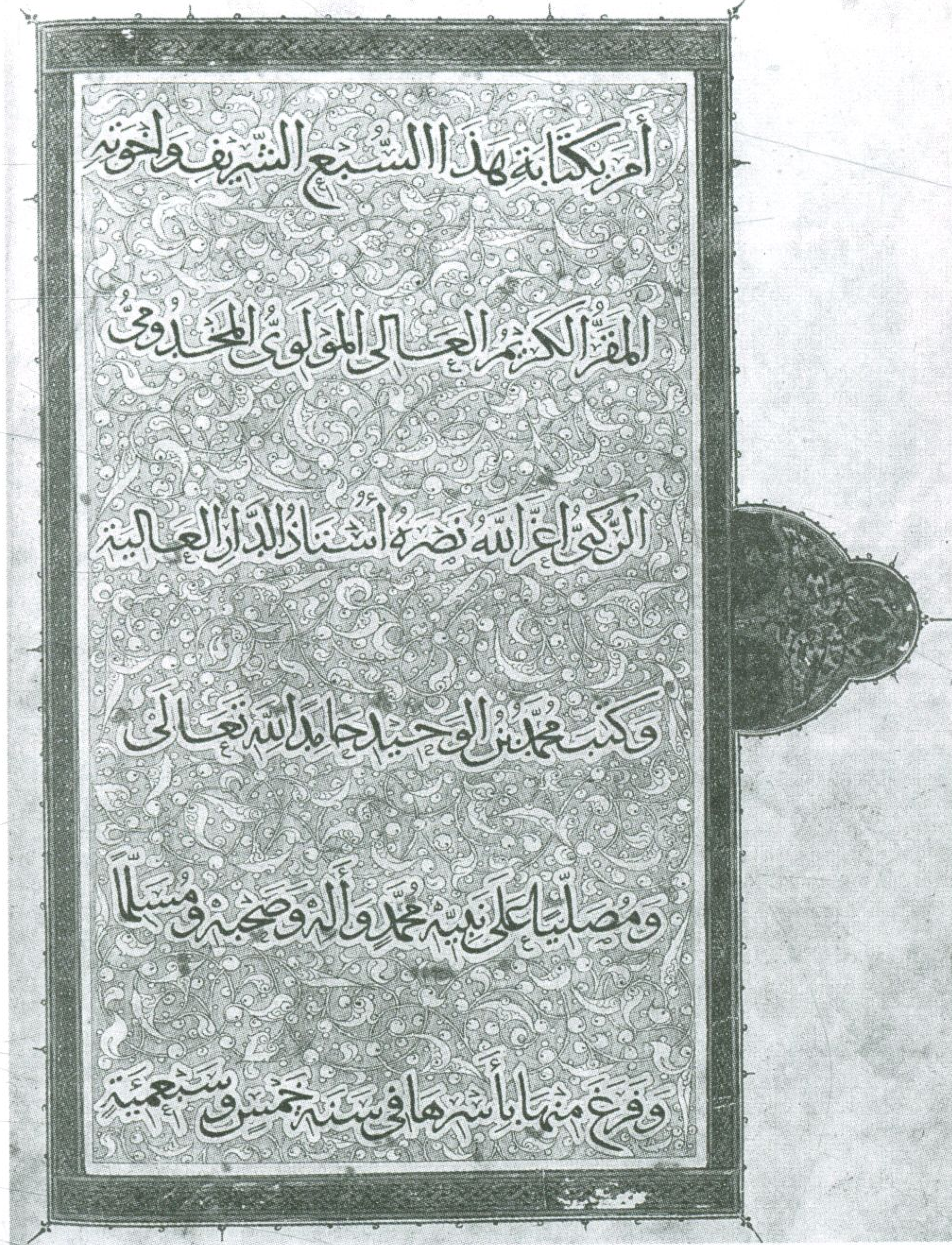


(شكل 22) مقلمة السلطان الناصر محمد (المتوفى 764هـ/1363م)، مكفتة بالذهب والفضة. ونقشت بخطوط الثلث، والنسخ، والكوفي.

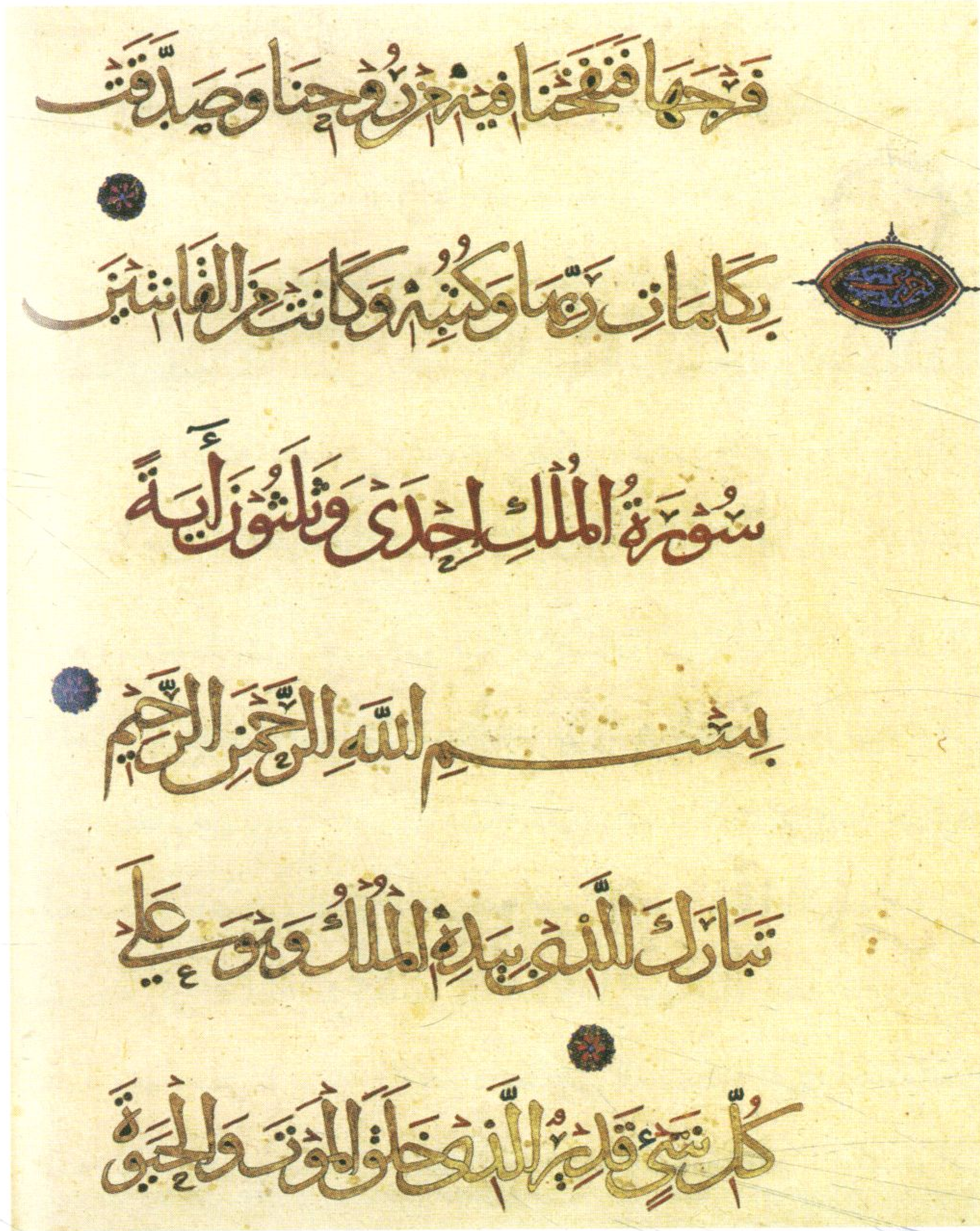


(شكل 23) أدوات الكتابة العربية.

بالمداد، كان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي عاش في القرن 4هـ/10م تخيل الصورة التي يجب أن يكون عليها قلم ممتلئ بالحبر في جوفه، ولا يحتاج إلى دواة معه، ووصف هذه التخيل للصانع وتابعه في تنفيذه، عرف هذا القلم بالقلم النبّاع، وهو ما يعرف حاليًّا بالقلم الحبر، ولم يكتب له الانتشار لأسباب غير معروفة.



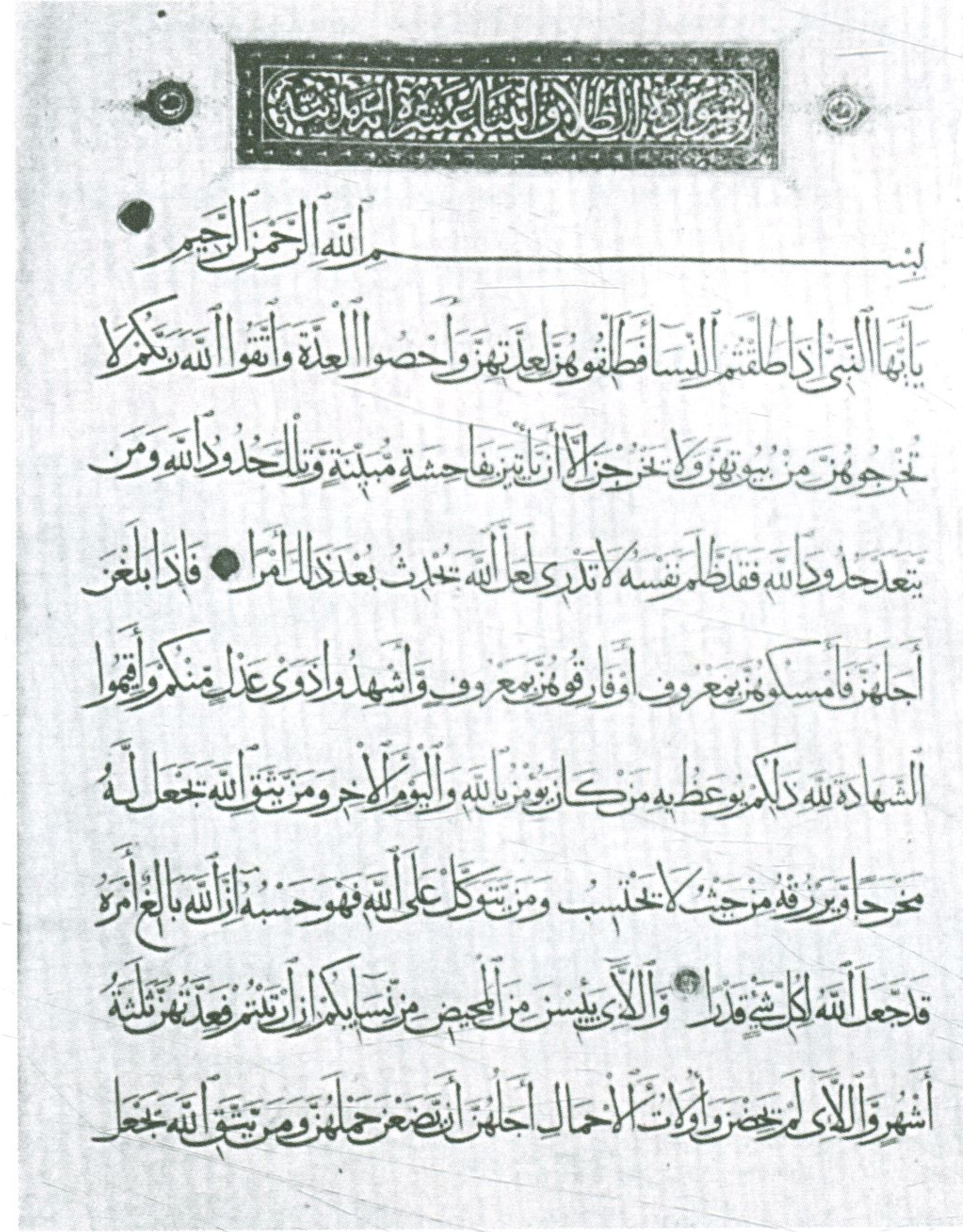
(شكل 24) مصحف السلطان بيبرس الجاشنكير، للخطاط الشهير ابن الوحيد، ويعد من روائع المصاحف المملوكية.



(شكل 25) مصحف السلطان بيبرس الجاشنكير، ويعد من روائع المصاحف المملوكية.

كانت الأقلام المصنوعة من القصب تحتاج إلى أدوات أخرى حتى يمكن الكتابة بها فهي إلى الدواة التي تمدها بالمداد والوفيعة، وتسمى المسحة وأيضًا الدفتر، وهي تتخذ من خرقة متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك، ويمسح القلم بباطنها لئلا يجف عليه الحبر فيفسد، والغالب أن تكون مدورة مخرومة في الوسط وربما كانت مستطيلة، ومن أدوات الكتابة الرغميد، أو الغلاف، أو القمجار، وهو ما يدخل فيه القلم للمحافظة عليه، ولحفظ أدوات الكتابة صنع المصريون مقلمات من النحاس كُفنت زخارفها في بعض الأحيان بالذهب والفضة، ومن روائعها مقلمة الملك المنصور محمد المُتوفى في سنة 764هـ/1363م، لعبت الزخارف الكتابية فيها دورًا رئيسيًّا في زخرفتها، حيث تنوعت بين الخط الكوفي، والنسخ، والثلث، وتضمنت ألقاب السلطان محمد والدعاء له. (شكلا 22، 23)

إذا كان المصريون بارعين في صناعة أدوات الخط، فقد ظهرت أيضًا مدرسة مصرية في الخط في العصر المملوكي، برز أعلامها في نسخ المصاحف المتناثرة بين متاحف العالم، وأبرزها مجموعة دار الكتب المصرية، ومن أروع مصاحف العصر المملوكي مصحف السلطان بيبرس الجاشنكير الذي كتبه الخطاط شرف الدين محمد بن شرف الدين ابن يوسف



(شكل 26) مصحف السلطان فرج بن برقوق، للخطاط الشهير عبد الرحمن ابن الصايغ، ويعد من روائع المصاحف المملوكية.

الكاتب الزرعي المصري ويلقب بابن الوحيد، الذي كان واحدًا من أعظم خطاطي هذا العصر، (شكلا 24، 25) وُلد في دمشق إما في عام 1249 أو 1250م، وتنقل بين بعلبك وبغداد إلى أن استقر في القاهرة، حيث عمل في خدمة بيبرس الجاشنكير حين كان أميرًا وإلى أن تولى السلطنة، كان ابن الوحيد عالمًا يتقن العديد من اللغات، كما كان ماهرًا في كافة أنواع الخطوط، تُوفي في القاهرة عن عمر يناهز 61 عامًا.

استخدم ابن الوحيد في المصحف أسلوبًا عُرف بثلث أعشار؛ حيث تتكون كل صفحة من المصحف من 6 أسطر- وهذه ميزة غير معتادة - وهو أسلوب من الخط



(شكل 27) نص تجديد جامع القبوة بمصر القديمة والذي كان يعرف قديماً بالمدرسة الخروبية. اللوح نقش بالخط الثلث البارز.

يجمع بين خطي الثلث والمحقق، ولم يتكرر بعد ذلك استخدامه، فقد استخدم الخط المحقق مثلاً في مصحف السلطان شعبان، وشاع استخدام خط الثلث في باقي المصاحف المملوكية.

أما أعظم خطاطي العصر المملوكي فهو عبد الرحمن بن الصايغ الذي خط مصحفًا للسلطان فرج بن برقوق، وكان لا ينسخ مصحفًا إلا إذا كان متوضئًا، نسخ ابن الصايغ هذا المصحف في ستين يومًا، بالخط المحقق (شكل 26). ولابن الصايغ مصحف آخر فرغ منه في شهر رمضان سنة 814هـ، وذلك بخط الثلث. يعود ظهور خط المحقق في المصاحف إلى تناسبه مع كبر حجم بعضها؛ إذ هو شبيه لخط الثلث، غير أن قلمه فيه زيادة في السمك، واهتم الخطاطون فيه بالترويس الدقيق للألفات، واللامات، والانخساف المناسب للعراقات (أي الكاسات)، وزيادة الاهتمام بالإرسالات، وتسبيغها وتوازيها

في الواو والراء، وعدم إرسال الكاسات والإكثار من الكاف الثعبانية في الأول والوسط، وخيط المسافات بين الكلمات، عرف هذه النوع من الخط بالمحقق، كان يكتب أحيانًا في نفس الصفحة بصغير المحقق الذي عُرف بالريحان، أي أن الصفحة الواحدة تكتب بنوعين من الخطوط. ولأن المماليك أغرموا بالثلث فقد شاع في عصرهم، وكانت المصاحف تُكتب به وبالنسخ أو بالخط الكوفي أحيانًا خاصة في عناوين السطور.

وإذا كان العصر المملوكي تميز بالخط الثلث، فإن مصر تحت الحكم العثماني شهدت إضافات عديدة في مجال الخطوط، مع استمرار الروح المصرية العربية في مجال الخط،



(شكل 28) مدرسة وسبيل السلطان محمود في القاهرة، وهي من روائع العمائر العثمانية السلطانية في مصر.



(شكل 29) نص تأسيس مسجد داود باشا 961هـ/1553م في القاهرة.

تجلى ذلك بصورة واضحة في خط الثلث المملوكي، الذي نراه في لوح رخام أبيض في متحف مكتبة الإسكندرية، يشير إلى تجديد مسجد الخروبية في مصر القديمة، وهو يعود لعصر سابق على العصر العثماني (شكل 27). لقد حدث تحول هام في طبيعة استخدام الخط على العمائر من العصر المملوكي إلى العصر العثماني، فالخط العربي في كلا العصرين لعب دورًا رئيسيًّا في العمائر ليعطيها الإحساس بالصلابة والقوة، كما استعمل لتخفيف الملل من السطوح المستوية العارية ولتأكيد المساحة وإبراز ملامحها الجمالية.

كان أبرز الخطوط على العمائر في العصر المملوكي خطوط نصوص التأسيس، وتركزت بصورة خاصة في عضادتي المدخل، كما في عضادتي الباب بالجهة الغربية لجامع الظاهر بيبرس 622هـ، كما شاعت الأشرطة الكتابية بطول واجهات المباني كالتي سبق وأن ذكرناها في واجهة مجموعة المنصور قلاوون، نقابل ما يماثلها في العصر العثماني بسبيل السلطان محمود أسف الرفرف سنة 1164هـ، حيث سجل النص داخل بحور تدور مع الواجهة. (شكل 28)، وهناك ظاهرة في هذا النص هي كتابته في نظم شعري، وهي ظاهرة انتشرت في مصر العثمانية، ويعتبر نص داوود باشا أعلى مدخل مسجده الذي يعود لـ 961هـ/1553م أقدم نص شعري وصل إلينا في الآثار العثمانية في مصر (شكل 29).

خط النستعليق

ينسب هذا الخط إلى بلاد فارس التي عرف فيها بخط النستعليق ومنها انتقل إلى الأتراك وعرف عندهم باسم خط التعليق أو التعليق التركي، وأصل خط التعليق الذي ابتكره الإيرانيون في القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي،

وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي قام الخطاط مير علي التبريزي بإدخال شيء من النسخ عليه، فسمي بالنستعليق، هذه الخط لا يُشكَل ولا يُجمل لأن أحجام حروفه وكتابتها تشكل الجمال بحد ذاته، وقد يُشكَل أحيانًا لكن في حدود ضيقة.

يُعد نص التأسيس الرخامي أعلى مدخل مسجد يوسف آغا الحين 1035هـ/1625م أقدم مثال لهذا النوع من الخط على أبنية مصر الإسلامية (شكل 30)، وهو أيضًا من النماذج النادرة في كل النصوص التأسيسية العثمانية فتتداخل فيه الزخارف النباتية البارزة مع الكتابات، وفي هذا النص



(شكل 30) مسجد يوسف آغا الحين، من المساجد المعلقة في القاهرة، يعود إنشاؤه إلى عام 1035هـ/1625م، والمسجد به أقدم نص تأسيس بخط النستعليق في مصر، وهو عبارة عن بيت من الشعر على أرضية نباتية.



(شكل 31) نص التجديدات التي أجراها محمد علي في قلعة صلاح الدين، ويعلو النص الباب القديم للقلعة، وهو من الرخام مستطيل الشكل به أربعة سطور؛ كل سطر من بحرين بخط النستعليق، يفصل كل بحر عن الآخر خطوط بارزة، وقد كتب النص بالتركية.



(شكل 32) نص إنشاء مطبعة بولاق، كتب بخط النستعليق باللغة التركية.



(شكل 33) اسم أحد محلات الذهب والمجوهرات في الإسكندرية، باللغتين العربية والفرنسية.

تظهر واضحة أهم خصائص الخط الفارسي، وهي خاصية الميل إلى اليمين. فلو أننا تخيلنا خطين وهميين متعامدين متقاطعين في الخط الأفقي الوهمي الرأسي يمال قليلاً نحو اليمين، وللخطاط حسن التصرف في رسم الحروف المركبة من الارتفاع والاتزان دون إخلال بالشكل العام للسطر.

حمل العصر العثماني معه إلى مصر بوادر مزاحمة اللغة التركية للعربية سواءً في المكاتبات الرسمية أو في النصوص المسجلة على العمائر أو التحف التطبيقية، لكن مع تولي محمد علي بدا أن اللغة التركية زاحمت العربية فعلاً في الدواوين الرسمية؛ فقسمت الإدارة إلى قلمين تركي وعربي، وحين أصدر جريدة رسمية بعنوان 'جرنال خديو' جعلها باللغتين العربية والتركية، وذلك في عام 1822م، وعند صدور الوقائع المصرية في 3 ديسمبر 1828م صدرت بهاتين اللغتين، بل إن ما يدل على غلبة التركية ونفوذها لدى الطبقة السياسية أن نص تجديد قلعة صلاح الدين في عهد محمد على كُتب بالتركية (شكل 31)، بل حتى نص إنشاء مطبعة بولاق التي كان لها دور رائد في نشر أمهات كتب التراث العربي، وكذلك كتب العلوم المعاصرة باللغة العربية كتب بالتركية أيضًا (شكل 32). وفي نص ميضأة محمد علي 1263هـ يتمثل ظهور اللغة الفارسية لأول مرة بالعمارة الإسلامية في مصر، ولتمثل ثالث اللغات الواردة بالنقوش على العمارة المصرية في القرن التاسع عشر الميلادي. وقد اهتم محمد علي بتدريس اللغة الفارسية في المدارس المصرية، إلا أنها لم تستعمل في الدواوين، وإنما كانت بمثابة معين تقوم به الأصول الفارسية في اللغة التركية بالإضافة إلى المعين العربي الفيَّاض. كان السبب في ظهور

اللغة الفارسية في مسجد محمد علي هو استدعاؤه الخطاط الفارسي المشهور ميرزا سنكلاخ. كانت النقوش في مصر في هذه الحقبة التاريخية مسرحًا للتفاعل اللغوي، فنرى في آثار عديدة خمس لغات هي العربية، والتركية، والفارسية، والمصرية القديمة في صورتها القبطية، والفرنسية. وهو أكبر عرض لغوي تزخر به آثار قرن واحد في كل تاريخ مصر، كما استخدمت ثلاثة تقاويم هي: التقويم الهجري، والقبطي، والميلادي الذي استخدم لأول مرة في أول يناير 1876م. (شكل 33).

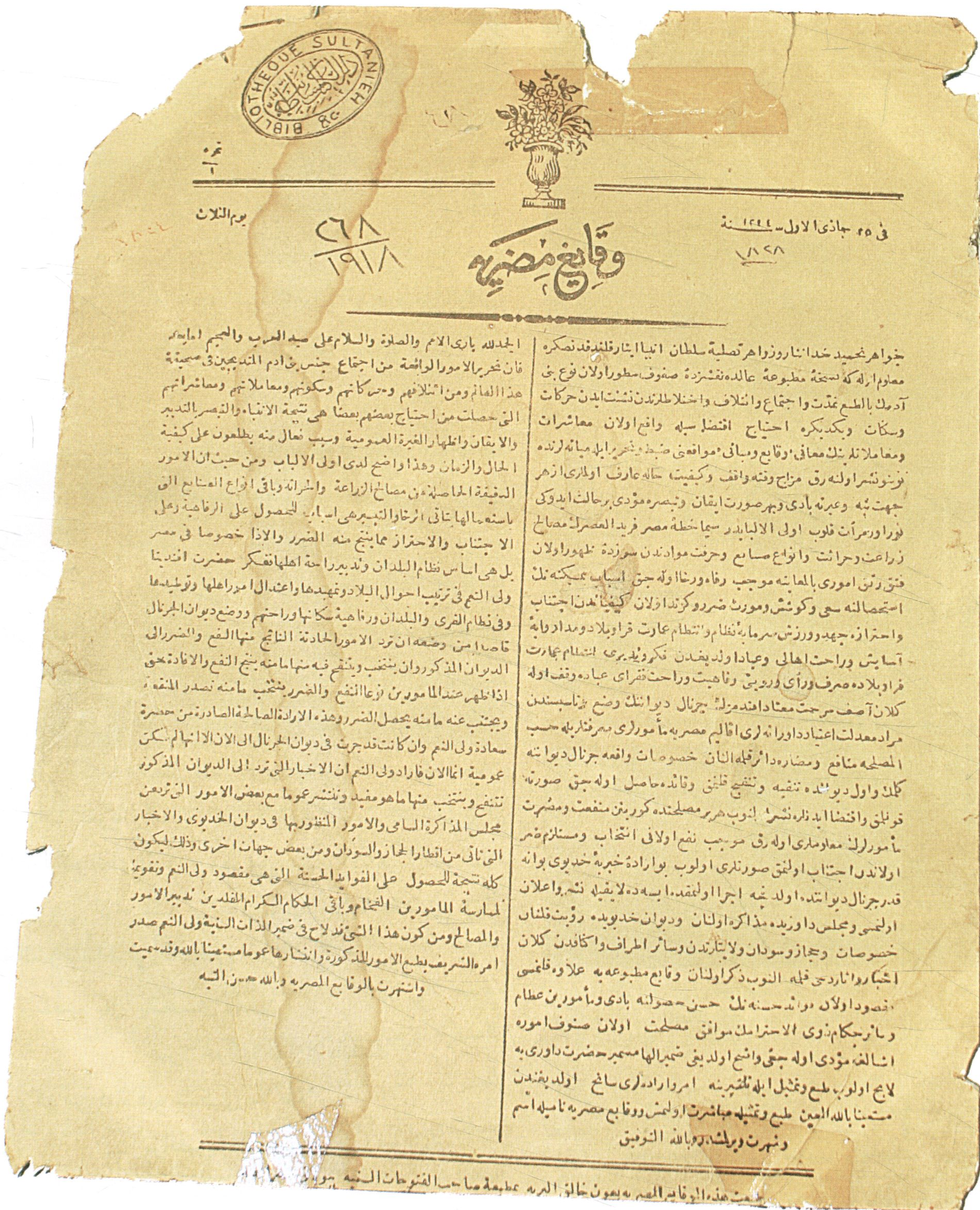
ترسخت مع ذلك الجاليات الأجنبية في مصر وإسهامها في الحياة العامة، حتى أصبح المصريون أنفسهم يستخدمون لغات عدة في نصوص منشآتهم على نحو ما سجله محمد أحمد عبد النبي في نص وكالته الذي يعود لسنة 1898م؛ حين استخدم العربية والفرنسية معًا. بل نري هذا أيضًا في نص تأسيس مقر البنك السلطاني العثماني في الإسكندرية. (شكل 34)، وقد تداخلت مع هذا الانتشار لاستخدام لغات عدة في الكتابة بمصر منذ القرن التاسع عشر مصطلحات ومفردات لغوية أجنبية في العامية المصرية، حتى أن رفاعة رافع الطهطاوي - وهو من علماء الأزهر وأحد أعلام المصريين - نراه ينشد في قصيدة يهنئ فيها الخديوي بزواج أنجاله واصفًا ليالي الأفراح ما يلي:

وملعب 'بال' بالحسان منعم
عيون غوانيه تغازل بالفتك
وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا
يراقصها 'السنيور' لطفًا مع البك
وهذا زهت الأفراح قلت مؤرخًا
بهيج العلا تأهيل 'فاميليه' الملك



(شكل 34) اسم البنك السلطاني العثماني في ميدان المنشية بالإسكندرية باللغتين العربية والفرنسية.

فهو يستخدم هنا مفردات لغوية فرنسية مثل 'بال' (Ball)، 'سنيور' (Seigneur) أي السيد، و'فاميليه' (Famille) أي أسرة، بالرغم من وجود مفردات لها بالعربية التي كان يتقن فصحاها كتابة وتحدثًا.



نمره ١

في ٢٥ جمادى الاول سنة ١٢٤٤

وقايع مصريه

يوم الثلاث

٦٨ / ١٩١٨

جواهر تحميد خدا نثار وزواهر تصلية سلطان انبيا ايثار قلندقدنصكره معلوم اوله كه نسخهٔ مطبوعهٔ عالده نقشزدهٔ صفوف سطور اولان نوع بني آدمك بالطبع تمدن واجتماع وائتلاف واختلاطلرندن نشئت ايدن حركات وسكنات ويكديكره احتياج اقتضا سيله واقع اولان معاشرات ومعاملاتلرينك معاني وقايع ومباني مواقعني ضبط وتحرير ايله ميانه لرنده نوشونشر اولنه رق مزاج وقته واقف وكيفيت حاله عارف اولماري ازهر جهت تنبه وعبرته بادي وبهر صورت ايقان وتبصره مؤدي برحالت ايدوكي نوراور مرآت قلوب اولي الالبابدر سيما خطهٔ مصر فريد العصرك مصالح زراعت وحراثت وانواع صنايع وحرفت موادندن سرزدهٔ ظهور اولان فتق ورتق اموري بالمعاينه موجب رفاه ورخا اوله جق اسباب تمكينه نك استحصالنه سعي وكوشش ومورث ضرر وكزند اولان كيفياتدن اجتناب واحترازه جهد وورزش سرمايهٔ نظام وانتظام عمارت قرا وبلاد ومدار دوابهٔ آسايش وراحت اهالي وعباد اولديغندن فكر وتدبيري انتظام عمارت قرا وبلاده صرف ورأي ورويتي رفاهيت وراحت فقراي عباده وقف اوله كلان آصف مرحمت معاد افندمزك جرنال ديوانك وضع وتأسيسندن مراد معدلت اعتيادداورانه لري اقاليم مصريه مأمورلري طرفلريله حسب المصلحه منافع ومضاره دائر قلمه النان خصوصات واقعه جرنال ديوانه كلمك واول ديوانده تنقيه وتنقيح قلنمغله فائده حاصل اوله جق صورتي قوللنق واقتضا ايدنلره نشرا لنوب هر مصلحنده كورينن منفعت ومضرت مأمورلرك معلوملري اوله رق موجب نفع اولاني انتخاب ومستلزم ضرر اولاندن اجتناب اولنمق صورتلري اولوب بو ارادهٔ خيريهٔ خديوي بو انه قدر جرنال ديوانده اولدنجه اجرا اولنمقده ايسه ده لايقيله نشر واعلان اولنمي ومجلس داوريده مذاكره اولنان وديوان خديويده رؤيت قلنان خصوصات وحجاز وسودان ولايتلرندن وساير اطراف واكنافدن كلان اخبار روانادن قلمه النوب ذكر اولنان وقايع مطبوعه به علاوه قلنمسي مقصود اولان فوايد حسنه نك حصولنه بادي ومأمورين عظام وساير حكام ذوي الاحترامك موافق مصلحت اولان صنوف اموره اشتغالنه مؤدي اوله جغي واضح اولديغي ضمير الهام مسير حضرت داوري به لايح اولوب طبع وتمثيل ايله تكثيرينه امر واراده لري سانح اولديغندن مستعينا بالله المعين طبع وتمثيله مباشرت اولنمش ووقايع مصريه ناميله اسم ونهرت ويرلشدر وبالله التوفيق

الحمد لله باري الامم والصلوة والسلام على سيد العرب والعجم اما بعد فان تحرير الامور الواقعة من اجتماع جنس بني ادم المندمجين في صحيفة هذا العالم ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضا هي نتيجة الانتباه والتبصر والتدبير والايقان واظهار الغيرة العمومية وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان وهذا واضح لدى اولي الالباب ومن حيث ان الامور الدقيقة الحاصلة من مصالح الزراعة والحراثة وباقي انواع الصنايع التي باسنه مالها تاتي ارخا والتيسير هي اسباب للحصول على الرفاهية وعلى الاجتناب والاحتراز عما ينتج منه الضرر والاذا خصوصا في مصر بل هي اساس نظام البلدان وتدبير راحة اهلها تفكر حضرت افندينا ولي النعم في ترتيب احوال البلاد وتمهيدها واعتدال امور اهلها وتوطيدها وفي نظام القرى والبلدان ورفاهية سكانها وراحتهم ووضع ديوان الجرنال قاصدا من وضعه ان ترد الامور الحادثة الناتج منها النفع والضرر الى الديوان المذكور وان ينتخب وينقح فيه منها ما منه ينتج النفع والافادة حتى اذا ظهر عند المامورين نوعا النفع والضرر ينتخب ما منه تصدر المنفعة ويجتنب عنه ما منه يحصل الضرر وهذه الارادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولي النعم وان كانت قد جرت في ديوان الجرنال الى الان الا انها لم تكن عمومية انما الان فاراد ولي النعم ان الاخبار التي ترد الى الديوان المذكور تنقح وينتخب منها ما هو مفيد وتنتشر عموما مع بعض الامور التي تردعن مجلس المذاكرة السامي والامور المنظور بها في ديوان الخديوي والاخبار التي تاتي من اقطار الحجاز والسودان ومن بعض جهات اخرى وذلك ليكون كله نتيجة للحصول على الفوايد الحسنة التي هي مقصود ولي النعم وتقويةً لممارسة المامورين الفخام وباقي الحكام الكرام المقلدين تدبير الامور والمصالح ومن كون هذا الشي قد لاح في ضمير الذات السنية ولي النعم صدر امره الشريف بطبع الامور المذكورة وانتشارها عموما مستعينا بالله وقد سميت واشتهرت بالوقايع المصريه وبالله حسن التنبه

طبعت هذه الوقايع المصريه بعون خالق البريه بمطبعة صاحب الفتوحات السنيه ببولاق

(شكل 35) العدد الأول من الوقائع المصرية.

وهذا يدعونا إلى ذكر أن محمد علي قسم الإدارة في كل ديوان إلى قلمين تركي وعربي، يتولى كل منها تصريف شئونه وتدبيج محرراته بلغته، بَيْدَ أن القلم التركي كان أجلَّ شأنًا، فهو الأصل وعنه تصدر القوانين وتعليمات الباشا ومعاونيه من رجال الحكم، ثم تترجم إلى العربية لإذاعتها بواسطة القلم العربي. وصدرت جريدة رسمية باسم 'جرنال خديو' في عام 1822 باللغتين معًا ثم الوقائع المصرية منذ عام 1828م باللغتين أيضًا (شكل 35) وهما باكورة الصحافة المصرية التي وفرت للخطاطين مجالًا أرحب لإبداعاتهم في ظل تراجع الحاجة إلى نسخ الكتب والأوراق مع انتشار الطباعة، غير أن اهتمام سعيد باشا ومن بعده الخديوي إسماعيل بالتعريب ساعد على الاهتمام بالخط وجودته، فاستقدموا العديد من الخطاطين، ومنهم عبد الله زهدي الذي استقدمه الخديوي إسماعيل، وعيِّن مدرسًا للخطوط في المدرسة الخديوية، وهو أستاذ الأجيال المتأخرة، وعليه تخَّرج نفر من كبار الخطاطين المصريين، ومن هؤلاء محمد مؤنس وهو أستاذ لكثير من المجودين المصريين، ومعمار زاده محمد علي الخطاط المزخرف، خدم بفنه بعض المؤسسات الأهلية في مصر. غير أن الحدث الأكثر أهمية في رحلة الخط العربي؛ في مصر هو إنشاء الملك فؤاد مدرسة تحسين الخطوط الملكية في سنة 1923م، وعمل فيها ثلة من كبار فناني الخط العربي منهم نجيب هواويني، وسيد إبراهيم، ومحمد حسني، وفي سنة 1936م أنشأ الفنان محمد إبراهيم مدرسة تحسين الخطوط في الإسكندرية. ومن نافلة القول فقد كان للخطاطين طرائف تدل على مستواهم الرفيع وتمكُّنهم من كافة فنون الخط العربي، فقد كتب حسن عبد الجواد عوض المحامي على بيضة مفرَّغة جميع الأعمال التي تمت في مصر في عهد الخديوي إسماعيل. في حين نرى ما هو أدق من قبل نفس الخطاط إذ كتب من تولوا حكم مصر منذ عمرو بن العاص إلى الملك فؤاد على حبة قمح.

الهوامش

* أتوجه بالشكر إلى كلٍّ من أحمد منصور ومحمد السيد لتزويد هذا المقال بالصور اللازمة.

1 وادي موسى حاليًا.

2 عبد المنعم عبد الحليم سيد، 'صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية'، في: البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الجزء الأول (الإسكندرية، 1993)، 463.

3 عبد الحليم سيد، 'الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي' في البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الجزء الأول (الإسكندرية، 1993)، 235.

4 عبد الحليم سيد، 'الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي'، 239-237. انظر أيضًا: عبد الرحمن عمر محمد اسبينداري، كتابة القرآن الكريم في العهد المكي (الرباط، 2002).

5 سعيد بن فايز السعيد، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة (الرياض، 2003)، 69-96.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية



ISBN 978-977-452-176-8